بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد الثاني والعشرون

السنة السادسة (١٤٣٩ هـ ٢٠١٨م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني
آية الله السيّد رياض الحكيم
آية الله السيّد عادل العلوي
آية الله السيّد منير الخباز
العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

رئيس التحرير :

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

مدير التحرير :

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

هيئة التحرير :

الشيخ غزوان العتابي

د.الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلمان

د. الشيخ رغدان المنصوري

المقابلة وتقويم النص :

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفنّي :

السيّد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية :

الشيخ حيدر علي البهادلي

الإشراف العام :

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام :

السيّد صالح التنكابني

السيّد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

د.مريم هادي الياسري

إدارة المؤسّسة :

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدّسة)

معاونية المؤسّسة :

الشيخ عبّاس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدّسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي : ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة فصلية علمية تخصّصية تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتمُّ المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ المكتبة العلمية.
* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.
* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.
* البصرة: العشّار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم ـ سوق ناشران ـ معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
* إيران / قم المقدّسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.
* إيران / قم المقدّسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

كلمة التحرير

كلمة التحرير

رئيس التحرير..... ١٣

كلمة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة

كلمة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي..... ٢٣

ملف العدد
المرأة وكربلاء.. قراءات أخلاقية

الشواخص العرفانية في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام وأثرها في تحكيم ثقافة عاشوراء

د. فاطمة كريمي/ترجمة: زهراء السالم ٣٥

قراءة في مفهوم العزّة لدى السيّدة زينب عليها السلام وبقية أُسارى كربلاء في مواجهة العدو

د. معصومة ريعان/ترجمة: الشيخ محمد الحلفي ٦١

فاطمة بنت الحسين عليها السلام سيّدة الجمال والمسؤولية

زهراء حسن السالم ٨٩

الضبط النفسي للسيّدة زينب عليها السلام في مواجهة عنف السلطة

م. فريال ياسر الأسدي ١٢٥

دور المرأة في الإعداد النفسي وتعزيز العقيدة الحسينية

م. د. إيناس جاسم الدروغي ١٥١

سبايا الطف بين الإرهاب النفسي والاضطهاد الجسدي .. دراسةٌ تحليلية

إعداد: د. فراقد داوود سلمان ١٦١

بين مدرسة علي ونهضة الحسين عليهما السلام تتألّق المرأة شجاعةً وإباء

أ. م. د. كفاية طارش ١٩٥

ورقة عمل بعنوان : مقام الإخلاص والوفاء عند السيّدة زينب بنت علي عليهما السلام

د. زهراء رؤوف الموسوي ٢١١

الأميرة الأسيرة وانطلاقة العلم من الحجاب

م. رنا الخويلدي ٢٢١

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية..... ٢٥٩

كلمة التحرير

كلمة التحرير

رئيس التحرير

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيب إله العالمين المبعوث الأمين نبي الرحمة محمد المصطفى، وعلى آله الغرّ الميامين المنتجبين.

أصبحت مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية واحدة من أهمّ المشاريع العلمية والتخصصية في المجال الحسيني، وقد أُنشئت بمباركة مباشرة ورعاية خاصّة من المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة، سماحة العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، ممثّل المرجعية العُليا (دام عزّه)؛ إذ كان وما زال مهتمّاً بهذا المشروع المبارك اهتماماً بالغاً، ومطّلعاً على جميع مجريات نشاطاته العلمية ومشاريعه بتمام تفاصيلها، فضلاً عن الدعم والاهتمام الفائق من قِبل الأمين العام للعتبة الحسينية المقدّسة جناب السيّد جعفر الموسوي(دامت بركاته)، وحرصه على استمرار العطاء العلمي فيها.

وبعد أن قطعت هذه المؤسّسة الفكرية التخصصية ذات الفروع المتعدّدة شوطاً طويلاً في مجالها العلمي والتخصّصي المعنيّ بالنهضة الحسينية المباركة، أخذت تُلقي بظلالها على مساحات واسعة ورحبة في مختلف البلدان الغربية، فضلاً عن الإسلامية والعربية، فوصلت أصداء مشاريعها ونشاطاتها ونتاجاتها العلمية والفكرية إلى أروقة مختلفة، دينية وأكاديمية، وأخذ صيتها يذيع في محافل علمية كثيرة وكبيرة.

ولعلّ سرّ هذا التطوّر الذي لا يمكن إنكاره ـ بعد توفيق الله، والمدد الرباني، وانتمائها إلى سيّد الشهداء والأحرار الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، دون أن تنتسب إلى جهة سياسية أو حزبية ضيّقة ـ هو أنّ المؤسّسة قد أخذت على عاتقها العمل على

تأسيس بناءٍ علميّ مختصّ رصين في كافّة أبعاد النهضة الحسينية وآفاقها الواسعة، الفكرية والتاريخية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها، ضمن المشاريع والأقسام العلمية والتخصّصية المتعدّدة فيها؛ ما ساعد في انتشارها وبروزها في البلدان على نطاق واسع.

ومن بين المشاريع العلمية الضخمة التي عملت عليها مؤسّستنا ـ وذلك في ضوء التوجيهات السديدة لسماحة المتولّي الشرعي نحو الاهتمام بواقع المرأة، واحتواء الكوادر النسوية، وتشجيع أقلامها ـ هو مشروع إنشاء قسم نسوي يهتمّ بالجانب العلمي والفكري المرتبط بالمرأة، ودورها في واقعة الطف، ضمن المشاريع العلمية الواسعة في المؤسّسة، فضلاً عن التنسيق والعلاقات العامّة، واستقطاب الأقلام النسوية التي تُسهم بشكل فعّال في توعية المرأة المسلمة خدمةً للمجتمع، فانطلقت مؤسّسة وارث الأنبياء بجهد استثنائي حثيث، ومتابعة دؤوبة في هذه المهمّة الكبيرة، وأخذت على عاتقها مسؤولية إنشاء وتكوين أُسرة علمية عمادها الكادر النسوي التخصّصي في شتّى المجالات الدينية والإنسانية.

وبعد المداولات والاستشارات المتواصلة مع الكفاءات والنخب العلمية في هذا الجانب، باشر القسم النسوي عمله العلمي التخصّصي؛ مسلّطاً الضوء على النتاجات والأبحاث العلمية المتعلّقة بالنهضة الحسينية المباركة، مع التأكيد على الجانب النسوي منها، فقام بالتواصل مع الجهات العلمية المختلفة في داخل العراق وخارجه؛ لتغطية الأقسام والمشاريع العلمية في داخل المؤسّسة.

ومن بين الخطط الاستراتيجية التي أسهمت في إنجاح هذا القسم بشكل ملفت، أنّ كادره النسوي في المؤسّسة لم يقتصر على الملاك التوظيفي الذي يتمّ اعتماده في أغلب المؤسّسات العلمية، وإنّما تمّ العمل على تشكيل أُسرة واسعة النطاق تعمل مع مؤسّسة وارث الأنبياء كخلية نحل واحدة، هدفها الأساسي إنجاح المشروع النسوي فيها، والنهوض بالواقع العلمي لدى المرأة.

نشاطات القسم النسوي

من النقاط التي تجدر الإشارة إليها وتسليط الضوء عليها هو الحديث عن الإنجازات والنشاطات التي قام بها القسم النسوي خلال هذه الفترة القياسية من عمره في المؤسّسة:

١ـ إعداد الندوات والمؤتمرات والعمل على إقامتها، سواء أكانت بأقلام وكوادر نسوية مستقلّة، أم بنحو الاشتراك مع الكتّاب والباحثين من الأساتذة في مجالات تخصّصهم. وقد قمنا إلى الآن بعقد مجموعة من النشاطات العلمية بواسطة إقامة الندوات أو الملتقيات والمؤتمرات، من جملتها: المؤتمر العلمي النسوي الدولي حول المرأة في كربلاء، وقد أعطى ثماره على صُعد مختلفة، علمية وفكرية وإعلامية، ومن أهمّ ثماره العلمية ما هو ماثل بين يدي القارئ الكريم من بحوث محكمة ورصينة تصبّ في خدمة المجتمع ورفد الساحة الفكرية.

٢ـ استقطاب البحوث والنتاجات العلمية الرصينة التي تُكتب بأقلام نسوية، سواء أكانت في مجال المرأة في كربلاء، أم ما كان أعمّ من ذلك ممّا يرتبط بالنهضة الحسينية المباركة؛ ليتمّ نشرها في المجلّات التخصّصية وبقية الموسوعات الأُخرى التي يجري العمل عليها في داخل المؤسّسة المباركة.

٣ـ إعداد عناوين حسينية تخصّصية تصلح أن تكون رسائل وأطاريح جامعية، تتضمّن الخطة التفصيلية بما في ذلك الفصول والهيكلية العامّة لها؛ لكي تُقدّم إلى قسم الرسائل والأطاريح العلمية في المؤسّسة.

٤ـ العمل على المتابعة الميدانية للنتاجات الحسينية التي كُتبت بأقلام نسوية وبلغات أُخرى؛ لكي تُترجم بعد ذلك من قِبل قسم الترجمة في المؤسّسة، أو يُوكَل ذلك إلى مَن لديهنّ القدرة على الترجمة.

٥ـ الانفتاح الواسع على الكفاءات العلمية في المؤسّسات الدينية النسوية والجامعات الأكاديمية، داخل العراق وخارجه؛ لغرض توسعة نطاق التبادل العلمي والاستفادة من الخبرات والكوادر الأكاديمية والحوزوية؛ لإثراء الجانب العلمي وتطويره، وترويج الفكر النهضوي الحسيني على مستوى المرأة المسلمة.

مؤتمر المرأة في كربلاء

أمّا فيما يرتبط بهذا المؤتمر المبارك فهو عبارة عن تطلّعات وطموح حمله الإخوة القائمون على مؤسّسة وارث الأنبياء، فرأوا أنّه قد حان وقت تحقيقه، فعقدوا الاجتماعات المتكرّرة والجلسات التداولية المكثّفة مع الكادر النسوي في المؤسّسة؛ بغية الخروج بخطّة استراتيجية تُسهم في إنجاحه وتألّقه في مجاله.

وبعد نضوج الفكرة وبلورة الرؤى حوله بشكل واضح وقع الاختيار على أن يكون العمل بالاشتراك مع بعض الأقسام العلمية في العتبة العبّاسية المقدّسة، فتمّ التواصل معها والتداول حول إمكانية إقامة عمل علمي نسوي يفسح المجال أمام المرأة؛ ليأخذ قلمها دوره الحقيقي في إثراء الساحة الفكرية، ومعالجة الشبهات المثارة حول شخصيتها في الماضي والحاضر، وتقديم مثال واضح لدورها في خدمة العلم والفكر، والنهوض بواقع المرأة المعاصرة. وقد رحّبت تلك الأقسام بهذه المبادرة، ولمسنا منها الحرص والجدّ الكبيرين لإنجاح مشاريع من هذا القبيل، وبدأنا العمل الدؤوب على كتابة الجوانب العلمية والتحضيرية والفنّية للمؤتمر وبكافة مفاصله.

وبناءً على ذلك؛ جاء تأكيد مجلس الإدارة الموقّر في مؤسّسة وارث الأنبياء والإخوة القائمين على المؤتمر، على ضرورة الحضور العلمي المميّز والملفت للطاقات النسوية من الجامعات والحوزات والمؤسّسات العلمية، فضلاً عن الشُّعب النسوية في العتبات المقدّسة؛ ليعطي هذا المؤتمر ثماره، ويتناسب مع الجهود المبذولة من قِبل الجهات القائمة عليه.

ومن هذا المنطلق؛ أُقيمت الورشات العلمية التحضيرية التي تُسهم في إنجاح هذا النشاط العلمي المبارك؛ للأخذ بوجهات النظر القيّمة والمقترحات البنّاءة من قِبل الأخوات الفاضلات من داخل المؤسّسة وخارجها.

وقد سار العمل التحضيري لهذا المؤتمر بأتمّ وأفضل ما يمكن؛ ونتج عن ذلك إقبال منقطع النظير من قِبل الباحثات والكاتبات بأقلام أثرت الجانب العلمي التخصّصي في النهضة الحسينية في المجال النسوي بوجه التحديد، فقد وصلنا من البحوث وأوراق العمل ما يربو على مائة عنوان، وكانت حصيلة المقبول منها نسبة كبيرة من البحوث الرصينة والنافعة، وقد تجسّدت مجموعة من البحوث في هذا العدد من مجلّة الإصلاح الحسيني الماثل بين يدي القارئ الكريم، وقد قمنا بطباعتها ونشرها تعميماً للفائدة، ضمن عنوان (المرأة وكربلاء.. قراءات أخلاقية).

الثمار المترتبة على هذا المؤتمر

إنّ الاهتمام بالنتاجات النسوية، والإثراء الفكري والعلمي للمرأة، والارتقاء بواقعها في المجال الحسيني، والتأكيد البالغ الذي لمسناه من سماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية(دام عزّه) على إنجاح مثل هذه المشاريع.. كان وما زال من أهمّ تطلّعات علمائنا الأعلام في الماضي والحاضر، فحينما قمنا بعرض هذا المشروع المبارك على بعض أساتذتنا الأجلّاء لمسنا التأكيد على ضرورة إقامته، مشدّدين على أنّ العمل سيكون ناجحاً ومثمراً في الساحة العلمية.

وبعد أن باشرنا العمل لمسنا النتائج التي فاقت التوقّعات والتطلّعات التي كنّا نحملها، ولكي لا يطول الحديث في هذه الكلمة التي يُفترض لها الاختصار؛ نذكر بعض الثمار:

١ـ الانفتاح والتعرّف على الواقع العلمي والفكري لدى الكفاءات النسوية، وطريقة تفكيرها تجاه النهضة الحسينية ودور المرأة فيها.

٢ـ اكتشاف أقلام نسوية فتيّة لم نتعرّف عليها من قبل؛ إذ حصلنا على مجموعة من البحوث التي نالت استحسان اللجنة العلمية في المؤتمر لبعض الأقلام الواعدة للأخوات الكريمات.

٣ـ رفد مشاريعنا العلمية في المؤسّسة بنمط جديد من النتاجات التي اختلفت عن سابقاتها موضوعاً وكتابةً؛ إذ إنّ بحوث هذا المؤتمر امتازت بكون موضوعها يرتبط بالمرأة في كربلاء، وبكونها ذات أقلام نسوية محضة. وقد أسهمت هذه النتاجات في إثراء مجموعة من المشاريع العلمية في المؤسّسة: كمشروع المؤتمرات، ومشروع مجلّة الإصلاح الحسيني، وغيرهما من المشاريع التي استثمرت الأقلام النسوية التي تعرّفنا عليها من خلال هذا النشاط المتألّق.

٤ـ البرهنة على قدرة المرأة المسلمة واستعدادها لإقامة نشاطات ومشاريع واسعة النطاق علمية وفكرية وثقافية، وأنّ التزامها بالتكاليف الدينية وواجباتها الشرعية لا يقف عائقاً أمام أداء مهامها الإصلاحية والفكرية في المجتمع.

وفي الحقيقة، فإنّ هذه الثمار المهمّة والنتائج الإيجابية قد نادى بتحقيقها والعمل عليها بعض علمائنا الماضين، واعتبرها من التطلّعات المهمّة التي يتحتّم على المهتمّين بهذا الشأن تحقيقها؛ إذ قال آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين﵀ في كتابه (واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي): «... **في نطاق هذا الفهم نتطلّع إلى الأُمور التالية:... أن يظهر دور المرأة في كربلاء بصورة أجلى ممّا يحدث الآن... ونحن ندرك أنّ مادّة الحديث عن المرأة في كربلاء تحتاج إلى أبحاث تاريخية واسعة النطاق لم تُبذل حتّى الآن، تجمع كلّ الأخبار المتعلّقة بهذا الموضوع وبغيره من شؤون المأتم الحسيني، وهو بحثٌ كان يجب أن يكون قد أُنجز منذ قرون بالنسبة إلى مؤسّسة بلغت من العمر ثلاثة عشر قرناً، وإذا لم يكن قد أُنجز في الماضي فيجب أن يُنجز الآن بجهود المهتمّين بشؤون المأتم الحسيني من الباحثين...**»[1].

(١) شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص٤٣٣.

ولا نريد الحديث عن المداليل المهمّة التي تضمّنها هذا النص الذي عملت مؤسّسة وارث الأنبياء على تحقيق جزءٍ كبيرٍ من أهدافه في هذا المؤتمر، وإنّما جئنا به كنموذج لصيحات علمائنا الأعلام التي يراد منها بيان أهمّية مشروع كهذا، واهتمامهم وتأكيدهم البالغ على إبراز الدور الفاعل للمرأة في كربلاء.

شكر وثناء

وفي الختام أتقدّم بكلمات عطرة إلى كلٍّ من:

١ـ المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزّه)؛ للرعاية الأبوية، والدعم المتواصل لكافّة مشاريعنا، وبالأخصّ ما يرتبط بمؤتمرنا هذا، وفي جميع مراحله ومفاصله، خصوصاً المبادرة المباركة من قِبل سماحته بإقامة أُمسية قيّمة على هامش المؤتمر، ثمَّن من خلالها الجهود المتواصلة، وأثنى على ما قامت به المؤسّسة والكادر النسوي فيها، وأشاد بالنتاجات التي قُدّمت من قِبل الباحثات من مختلف البلدان العربية والإسلامية؛ إذ ما زلنا نعيش تلك اللحظات النورانية التي شنّف فيها أسماعنا بكلمته المباركة التي قمنا بنشرها في مطلع هذا العدد من المجلّة؛ بغية الاستفادة من النكات المهمّة والقيمة فيها.

٢ـ الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدّسة؛ على الدعم والمتابعة لكافّة مشاريعنا، وبخاصّة المؤتمر النسوي العلمي الدولي.

٣ـ جميع أقسام العتبة الحسينية المقدّسة التي غمرتنا بطيب التعامل ودماثة الأخلاق طيلة هذه الأيام التي تواصلنا معها فيها، وأخصّ بالذكر قسم الشؤون الفكرية، وقسم العلاقات العامّة، والعلاقات النسوية، وقسم الآليات، وقسم التشريفات، وقناة كربلاء الفضائية، وإذاعة الروضة الحسينية، وغيرها من الأقسام التي ذلّلت لنا المصاعب، وهيّأت لنا كافّة المستلزمات لإنجاح المؤتمر، كما أبعث رسالة امتنان إلى الإخوة القائمين على قاعة سيّد الأوصياء عليه السلام، وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ومجمع سيّد الشهداء عليه السلام، ومدينة الزائرين (مجمع سيّد الأوصياء عليه السلام)؛ لاستضافتهم المتميّزة

للأُمسية التي أُقيمت في أروقتها المباركة.

٤ـ الأخوات الفاضلات المشاركات في المؤتمر؛ على مواكبتهن لوقائع المؤتمر طيلة أيام انعقاده.

٥ـ الأخوات الباحثات؛ على الجهود القيّمة التي أسهمت في إبراز الجوانب الفكرية والعلمية لدى المرأة في الماضي والحاضر؛ ما يجعلنا نفخر ونعتزّ بواقعنا العلمي وطاقاتنا النسوية الرائدة.

٦ـ العتبة العبّاسية المقدّسة، بدءاً من المتوّلي الشرعي سماحة السيّد أحمد الصافي(دامت بركاته)، والأمين العام للعتبة العبّاسية المقدّسة، وسائر أقسامها الموقّرة، وأخصّ بالذكر قسم الشؤون الفكرية والثقافية وتحديداً شعبة المكتبة النسوية، على جهودهم المتميّزة، ورعايتهم لهذا المؤتمر المبارك.

٧ـ العتبة العلوية المقدّسة، وتحديداً الكوادر النسوية فيها، على الجهود المباركة التي تقدّمت بها، والتفاني والإخلاص؛ خدمةً لسيّد الشهداء عليه السلام، ودعماً لكافّة نشاطاتنا العلمية، خصوصاً المؤتمر العلمي.

٨ ـ وفي نهاية هذه المحطّة أُقدّم شكري وامتناني اللامتناهيين للكادر النسوي في مؤسّسة وارث الأنبياء؛ على الجهود الاستثنائية والمضنية التي بذلتها الأخوات من أجل إنجاح هذا المؤتمر، والحقّ يقال: إنّ سرّ نجاح هذا المؤتمر المبارك مرهون بالهمّة والجدّ والتفاني الذي تحلّت به الأخوات في مؤسّسة وارث الأنبياء، والتحمّل والصبر المطلوب في إقامة نشاطات ضخمة كهذا المؤتمر الدولي الفريد من نوعه.

وأخيراً، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل نافعاً في مجاله؛ لنكون ممّن قد قدّم شيئاً مفيداً في الساحة الفكرية الحسينية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

كلمة المتولي الشرعي
للعتبة الحسينية المقدسة

كلمة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة[1]

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

أعوذ بالله من الشيطان اللعين الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على نبينا أبي القاسم محمد، وآل بيته الطيبين الطاهرين.

السلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

الإخوة الأعزّاء أصحاب الفضيلة العلمية، والأخوات الباحثات، والأُستاذات الكريمات.. السلام عليكم جميعاً ورحمة الله تعالى وبركاته.

[شكروثناء]

بدءاً، أودُّ أن أتقدّم لكم بالتهنئة بمناسبة تسلّم الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف لمهام الإمامة المهدوية، وأيضاً أتقدّم بوافر الشكر والثناء والتقدير إلى الإخوة الأعزّاء والأخوات الكريمات في مؤسّسة وارث الأنبياء، وكذلك الشكر والتقدير للأخوات في شعبة المكتبة النسوية في العتبة العبّاسية المقدّسة، ولنا شكر خاص وامتنان وافر للأخوات الباحثات اللاتي أتحفن هذا المؤتمر بالبحوث القيّمة.

في الواقع، حينما اطّلعت على الكثير من العناوين خرجت بمحصّلة تدعو إلى الاطمئنان والأمل في دوام المسيرة الزينبية على مستوى حفظ الإسلام وحفظ قيم

---

(١) أُلقيت هذه الكلمة في الأُمسية التي أُقيمت في رحاب المؤتمر العلمي النسوي الدولي الذي عُقد بتاريخ (٢٨-٢٩/ ١١/ ٢٠١٧)، بالاشتراك مع شعبة المكتبة النسوية/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العبّاسية المقدّسة.

النهضة الحسينية، فهذا المؤتمر وهذه المشاركة الدولية للكثير من الأخوات الباحثات الزينبيات تبعث اعتزازاً وفخراً من حيث تغذية واقع المرأة بهذه الإثرائية للفكر الزينبي، خصوصاً أنّ الأخوات كتبنَ بعناوين مختلفة ومتعدّدة، منها ما يرتبط بالماضي والحاضر، ومنها ما يرتبط بتحدّيات المرأة الزينبية، ومنها ما يرتبط باحتياجات الفترة الحاضرة التي نمرّ بها.

[دور المرأة في تحويل الإثراء الفكري إلى واقع عملي]

إنّ بحوث الأخوات في المؤتمر النسوي حملت ثراءً فكرياً، يعكس العمق الفكري والتحليل الدقيق والاستنتاجات الغنية التي خرجت بها الباحثات في مختلف المجالات والاختصاصات، وستحقّق الفائدة والغاية المرجوّة منها إذا ما حُوّل ذلك الجانب النظري إلى الميدان العملي، فنحن في الوقت الحاضر بحاجة إلى إكمال مسيرة هذه البحوث المعرفية التي أثرَت الفكر الزينبي، بالنزول الميداني للمرأة، خصوصاً في المواسم المليونية التي لم نشهد لها مثيلاً في سابق الأزمنة أبداً.

أقترحُ على الأخوات ـ من خلال تجربتنا التي خضناها خلال السنين الماضية في إدارة العتبات المقدّسة، وفي مجال التبليغ والمهام الأُخرى، خصوصاً مع توفّر الفرص في المجالات التي سوف أذكرها ـ أن يكون الاهتمام بالجانب التبليغي له أهمّية قصوى في عمل الأخوات الباحثات، خاصّة الأكاديميات والحوزويات، فنحن بحاجة إلى ذلك الإثراء الفكري، بأن يكون هناك نزول ميداني للمرأة، من خلال:

١ـ استثمار التجمّعات المليونية في زيارة الأربعين، والنصف من شعبان؛ إذ من المعلوم أن ليس هناك حضور مليوني مماثل لهذا العدد في العالم.

٢ـ التنسيق مع الجهات المعنية في العتبات المقدّسة وأصحاب المواكب الحسينية؛ للتثقيف والتوعية الفكرية والممارسة العملية، حتّى في محيط الأُسرة.

أخواتي، في السنوات الأخيرة حينما بدأت هذه الأعداد تتزايد يوماً بعد يوم، كان

هناك حضور للإخوة من فضلاء وطلبة الحوزة العلمية في موسم الأربعين، وكان هناك تواجد مكثّف ومحطّات للتبليغ في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية والمعرفة العقدية والفقهية والأخلاقية، هذا التواجد في الواقع تُوفّره لنا هذه الفرصة، ولا يتوفّر ذلك الحضور في أشهر أُخرى.

نأمل من المرأة أيضاً أن تحوّل هذا الإثراء الفكري إلى واقع عملي لديها، خاصّة ونحن لدينا مجموعة مباركة من الأخوات ذوات التفكير العميق والتحليل الدقيق للنهضة الحسينية، وما رافقها من المسيرة الزينبية.

[الحضور الواعي للمرأة في التجمّعات النسوية]

تلاحظون الآن إذا أحصينا عدد الذين يحضرون في زيارة الأربعين فحسب، فإنّ الأعداد التي ذُكرت في هذه السنة بين ثلاثة عشر إلى أربعة عشر مليوناً تقريباً، فهناك خمسة إلى ستّة ملايين من النساء الزينبيات اللواتي حضرن في هذا الموسوم فيما لو كان عدد الحاضرات أقلّ من النصف، ومن المعلوم أنّ هذا العدد لا يمكن أن يتوفّر على مدار شهور السنة المتبقّية، وبالتالي هناك فرصة لإيصال صوت التبليغ الديني الواعي الذي تتعدّد آلياته، والتي منها:

١ـ ما يكون من خلال اللقاء المباشر.

٢ـ ما يكون من خلال التثقيف والانفتاح على المجتمع النسوي في مختلف المجالات التي تحتاج إليها المرأة.

٣ـ الأجوبة عن الأسئلة الفقهية الخاصّة بالنساء.

٤ـ تعليم النساء كيفية حلّ المشاكل التي تمرّ بها النسوة الزينبيات.

ولا يتوقّف التبليغ النسوي في ميدان زيارة الأربعين وتجمعاته فحسب، بل هناك موارد كثيرة تتجمّع فيها النسوة، كصلاة الجماعة التي تُعطي انطباعاً لأتباع أهل البيت عليهم السلام بمدى اهتمامهم بالصلاة وأدائها في أوّل وقتها، بل حتّى في زيارة الأربعين

هناك صلاة جماعة تُقام خلال المسير على المداخل الثلاث (النجف وبابل وبغداد)، يمكن استثمارها في عملية التبليغ الفقهي للنساء.

ولا يتوقّف دور المرأة المثقّفة والباحثة الواعية على ذلك، بل يتعدّاه إلى حاجتنا إلى نزول الأخوات الباحثات الكريمات إلى الميدان، وممارسة حضورهنّ الواعي من خلال ما يأتي:

أولاً: الانفتاح على مجتمع المرأة الموظّفة، والأُستاذة الجامعية، والمهندسة والطبيبة، والمدرسة والمعلّمة، والطالبة، وربّة البيت، خصوصاً أنّ بعض الأخوات لا يمتلكن المستوى الفكري والثقافي الكافي لمواجهة مصاعب الحياة، ويفتقرن إلى ذلك الرصيد المعرفي المتوافر لدى الأخوات الباحثات؛ ممّا يستدعي بذل جهد أكبر في التبليغ وإيصال الرسالة الزينبية إلى المجتمع النسوي بجميع شرائحه وفئاته.

ثانياً: تقديم نماذج تجسّد الدور الزينبي في معركة الحقّ ضدّ الباطل، وهنا لا بدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وضرورة الاهتمام بها، فحينما نقرأ عن نماذج المرأة في معركة الطف، نتصوّر أنّ ذلك التجسيد لتلك الشخصيات اقتصر على تلك الحقبة الزمنية في عام (٦١هـ) وما قبله وما بعده، إذ جسّدت تلك النماذج أسمى القيم، ووصلت إلى المرتبة العليا في تجسيدها، وكثيراً ما نتصوّر أنّنا نفتقر إلى نماذج تجسّد تلك المبادئ عند النسوة في بقية الأزمنة، وإذا بنا إخوتي وأخواتي نجد كمّاً وافراً من تلك النماذج التي أعادت تجسيد دور واقعة الطف.

وهنا أتمنّى على الأخوات أن يقرأن قصص النسوة من أمّهات وزوجات شهداء المعركة الحالية، هذه المعركة التي نخوض غمارها ضدّ عصابات (داعش)؛ إذ أعادت هذه المعركة صور واقعة الطف تماماً، ولعلّه حينما نرى الآن طبيعة الصراع الفكري فيها، وطبيعة المبادئ التي تجسّدت في كلّ صف من الصفين المتحاربين، نجد أنّها نموذج مقرّب لما حصل في واقعة الطف، ونموذج المرأة التي كانت في تلك المعركة نشهده يتكرّر الآن في هذه المعركة، ولعلّ بعضهم لم يطّلع على القصص التي كُتِبَت

عن عوائل الشهداء، ولو اطلعتم فستجدون تلك الأُمّ التي كانت في معركة الطف تدفع ابنها وتحرّضه على القتال، وتلك الأُمّ التي كانت لا تبالي عندما يسقط أربعة من أبنائها في المعركة، وعندما تدفع الابن الخامس نجده يلبّي النداء لهذه المعركة، وتلك الزوجة الصابرة التي تحثّ زوجها على القتال، وتتحمّل مسؤولية الأُمّ والأب، وغيرها من المسؤوليات بعد فراق الزوج.

تلك النماذج السابقة التي قرأنا عنها في واقعة الطف تكرّرت اليوم في معركتنا ضدّ (داعش)، ومهمّتنا أن نُبرز نموذج المرأة التي تجسّدت فيها تلك المبادئ في الوقت الحاضر، فحينما نستذكر نموذجاً من نساء الطف ربّما يؤثّر فينا تأثيراً عابراً، ولكن حينما نستذكر النموذج المعاصر من نسائنا: أُمّهات وزوجات وأخوات الشهداء، سيكون التأثير أشدّ من جهتين:

الأُولى: أنّ التأسّي والاقتداء بنساء واقعة الطف انتقل من كونه اقتداءً نظرياً إلى الاقتداء العملي، وهو أمرٌ نادر التحقّق، ولكن عوائل شهدائنا قد حقّقته بجدارة.

الثانية: إعطاء نموذج معاصر للمرأة المضحّية والمجاهدة والمدافعة عن حرمات الدين، يمكن للنساء أن يقتدين به في المستقبل.

ولا يخفى أخواتي أنّنا نقف إجلالاً وتعظيماً حينما نجد الأُمّ التي قدّمت أربعة من الشهداء في واقعة الطف حاضرةً في معركتنا اليوم ضدّ عصابات (داعش)، فكثير من الأُمّهات قدّمن أربعة شهداء وثلاثة شهداء، وبالرغم من شدّة الألم والمصاب نجدهنّ في أعلى مراتب الصبر والاندفاع، والاستعداد لتقديم الشهيد الرابع والخامس وهكذا.

هذا النموذج نحتاج أن نُقدّمه ونُظهره للعالم؛ لكي يخلّده التاريخ كما خلّد نماذج الزينبيات السابقات، خاصّة وأنّ معركتنا ضدّ عصابات (داعش) أفرزت كثيراً من النساء اللاتي يُحسبن بحقّ نموذج المرأة الزينبية، بحثّ الزوجة لزوجها على الجهاد، وصبرها على فراقه، وحثّ الأُمّ ابنها على القتال.

لاحظن أخواتي، أنّ هؤلاء نسوة بسيطات في ثقافتهنّ وموقعهنّ الاجتماعي، ولكن جسّدن نموذجاً صالحاً؛ لهذا نحتاج إلى إبرازه اليوم.

ثالثاً: الانفتاح على أصحاب المذاهب الأُخرى، وهو أمرٌ مهمّ نشهده أثناء التواجد المليوني في زيارة الأربعين وغيرها، فما عشناه من معركة، والأوضاع التي مرّ بها العراق خلال هذه السنين، والتي أرادت أن يدخل البلد في معترك الفتنة الطائفية، يتطلّب منّا العمل على نشر ثقافة التعايش الاجتماعي وفق مبادئ مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذا يحتاج إلى انفتاح النسوة من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام على النسوة من أتباع المذاهب الأُخرى، خصوصاً في العراق والعالم الإسلامي، والانفتاح على أصحاب الديانات الأُخرى في بقية دول العالم، خصوصاً في المجتمعات الأُوربية والشرقية؛ لكي نُعرّف العالم بمبادئ الثورة الحسينية.

في الحقيقة، لم نشهد عصراً تعرّف فيه العالم على الثورة الحسينية مثل هذا العصر؛ لأسباب عدّة، أرجو الالتفات إلى تلك الأسباب، منها:

١ـ ما يحتلّه أتباع أهل البيت عليهم السلام من موقع ثقافي قيمي وسياسي وتربوي في منظومة القيم الإنسانية، وانتشار تلك القيم في مختلف بقاع الأرض.

٢ـ التجسيد القوي والصامد لهذه القيم في زماننا، وفي مناطق مهمّة في العالم عموماً، وفي منطقتنا على وجه الخصوص، فقد كان له دور مهمّ في وصول تلك المبادئ إلى هذا الموقع العالمي.

لذلك؛ نحن بحاجة إلى الانفتاح والتحرّر من الانغلاق الفكري؛ لتعريف نساء العالم الغربي والشرقي بهذه القيم، ونذكر مثالاً لذلك في زيارة الأربعين:

أخواتي، حينما نجد كثيراً من الرجال قدِموا من دول العالم إلى العراق، وشهدوا هذه الزيارة، واطّلعوا على مبادئ وقيم هم بحاجة إليها، ولم يجدوها في الغرب أو الشرق، ولم يجدوها لا في عالم الثقافة والفكر، ولا التجسيد والتطبيق، فإنّ ذلك يؤدّي على الأقلّ إلى التعريف بهذه المبادئ والقيم، والتعريف بها يُعزّز مكانة وموقع

أتباع أهل البيت عليهم السلام في المجتمع الدولي، ويُعطيهم قوّة لدى ذلك العالم؛ وبالتالي هناك الكثير من الإيجابيات التي تحصل وتتحقّق من خلال ذلك الانفتاح والتجسيد العملي لمبادئ وقيم الثورة الحسينية.

فعندما تتعرّف المرأة في العالم الغربي على كثير من المبادئ والقيم التي افتقدتها، وتجدها متجسّدة هنا لدى النساء في زيارة الأربعين، فسيكون ذلك بمثابة جذب وتعريف وقوّة لهذه المبادئ لدى الآخر.

رابعاً: تشخيص الحلقة الأقوى في التأثير، وتهيئة الإمكانات لها؛ إذ علينا أن نبحث في قضية الاستجابة العظيمة في العراق لفتوى الجهاد الكفائي، والسرّ الكامن فيها، فطوال أربع سنوات من القتال، وكثير من الشهداء والجرحى سقطوا، وهم في الأغلب من طبقات فقيرة، وكثير منهم من عوائل شديدة الفقر، نجد صموداً وصبراً على مدار تلك السنوات التي سبقتها تفجيرات راح ضحيّتها كثير من الشهداء والجرحى، وأنتجت لنا كثيراً من الأرامل والأيتام، ومع ذلك فإنّ هناك صموداً وثباتاً وصبراً على تحمّل نتائج هذه المعركة.

إنّ من الأسباب المهمّة التي أدّت إلى هذه النتائج وتلك الاستجابة هو دور المنبر الحسيني؛ لما له من تأثير كبير في نفوس الناس؛ وعليه لا بدّ أن نقوّي دعائم المنبر الزينبي، فكما أنّ هناك خطباء من الرجال لهم مستوى عالٍ من الثقافة الحسينية والقدرة على مخاطبة المجتمع بصورة عامّة، نحتاج أيضاً إلى مبلّغات وخطيبات زينبيات لهنّ القدرة على أن يخاطبن النساء من خلال المنبر.

أخواتي، هناك نقطة مهمّة تستدعي الالتفات إليها، وهي: أنّ المبلّغ تارة يبلّغ مبادئ وقيماً، لكنه لا ينطلق من المنبر الحسيني، وهناك مبلّغ يجلس على منبر حسيني، ويكون المنبر في ذاته ـ من حيث انتسابه إلى الإمام الحسين عليه السلام ـ سبباً للتأثير العظيم.

حينما يكون لدينا منبر فاطمي ومنبر زينبي، فهذا المنبر يُنسب إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، وارتباط المنبر بفاطمة وزينب عليهما السلام يُعطيه تأثيراً عظيماً في النفوس؛

لذلك نحن بحاجة إلى أن يكون لدينا تأثير من المبلّغات والخطيبات الزينبيات اللاتي يمتلكن ثقافة ومبادئ ومستوى من الطرح الذي يناسب حاجة المجتمع النسوي؛ من هنا جاءت أهمّية تطوير وإعداد ذلك المنبر بمجموعة كبيرة من المبلّغات والخطيبات الزينبيات اللاتي يمتلكن ثقافة ومعرفة وقدرة على التأثير في المجتمع النسوي وكيفية مخاطبته.

خامساً: التوعية الثقافية والدينية لدى المرأة، وتوعية شريحة النساء في مجال التعليم الديني والحوزوي والتبليغ، فهناك اهتمام بالجانب الأكاديمي في العلوم الأكاديمية لا بدّ أن يوازيه مقدار من الشعور بأهمّية الدين والحوزة، بأن يكون هناك توجّه بعدد كبير من الشريحة النسوية نحو هذه الدراسة، فكما أنّ العائلة تتمنّى أن تكون ابنتها طبيبة وصيدلانية، علينا أيضاً أن نتوجّه إلى حاجة المجتمع النسوي إلى أن تكون هناك خطيبة ومبلّغة وباحثة وأُستاذة في الجانب الفقهي والعقائدي والأخلاقي؛ حتّى تستطيع تلك الشريحة أن تقود المجتمع.

نحن بحاجة إلى التوجّه إلى هذه الدراسة التي تعتمد على مجموعة من المبادئ التي من جملتها المنزلة الاجتماعية للمبلّغة ومكانتها، إذ علينا أن نُعطي للمبلّغة والخطيبة الزينبية منزلة اجتماعية وإجلالاً وتقديراً، مثلما نُعطي تلك المنزلة للطبيبة والمهندسة، فهذا أيضاً فيه دفع وجذب نحو اهتمام المرأة بهذه الثقافة، والتوجّه نحو معرفة أسرار الإعلام الزينبي.

أخواتي، نلاحظ أحياناً خطبة بسيطة تبقى مؤثّرة في المجتمعات آلاف السنين، كما هو الحال مع خطبة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وخطبة السيّدة زينب عليها السلام، فعلينا أن نعرف ما هو السرّ في خلود الإعلام الزينبي الذي امتدّ عبر القرون، وما زال مؤثّراً في الوقت الحاضر.

نحن نقترح على الإخوة والأخوات أن يكون هناك معهد للتبليغ النسوي يحمل اسم (معهد الإعلام الزينبي)، يُعنى بمعرفة كيفية مخاطبة المرأة، سواء في داخل

العراق أو خارجه من بقية المجتمعات، وكيفية توظيف الخطاب الزينبي؛ لتكون لدينا القدرة الإعلامية على أن نخاطب المجتمع النسوي، وهذا يحتاج إلى شيء من التخصّص في دراسة الإعلام الزينبي.

نأمل ـ إن شاء الله ـ أن يكون هناك مثل هذه المعاهد، ونأمل أيضاً من الأخوات أن تكون لهنّ مشاركات في دول أُخرى، كباكستان وتركيا ودول أُوربية وآسيوية، فإنّ هناك إرادة لأن ننفتح على دول العالم، بحمد الله ـ في وقتنا الحاضر ـ هناك مشاركات من بلدان إسلامية كإيران ولبنان والبحرين ودول أُخرى، لكن نأمل أن يكون هناك انفتاح أيضاً على دول إسلامية أُخرى ودول العالم الغربي والشرقي؛ لكي نُعرّف هذه الثورة الحسينية، ويكون هناك تجسيد في الواقع على هذه العوالم.

جزاكم الله تعالى خيراً على هذا المؤتمر، وشكرنا وتقديرنا لجميع الإخوة والأخوات الذين ساهموا في هذا المؤتمر النسوي، وهو موضع اعتزاز وفخر لدينا، ومن دواعي السعادة أن نجد مثل هذا النشاط، الذي نأمل أن يكون في السنوات القادمة أوسع وأكبر إن شاء الله تعالى، وشكرنا وتقديرنا للجميع، ونسأل الله القبول والتوفيق، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمّد وأهل بيته الطيّبين الطاهرين.

ملفُ العدد

المرأة وكربلاء.. قراءات أخلاقية

- الشواخص العرفانية في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام وأثرها في تحكيم ثقافة عاشوراء
- قراءة في مفهوم العزّة لدى السيّدة زينب عليها السلام وبقية أُسارى كربلاء في مواجهة العدو
- فاطمة بنت الحسين عليها السلام سيّدة الجمال والمسؤولية
- الضبط النفسي للسيّدة زينب عليها السلام في مواجهة عنف السلطة
- دور المرأة في الإعداد النفسي وتعزيز العقيدة الحسينية
- سبايا الطف بين الإرهاب النفسي والاضطهاد الجسدي .. دراسةٌ تحليلية
- بين مدرسة علي ونهضة الحسين عليهما السلام تتألّق المرأة شجاعةً وإباء
- مقام الإخلاص والوفاء عند السيّدة زينب بنت علي عليها السلام
- الأميرة الأسيرة وانطلاقة العلم من الحجاب

الشواخص العرفانية في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام وأثرها في تحكيم ثقافة عاشوراء

د. فاطمة كريمي*
ترجمة: زهراء السالم**

مقدّمة

لقد رحلت السيّدة زينب عليها السلام في الخامس عشر من شهر رجب للسنة الثالثة والستّين من الهجرة النبوية، تلك السيّدة البطلة التي حملت رسالة عاشوراء ورايتها بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، والتي التحقت بلقاء الله بعد سفرها من المدينة إلى الشام برفقة زوجها عبد الله بن جعفر، وقد وُري جسدها الطاهر في تلك البقعة المقدّسة من الشام.

إنّ السيّدة زينب عليها السلام لجديرة بأن تكون قائدة منيرة لدرب كلّ مَن يريد النهوض لأجل عقيدته، فهي التي ورثت روح مكافحة الظلم من أُمّها الزهراء وأبيها حيدر الكرار عليهما السلام؛ الأمر الذي جعلها لم تألُ جهداً في إفشاء الظلم، وإحقاق الحق، والتضحية والفداء.

تلك السيّدة التي جاؤوا بها بعد ولادتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحتضنها الرسول الكريم ونظر إليها وبكى، ثمّ قال: «**مَن بكى على مصاب هذه البنت كان كمَن بكى على أخويها الحسن والحسين**»[1]، بمعنى أنّ سكب دمعة واحدة على مصائب

---

* باحثة إسلامية، من إيران.
** مؤسّسة وارث الأنبياء/ القسم النّسوي.

(١) مجموعة من العلماء، وفيات الأئمة عليهم السلام: ص٤٣١.

تلك السيّدة عليها السلام تساوي البكاء على إمامين معصومين، ولم يقل: البكاء على الإمام الحسين عليه السلام فحسب.

إنّ السيّدة زينب عليها السلام ـ مع وجود كلّ هذه الآلام والمصائب ـ لم تفقد معنوياتها، ليس هذا فحسب، بل ارتقت إلى مقام الرضا، فهي التي أُخذت أسيرة سبيّة، وتحمّلت الجوع والعطش، والنزوح والضياع في الصحاري، وهذا جزء يسير من مصائب زينب عليها السلام التي سُمّيت بـ (أُمّ المصائب)، وحقاً أنّ تلك المصائب لو نزلت على الجبال الراسيات لدكّتها، ولو صُبّت على الأيام لتحوّلت إلى ليالٍ مظلمة.

نعم، إنّ زينب عليها السلام ليس لها نظير في صبرها، كيف لا وهي التي ورثت الصبر من الأنبياء أُولي العزم، وخاصّة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الذي كان يدعوه تعالى إلى التحلّي بالصبر، فيقول: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1]، وهي التي تعلّمت الصبر من أخيها الحسين عليه السلام، ذلك الرجل الذي انبهر الجميع بصبره، حتّى الملائكة الواقفون على صبر العباد[2]؛ ولذا ورد في الزيارة: «**قَد عَجِبَت مِن صَبرِكَ مَلائِكَةُ السَّمَاوَاتِ**»[3].

ذلك السبي العصيب الذي تُشير إليه السيّدة عليها السلام في خطبتها الشريفة: «**أمِن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسَوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههنّ، تَحدُو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدنيّ والشريف، ليس معهنّ من رجالهنّ وليّ، ولا من حُماتهنّ حَميّ؟! وكيف يُرتجى مراقبةُ من لفَظَ فُوه أكبادَ الأزكياء، ونَبَت لحمه بدماء الشهداء؟! وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت مَن نظر إلينا بالشنَف والشَّنآن، والإحَن والأضغان، ثمّ تقول غير متأثّم ولا مُستعظِم:**

وأهَلُّوا واستَهلُّوا فرَحاً ... ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَل

(١) الأحقاف: آية ٣٥.

(٢) أُنظر: علوي مهر، حسين، زينب عليها السلام در مقام تسليم ورضا (زينب عليها السلام في مقام التسليم والرضا): مجلّة ماهنامه كوثر، العدد ٦.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٤٠.

مُنتحياً على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنّة، تنكتها بمِخصَرتك؟! وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة بإراقتك دماءَ ذريّة محمدﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟! وتهتف بأشياخك زعمتَ أنّك تناديهم، فلَتردنّ وَشيكاً موردهم، ولَتودّنّ أنّك شُللت وبَكُمت ولم يكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت»[1].

ويمكن الإشارة بصور عامّة إلى فضائل السيّدة زينب عليها السلام من خلال النقاط الآتية:

١ـ صبر السيّدة زينب عليها السلام: «**إنّ أعظم شخص قد تعلّم درس التحمّل والصبر في الملحمة الحسينية، هو السيّدة زينب عليها السلام، وإنّ أكثر شخص قد توهّج الشعاع الحسيني على روحه المقدّسة، أُخته العظيمة السيّدة زينب عليها السلام**»[2]، «**حقاً، لم يشهد التاريخ منذُ بدء الخلقة ـ حتّى من نساء الأنبياء والأولياء ـ امرأة بهذا الحلم والصبر**»[3].

٢ـ عبادة السيّدة زينب عليها السلام: «**إنّ السيّدة زينب الكبرى عليها السلام لم ينقطع تهجّدها ونافلتها حتّى في أيام الأسر**»[4]، «**ولم تترك عبادتها وتهجّدها في الليل حتّى ليلة الحادي عشر من المحرّم**»[5].

٣ـ خطابة السيّدة زينب عليها السلام: «**إنّ خطبة السيّدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد لمن الخطب التي ليس لها مثيل في العالم**»[6].

٤ـ علم السيّدة زينب عليها السلام: عندما ألقت السيّدة زينب عليها السلام خطبتها في سوق الكوفة، تلك الخطبة العظيمة التي أجّجت فيها المشاعر، خاطبها الإمام زين العابدين عليه السلام مؤيّداً لعلمها: «**يا عمّة... ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنتِ بحمد الله**

---

(١) المصدر السابق: ج٤٥، ص١٣٤.
(٢) مطهّري، مرتضى، حماسه حسيني (الملحمة الحسينية): ج٢، ص٢٢٥.
(٣) سبهر، ميرزا محمد تقي، ناسخ التواريخ: ص٧٣.
(٤) مطهّري، مرتضى، تفسير سورة المزّمل: ص٧٣.
(٥) رُوي عن زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «رأيتها تلك الليلة تُصلّي من جلوس». مجموعة من العلماء، وفيات الأئمة عليهم السلام: ص٤٤١.
(٦) مطهّري، مرتضى، حماسه حسيني (الملحمة الحسينية): ج٢، ص٥٩.

عالمة غير مُعلّمة، فهمة غير مُفهّمة»[1]. إنّ كلام الإمام عليه السلام هذا إشارة إلى العلم اللدني للسيّدة زينب عليها السلام.

٥ـ كرامة السيّدة زينب عليها السلام: يكفي في كرامة تلك السيّدة وعظمتها أنّها لم تخرج لأبنائها الشهداء في عصر عاشوراء، بينما كانت المسلّية للإمام الحسين عليه السلام في كلّ شهيد يؤتى به إلى الخيام، وما ذلك إلّا لعظمة تلك السيّدة الجليلة التي لا تريد أن تجعل إمامها في موقف محرج؛ ولذا فإنّها لم تخرج من الخيمة عندما أتوا بجثامين أبنائها (رضوان الله عليهم).

٦ـ عصمة السيّدة زينب عليها السلام: إن لم يكن مقام العصمة (ضرورة دينية) للسيّدة زينب عليها السلام، فإنّها قد وصلت إلى تلك المرتبة، ويمكن القول: «**إنّ الشؤون الباطنية والمقامات المعنوية للسيّدة زينب عليها السلام كنائبة الزهراء عليها السلام، أو أمينة الله... لا يمكن أن يحتويها القلم بتقريره... إنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت أكثر الناس شبهاً بأبيها عليّ عليه السلام وأُمّها فاطمة عليها السلام، بفصاحتها وبلاغتها، بزهدها وعبادتها، بفضيلتها وشجاعتها وسخائها**»[2].

إنّ من الأُمور التي لم يُتطرّق إليها بصورة كبيرة هي المباحث العرفانية لخطبة السيّدة زينب عليها السلام، و«**العرفان: عبارة عن العلم بالحقّ سبحانه، من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد، وبحقائق العالم، وكيفية رجوع تلك الحقائق إلى الحقيقة الواحدية التي هي الذات الأحدية للحقّ تعالى، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة؛ لأجل تحرّر النفس من قيود الجزئيات والاتصال بمبدئها، واتّصافها بلغة الإطلاق والكلّية**»[3]. يقول الباحث الإنجليزي إستيس: «**إنّ الوحدة أو الواحد هو التجربة والمفهوم الأساسي لكلّ المدارس العرفانية المختلفة؛ وذلك لأنّ الوحدة**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣١.
(٢) صادقي اردستاني، أحمد، زينب قهرمان (زينب عليها السلام البطلة): ص٣٩٢.
(٣) يثربي، يحيى، عرفان نظري (العرفان النظري): ص٢٥.

في العرفان هي العنصر والعامل الأساسي، وهذا أمر لا شكّ فيه. قال ابن الجنيد (ت ٢٩٨هـ) ـ وهو من العرفاء المشهورين ـ في حديث (كان الله ولم يكن معه شيء): الآن كما كان»[١].

إنّ الأصالة في العرفان إنّما تحصل من العلم وطيّ المقامات والمنازل، ممّا يُعبّر عنه اصطلاحاً بـ(السير والسلوك)، فالعرفان من أهمّ الأُسس المعنوية التي يمكن من خلالها الوصول إلى الكمال، وقد كان موضع اهتمام الأديان الموحّدة وغير الموحّدة[٢].

إنّ البدع والرسوم الظاهرية والميل للزهد المفرط بين المجتمعات المختلفة، كلّ ذلك لا يتلاءم مع روح الأحقية الدينية والتشريع الإلهي والعدالة الاجتماعية عند المعصومين عليهم السلام وعظماء الدين. وعليه؛ فلأجل تمييز العرفان الإيجابي البنّاء من العرفان السلبي الهادم، علينا معرفة الشواخص العرفانية في خطب السيّدة زينب عليها السلام، وخاصّة خطبها القيّمة بعد واقعة كربلاء.

أسئلة البحث

إنّ الأسئلة المطروحة في هذا المقال عبارة عن:

١ـ هل أُشير في خطبة السيّدة زينب عليها السلام إلى مراتب السير والسلوك؟ وكيف كان دور واقعة عاشوراء فيها؟

٢ـ كيف بُيّنت مراتب السير والسلوك في خطبة السيّدة زينب عليها السلام؟

أُسلوب البحث

إنّ أُسلوب البحث في هذا المقال (تحليلي توصيفي)؛ وذلك تبعاً لنوع الموضوع، فكان بهذه الصورة: مطالعة المصادر المختلفة والمعتبرة، وانتقاء المعلومات التي تفيد البحث،

(١) استيس (١٣٧٠): ص٥٩.

(٢) أُنظر: ترابي، آزاده، بررسي تطبيقي عرفان مولانا وعرفان بودا در باب تمركز فكر (قراءة مقارنة في عرفان مولانا جلال الدين وعرفان بوذا في مجال تركيز الفكر): ص١.

ثمّ تدوينها وجمعها، وبما أنّ الهدف من المقال قراءة وتحليل الشواخص العرفانية في خطبة السيّدة زينب عليها السلام كان من اللازم مراجعة النصوص التي شرحت تلك الخطبة، وكشفت التعاليم التربوية والعرفانية فيها، والنظر في مدى ارتباطها بواقعة عاشوراء.

الشواخص العرفانية في خطبة السيّدة زينب عليها السلام

في صباح اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام، سير بحرم آل الرسول صلى الله عليه وآله بقيادة السيّدة زينب والإمام السجاد عليهما السلام نحو الكوفة التي كان قد أعدّ فيها ابن زياد مراسيم تُعبّر عن فرحه واستبشاره بما حدث في كربلاء.

ثمّ سير بذلك الركب نحو الشام، المكان الذي كان يُقيم فيه يزيد بن معاوية، وقد أعدّ القوم مراسم خاصّة في البلاط الأُموي تفوق مراسم ابن زياد، وقد أُحضر رأس الحسين عليه السلام وأصحابه أمام يزيد، فقام زحر بن قيس ـ الذي كان ممثلاً لابن زياد ـ متحدّثاً عما حلّ في عاشوراء، من استشهاد الإمام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام[1]، فاعترض بعض الحاضرين على أسرِ نساء بيت الوحي، ويزيد صامت من دون جواب، وكان كبار أهل الشام من بين الحضور، قد دعاهم يزيد لهذه المراسم بمناسبة النصر[2]، وفي هذه الأثناء قام رجل من أهل الشام أحمر، فقال ليزيد: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية. فردّت السيّدة زينب عليها السلام عليه، بأنّ ذلك ليس لك ولا ليزيد[3]، فغضب يزيد من ذلك ودار بينه وبين السيّدة عليها السلام حديث عصيب، بعد أن ضرب اللعين شفتي أبي عبد الله عليه السلام بخيزرانته، فقامت السيّدة زينب عليها السلام وألقت خطبتها الشريفة.

التوبة

لقد أشارت السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها إلى ندم يزيد يوم القيامة بعدما قام به

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٨.
(٢) جعفري، حسين محمد، تشيّع در مسير تاريخ (التشيّع في حركة التاريخ): ص٨٠.
(٣) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٣١.

في واقعة عاشوراء؛ وذلك في قولها: «... **مُنتحياً على ثنايا أبي عبد الله، سيّد شباب أهل الجنّة، تنكتها بمِخصَرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماءَ ذريّة محمدﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطّلب؟! وتهتف بأشياخك زعمتَ أنّك تناديهم، فلتَردنّ وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنّك شُللتَ وبَكُمتَ، ولم يكن قلتَ ما قلتَ، وفعلتَ ما فعلتَ. اللّهمّ خُذ بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، وأحلِل غضبك بمَن سفك دماءنا، وقتل حُماتنا**»[1].

تستند التوبة على قواعد أربعة: ندم القلب، وطلب العفو باللسان، والعمل بالأعضاء والجوارح، والإرادة والعزم بجدّ على عدم الرجوع إلى ارتكاب الذنب والتلوّث السابق.

وعليه؛ فإنّ التوبة ليست صرف لفظ فحسب، بل يجب أن يندم القلب، ويتنفّر من المعصية، ثمّ يأتي دور اللسان، فيُعلن لنفسه وللآخرين شعار ترك المعاصي، ويُلقّن التائب نفسه الاستمرار في ذلك، ثمّ يجعل أعضاء بدنه وعناصره الوجودية في دائرة الأعمال الصالحة بدلاً من الذنوب؛ حتّى يتحوّل إلى عنصر آخر غير ما كان عليه، بحيث لا يهمّ بالعودة إلى القبح واللهو والتلوث السابق.

ورد في القرآن الكريم ثلاثة اصطلاحات قريبة المعنى من بعضها، وهي: (التوبة، الإنابة، الأوبة) التي تشتق من الجذور التالية: (توب، نوب، أوب)؛ ولأجل الوقوف على اختلاف معاني هذه الكلمات نذكر هذا المثال: عندما تسير مركبة خلاف قوانين المرور، كأن تدخل في شارعٍ قد مُنع الدخول فيه، سوف يضطرّ سائقها للوقوف حين يصل شرطي المرور، فيندم وينطق بلسان الاعتذار، ثمّ يبادر بالرجوع إلى ما قطعه من الطريق مرةً أُخرى، فيجبر ما فات، ويتعهّد أن لا يكرّر الخطأ ثانيةً، إضافة إلى ما يدفعه من فاتورة الغرامة. خلاصة الأمر أن سائق تلك المركبة سوف يرجع إلى

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.

الطريق الأساسي، ويستمرّ في السير للوصول إلى مقصده، فيرجع وهو يراقب كلّ علامات المرور من دون غفلة حتّى يصل إلى هدفه.

لقد تمّ الإقدام على ثلاث مراحل في المثال، المرحلة الأُولى: الوقوف والندم والاعتذار، وتدارك ما فات، والعزم على عدم العودة، وهذه هي مراتب التوبة، التي يسمّى آخرها بالاستغفار الذي هو عبارة عن الاعتذار. وأمّا المرحلة الثانية: فهي الرجوع إلى الطريق الأساسي، والدخول عملياً في الصراط المستقيم، وهذا ما يسمّى بالإنابة. والمرحلة الثالثة: هي الرقابة الدقيقة بعد الاعتذار والرجوع إلى الطريق الأساسي حتّى نيل الهدف، وهو ما يسمّى بالأوبة، وهذا ما نقله (عبد الكريم هوازن) عن أبي علي الدقاق: أنّ الرجوع على ثلاث مراحل: أوّله توبة، وأوسطه إنابة، وآخره أوبة.

مقام الإحسان

الإحسان في اللغة: بمعنى فعل الخير بشكل حسن، أي: إنّ للإحسان جانبين، الجانب الأول: في نفس عمل الإحسان، والثاني: في كيفية إجراء العمل؛ إذ من الممكن أن يجرى العمل الحسن بالوسائل السيئة، وبالعكس أيضاً، أي: يمكن القيام بالعمل السيء بوسائل حسنة، لكن كلا الأمرين لا يمكن أن يكونا من مصاديق الإحسان أبداً؛ ومن هنا جاء في القرآن الكريم أنّ الصبر، والجهاد، والعيش الحلال، والثروة الحلال، وخدمة الوالدين، وكذا الصلاة، وكظم الغيظ، والعفو، كلّها حسنة في حدّ ذاتها، لكن لا يشملها مفهوم الإحسان إلّا بعد أن تؤدّى بشكلٍ حسن أيضاً. والسيّدة زينب عليها السلام تُشير إلى مغفرة الله تعالى وإحسانه، فتقول: «**فالحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة**»[1]. وعليه؛ يكون مقام المغفرة ممزوجاً بالسعادة والإحسان.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٨.

إنّ الناس في هذا المجال على فئات ثلاث، الفئة الأُولى: غارقة في التوحيد، يائسة من الحياة، تعيش في محضر الله في كلّ مكان، معرضة عن الانشغال في أُمور النفس والحياة. والفئة الثانية: الواهون في الهيبة، والتائهون في الغيبة، كورقة قشٍّ في فلك الخلقة العظيم. والفئة الثالثة: الممتلؤون بالنشوة، الواصلون إلى مقام الحضور، النائلون للشهود الحقّ، والمنوّرون بنورانية الإشراق على حدّ تعبير العرفاء.

وبعبارة أُخرى: قد غاب هوى النفس في العزيمة، وتاهت الأسباب في الجمع، وضاع الفرق في الوحدة، والخلاصة: هي الإعراض عن النظر إلى الأهواء النفسانية في مسير السير نحو الكمال، وبما أنّ السالك يعلم أنّ كلّ شيء بيد القدرة الإلهية، فكلّ توجّهه سيكون لله تعالى، وبما أنّه وصل إلى الوحدة في الوجود، فإنّه ينفي كلّ الأسباب، وهذا ما تُشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[1]، فلا يبقى من البدن إلّا السمع لا غير، ومن اللسان إلّا الذكر لا غير، ومن القلب إلّا الألم لا غير، ويكون النظر والفكر بالقلب وكأنّه العيان، قد أُطلق وحُرّر من السعي الإنساني، ومن خمود الهوى، وعناء التعلّقات، وهذا هو الإحسان وآثاره.

وقد أوضح الخواجة في (منازل السائرين) ذلك، مستعيناً بالمعنى اللّغوي والاصطلاحات القرآنية، وخلاصة كلامه: «**أن تعبد الله كأنّك تراه**»[2][3].

إنّ الإنسان في واقعه الحالي ليس كُلّياً، لكنّه عندما يتخلّى عن فرديته سوف يرتقي مرتبتين إلى الأعلى، وسوف يستطيع النفوذ في كلّ العالم، فيصبح متّحداً مع كلّ شيء[4].

---

(١) الأنفال: آية١٧.

(٢) إشارة إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله: «الإحسان: أن تعبد الله كأنّك تراه». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٦، ص٢٠٣.

(٣) اُنظر: هاشمي نجف آبادي، سيّد رضا، مقامات عرفاني نماز در قرآن (مقامات الصلاة العرفانية في القرآن): ص٦.

(٤) اُنظر: أدهم، حوريه، تطابق عرفان وسايبرنتيك در وحدت وجود (المطابقة بين العرفان والسايبرنتيك في الوحدة الوجودية)، مجلة فصلنامه تخصصي عرفان: العدد٢٢.

مقام الاطمئنان

مقام الاطمئنان: هو مقام السكون والهدوء إلى جانب الشعور بالأمن والأُنس. وبعبارة أُخرى: إنّ مقام المشاهدة قد لوحظ في ساحة الإحسان، ومن مقام المشاهدة يحصل اليقين، ومن اليقين يحصل الأمن العلمي، والإنسان يصل إلى السكون الروحي من الأمن العلمي، وعندما يتحوّل السكون إلى صفة دائمة وثابتة، ينتقل إلى مرحلة الاعتقادات القطعية دون خوالج، والأمن الكامل، فيتحقّق حينئذٍ مقام الاطمئنان الرفيع. وعليه؛ فإنّ الاطمئنان عبارة عن السكون الروحي المصاحب للأمن المطلق، بعيداً عن الخطر والأثر، ومتحرّراً من الاضطراب والقلق.

وقد جاء في آيات الذكر الحكيم أنّ الاطمئنان على ثلاث مراحل، أحدها: الاطمئنان العقلي والفكري، الذي يحصل عليه الإنسان عن طريق الهداية الإلهية العامّة، فيتخلّص بواسطتها من التردّد والتحيّر العلمي، كما في الآيتين (٩٤ و٩٥)[١] من سورة الإسراء[٢]. وقد أشارت السيّدة زينب عليها السلام إلى الاعتماد والاستناد إلى الله تعالى بقولها: «**أَلا فالعجب كلّ العجب لقتل حزبِ الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الأيدي تَنطِف من دمائنا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناوبها العَواسِل، وتعفّرها أُمّهاتُ الفَراعل، ولئن اتّخذتنا مَغنَماً، لتجِدَنّا وشيكاً مَغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما ربُّك بظلّامٍ للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعوَّل**»[٣].

---

(١) الآيتان المشار إليهما، هما قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا * قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾.

(٢) أُنظر: هاشمي نجف آبادي، سيّد رضا، مقامات عرفاني نماز در قرآن (مقامات الصلاة العرفانية في القرآن): ص٩.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.

مقام الاعتصام

الاعتصام بالله: بمعنى التحلّي برعايته ومساندته، ويستفاد من آيات القرآن الكريم أنّ العبودية ومناجاة الله تعالى تجعلان الإنسان غنياً عن غيره، ومن هنا فإنّ الآية الكريمة تقول: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1].

وقد أشارت السيّدة زينب عليها السلام في إحدى فقرات خطبتها إلى أنّ الاعتصام يكون بالله، والملجأ الأساسي هو الله تعالى، حيث تقول عليها السلام: «**نسأل الله أن يُكمل لهم الثواب، ويُوجب لهم المزيد، ويُحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونِعمَ الوكيل**»[2].

أفاد العرفاء المسلمون أنّ مراتب الاعتصام تكون كالآتي:

الاعتصام: بمعنى أداء الأعمال الحسنة التي تقوم على أساس الأمر والنهي، والاعتراف بالوعد والوعيد الإلهيين، وهذا هو اعتصام العوام.

اعتصام الخواصّ: وهو بمعنى الانقطاع والإعراض والابتعاد عن التعلّقات النفسانية، والإقبال على الله جملة واحدة، بحيث يسلب الإنسان عن نفسه الاختيار.

اعتصام خواصّ الخواصّ: ذلك عندما يبتعد العبد عن كلّ شيء، ويصل إلى مقام الاتصال جملة واحدة، وهو عبارة عن شهود حقانية الحقّ تعالى ولقائها، ففي تلك الحالة ينال السالك نهاية الاستكانة والخضوع والخشوع[3].

مقام الإخلاص

إنّ توقّع الحلول من غير الله، والأمل بغير الله، وطلب الشكر والثناء من غير

(١) الحج: آية٧٨.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٨.

(٣) اُنظر: أبطحي، سيد حسن، مقام مقدّس اعتصام (مقام الاعتصام المقدّس): ص١.

الله، وعمل الخير لأجل كسب رضا الآخرين، والاعتناء بقدح الآخرين أو مدحهم، وإدخال الرياء والسمعة عند القيام بالعبادة، كلّ ذلك يُعتبر إضافات تهدم الإخلاص، حتّى أنّ طلب الجنة والتحرّر من النار يتنافى مع الإخلاص التام؛ لأنّ الإنسان في كلّ هذه الموارد المذكورة يقبل لنفسه شخصية وجودية، ويريد أن يرضي هذه الشخصية الوجودية والاعتبارية، فهو يقول: (أنا أُريد)، و(أنا أرجو الجنة)، (أنا أخاف من النار).

وخلاصة القول: إنّ الإنسان يقبل لنفسه نوعاً من الأنانية، وهذا لا يتلاءم مع الإخلاص؛ لأنّ الإخلاص بمعنى اكتساح الأنانية والاعتبار النفسي، والوصول إلى مقام كهذا ليس أمراً ميسوراً بالطبع، حتّى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ينقل عن الله تعالى حديثاً قدسياً، يقول فيه: «**الإخلاص سرّ من أسراري، استودعته قلب مَن أحببته من عبادي**»[1]، وإنّ ترك العالمين والإعراض عن النشأتين لمن آثار هذا السرّ.

وتشير السيّدة زينب عليها السلام في بعض المقاطع من خطبتها إلى أنّها لا تُريد المآل والعقاب إلّا من الله تعالى؛ لأنّ ما فعله أهل البيت عليهم السلام كان نابعاً من إخلاصهم له عزّ وجلّ، فتقول: «**اللّهمّ خذ لنا بحقّنا، وانتقم ممّن ظلمنا، وأحلل غضبك بمَن سفك دماءنا، وقتل حُماتنا، فو الله، ما فريتَ إلّا جلدك، ولا حززتَ إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلتَ من سفكِ دماء ذرّيته، وانتهكتَ من حُرمته في عترته ولُحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويَلُمّ شعثَهم، ويأخذ بحقّهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وحسبك بالله حاكماً، وبمحمدٍ خَصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين [أي: أبوك معاوية]، بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضعَف جُنداً**»[2].

وعليه؛ يكون (الرزق) في هذه الخطبة من أهمّ الأعمال التي تكون سبباً لتثبيت الإخلاص في الفرد المؤمن، ومن هنا؛ يتجلّى إخلاص السيّدة زينب عليها السلام وثباتها في دخولها ميدان كربلاء وخروجها منه بكلّ إخلاص.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٧، ص٢٤٩.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.

مقام التوكّل

إنّ الله تعالى هو المالك الحقيقي لأصل الوجود، ومالك لكلّ الموجودات المادّية والمعنوية وآثارها وخصائصها، فالله هو الخالق والمالك لوجود الموجودات، وهو المالك لآثارها وخصائصها أيضاً، بمعنى أنّ الله مالك للوجود، ومالك للإيجاد والإبقاء، ومالك لآثارهما وخصائصهما، وعندما يصل الإنسان إلى هذه المرحلة التي يرى فيها أنّ كلّ هذه الأُمور من الله تعالى، فيفوّضها إلى الله، ويخلع يده منها، ولا يرى للآخرين فيها أيّ أصالة أو استقلال، بمعنى أنّه يعلم أنّ الآخرين مملوكون ومحتاجون إلى الله أيضاً، وليس لديهم ذرّة واحدة من الاستقلال، يكون حينئذٍ قد وصل إلى مرحلة التوكّل.

لكن ينبغي الإشارة إلى أنّ الله تعالى ليس مالكاً للشرور والقبائح، أو للخصائص السيئة وآثارها، وهذا ما أشارت إليه الكثير من الآيات الكريمة، إضافةً إلى ما يبيّنه الشهيد مطهّري من أنّ الشرور والقبائح من مقولة العدم، وإنّها توجد من النقصان، وليست هي أمراً وجودياً، ومالكية العدم مساوية لعدم المالكية، والأهمّ من ذلك هو أنّ الله تعالى خير محض، والخير لا يصدر منه إلّا الخير، كالنور الذي لا يصدر منه سوى النورانية، وإن كان هناك ثمّة ظلام، فإنّه من وجود الحاجب والمانع من وصول النور.

وعلى أيّة حال، فإنّ الحقّ تعالى منشأ الوجود، وهوية الوجود هي الخيرية، إذاً؛ فالله تعالى هو المالك الحقيقي للخيرات التي تظهر من الأشياء، فكلّ خير منه تعالى، وكلّ شرٍّ فهو من المخلوق، وعلى هذا؛ فإنّ تفويض الأُمور إلى المالك الحقيقي يُسمّى بالتوكّل[1].

والسيّدة زينب عليها السلام تُشير في خطبتها إلى الإيمان القلبي لأهل البيت عليهم السلام، وتوكّلهم التامّ على الله تعالى، فتقول: «**أَلا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تَنطِف من دمائنا، والأفواه تَتحلّب من لحومنا، وتلك**

(١) اُنظر: ابن عربي، محمد بن علي، الفتوحات المكّية: ص١٥٢.

الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العَواسِل، وتعفّرها أُمّهاتُ الفَراعل، ولئن اتخذتنا مَغنَماً، لَتجدنّا وشيكاً مَغرماً، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما ربُكَ بظلّامٍ للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعوَّل»[1].

مقام التقوى

التقوى: من الوقاية، بمعنى: الحفظ وضبط النفس، فإذا جاءت بصورة اسم دلّت على الوقاية والاحتراز، وإذا جاءت بصورة فعلٍ يكون معناها الخوف من الله. والتقوى أهليّة واستعداد روحي، لها ميدانها الوسيع في السير والسلوك، كالبرّ والعبودية، بمعنى أنّ التقوى عبارة عن الهوية العامّة الجارية في كلّ المنازل والميادين ومقامات السير والسلوك، وهي الهوية السارية في كلّ المواقف والفضائل الإنسانية. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للصحابي المعروف (همام) في إحدى خطبه التي يعدّ فيها صفات المتّقين: «**فالمتّقون فيها هم أهل الفضائل**»[2]، ثمّ يذكر الكثير من صفاتهم إلى درجة أنّ هماماً قد غُشي عليه[3]؛ وذلك لأنّ هماماً لم يستطع تصوّر وتصديق تلك الصفات. ويقول عليه السلام في محلٍّ آخر: «**التقوى رئيس الأخلاق**»[4].

وعليه؛ فإنّ التقوى حاضرة في كلّ المؤهّلات والفضائل الإنسانية على حسب درجاتها، وبعبارة أُخرى: إنّ التقوى متربعة على رأس كلّ السجايا والمحاسن، والفضائل والملكات الخُلقية، سواء السجايا التي يحصل عليها الإنسان عن طريق الوراثة، أو السجايا التي يحصل عليها بالتنمية، أو الفضائل التي هي محاسن عقلانية، أو الملكات التي تمثّل المؤهّلات الخالدة والثابتة للإنسان.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: خطبة١٩٣، ص٣٠٣.
(٣) أُنظر: المصدر السابق.
(٤) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٤٢.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**التّقوى على ثلاثة أوجه: تقوى الله في الله، وهو ترك الحلال فضلاً عن الشبهة، وهو تقوى خاصّ الخاصّ، وتقوى من الله، وهو ترك الشبهات فضلاً عن حرام، وهو تقوى الخاصّ، وتقوى من خوف النار والعقاب، وهو ترك الحرام، وهو تقوى العام**»[1].

وعلى أيّة حال، فإنّ التقوى لها مراتب، تبدأ من الإيمان بالغيب والطاعة المطلقة للأوامر والنواهي الإلهية، حتّى يصل العبد إلى حدّ الارتياح والرضا والقرب والفناء[2].

والسيّدة زينب عليها السلام تُشير في خطبتها إلى بعض النقاط في مجال التقوى والطهارة من الأُمور البغيضة، وإلى أفعال يزيد الشنيعة، فتقول: «**الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول:** ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، **أظننتَ يا يزيد، حيث أخذتَ علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبَحنا نُساق كما تُساق الأُسراء، أنّ بنا هَواناً على الله، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لِعِظَم خطرك عنده، فشَمَخت بأنفِك، ونظرتَ في عِطفِك، جَذلانَ مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مُستَوثِقة، والأُمور مُتّسِقة، وحين صفا لك مُلكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً! أنَسِيتَ قول الله تعالى:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ **؟!**»[3].

مقام الخشوع

الخشوع: عبارة عن الاستعداد الروحي الرفيع، بحيث يكون الخوف فيه ممزوجاً بالمهابة والأدب، بمعنى أنّ عناصر الخشوع عبارة عن:

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٧، ص٢٩٥.

(٢) أُنظر: هاشمي نجف آبادي، سيّد رضا، مقامات عرفاني نماز در قرآن (مقامات الصلاة العرفانية في القرآنية): ص٢٦.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٦.

١ـ الخوف.

٢ـ مهابة المولى.

٣ـ الأدب الكامل.

فسّر البعض الخشوع بالتواضع، في حال كون التواضع ثمرة للفقر الذاتي، لكنّ الخشوع ثمرة الخشية والخوف الدائم، كما أنّه يستند إلى الفقر أيضاً، ومن هذا المنطلق يقول الخواجة: إنّ ميدان الخشوع يولد من ميدان الخشية، إنّ الخشوع خوف مصاحب لليقظة والاستكانة، وهو يوجب التسليم والإيثار في التعامل مع الله تعالى وخلقه، ولا بدّ من مراعاة هذه الحرّية والعظمة بالنسبة إلى المولى تعالى. كما يقول الخواجة في مكانٍ آخر: الخشوع هو المنزل الرابع عشر من منازل السير والسلوك، وهو عبارة عن خمود النفس وهمود الطبع، وهو أعلى من التواضع والخضوع، وهو موجب لانكسار النفس وتذلّل الأُمور، واستسلام الحكم، بحيث إنّ العبد لا يحكم من قِبل نفسه، فلا شيء سوى الله تعالى، ليس ذلك تسليماً وإسلاماً فحسب، بل إنّ ذلك استسلام وإيجاد للتسليم المطلق في القلب والنفس والروح[١].

فبعض الأفراد يخشعون في الظاهر، ويأخذون طابع الخشوع في الصلاة، إلّا أنّ قلوبهم ليست في مقام الخوف والتسليم والخشوع، فإنّ هؤلاء قد حمّلوا الخشوع على أنفسهم لخداع الآخرين، وهذا هو خشوع المنافق الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وآله، والذي يُرى كثيراً مع الأسف.

وقد أشارت السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها إلى الخشوع والخوف من الله، واجتناب الخوف من غير الله بقولها: «**ولئن جَرَّت عليّ الدواهي مُخاطبتَك، إنّي لأستصغرُ قَدرَك، وأستَعظمُ تَقريعك، وأستكثر توبيخك، لكنّ العيون عَبرى، والصدور حَرّى**»[٢].

(١) أُنظر: هاشمي نجف آبادي، سيّد رضا، مقامات عرفاني نماز در قرآن (مقامات الصلاة العرفانية في القرآنية): ص٤٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.

مقام الخشية

وردت في القرآن الكريم بعض الكلمات تُبيّن الأبعاد المختلفة للخوف، من قبيل: الخوف، الوجل، الإنذار، الحذر، اليأس، الخشوع، التقوى، الهلع، الشفقة، الرهبة والخشية.

إنّ كلمة الخشية التي هي محلّ بحثنا هنا، والتي ترتبط بالصلاة، هي بمعنى: المراقبة والمواظبة المساوقة للخوف، أي: الخوف المطلق والعميق بالنسبة للصلاة، ممّا يوجب المواظبة عليها بصورة مطلقة، فإنّ الخشية من الرحمن تعالى، والخشية من القيامة، والخشية من الناس التي ذُكرت في القرآن، كلّها قد أتت بهذا المعنى، مع اختلاف يتمثّل في أنّ الخوف من الناس أمرٌ اعتباري، وهو مورد للإنكار الإلهي. ولعلّ الأعداء أرادوا في الحرب أن يُلقوا الخوف والرعب في قلوب المؤمنين، فحذّرهم سبحانه بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[1]، فلا تخافوهم؛ لأنّهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، بل اخشوني أنا، وواظبوا على العمل بما آمركم به.

إنّ الخشية من الله هي هكذا أيضاً، فإنّها تعني: المراقبة والمواظبة على أداء الأعمال والأوامر، وترك النواهي الإلهية؛ خوفاً منه تعالى. فإنّ المتّصف بهذه الصفة ينظر إلى الأُمور بصورة دقيقة مع علمه ومعرفته بها، فيواظب عليها ويؤدّيها خوفاً من مقام العدالة الإلهية. وعليه؛ فإنّ الخشية أمرٌ وسطي بين الخوف والمراقبة، والمصلّون أصحاب الخشية هم الذين يؤدّون صلاتهم، وهم يرقبون ضمن ذلك وقتها ومقدّماتها والأذكار المتعلّقة بها، بأن تكون على أفضل صورة وأكملها، وأن لا تُصيبهم الغفلة عن مخافة الله في أيّ آنٍ أو لحظةٍ من لحظاتها، فقد سألوا أحد العظماء عن الخشية، فقال: هي حالة بين الخوف والرجاء، كما سُئل أحد السالكين عنها، فقال: «**هي المواظبة مع الرجاء، والمراقبة مع الوعيد، والمراودة بمعية التفاؤل، فلا يُصاب باليأس**

(١) البقرة: آية ١٥٠.

عند المواظبة، ولا ينسى الوعيد عند المراقبة، ولا ييأس عند المراودة»[1].

وقد أشارت السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها إلى مقام الخشية والخوف من الله، كما مرّ ذكره في مقام الخشوع؛ حيث قالت: «**ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغرُ قدرك، وأستَعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكنّ العيون عَبرى، والصدور حَرّى**»[2]. إذاً؛ فالعارف والسالك الحقيقي هو مَن يخشى الله تعالى لا غير.

مقام الذكر

الذكر سادس منزلة من البدايات التي تُطرح في طريق السير والسلوك إلى الله تعالى، وهو يحصل بعد الإنابة والتفكّر، بمعنى: أنّ الذكر نتيجة التفكّر، وقد ذكروا أنّ التفكّر بحثٌ، والتذكّر اكتشاف، والإنابة وثبة، أمّا الذكر فهو إمّا أن يكون عن خوف، أو عن أمل ورجاء، أو عن رغبة وحاجة، فالذكر على ثلاث مراتب.

فلو كان الذكر ناشئاً من الخوف، فعلى الذاكر أن يكسر العادات والتقاليد ويُغطّيها، ثمّ لا يعيرها أيّ اهتمام، وأن يتأسّف على ضياع أوقات الخشوع[3].

أمّا إن كان الذكر لأجل الأمل، فيجب أن يدفع بصاحبه نحو التوبة، فيكون طالباً لشفاعة الشافعين ورحمة الحقّ تعالى.

وإن كان الذكر لأجل الحاجة، فيجب أن يكون مرافقاً للمناجاة، حتّى يصبح الفرد لائقاً للحضور، وشاكراً وسعيداً ومنشرح الصدر عندما ينظر إلى المولى عزّ وجلّ.

ولذا؛ نجد عند الذاكرين أوراداً متنوعة وأذكاراً مختلفة، كتكرار الصفات والأسماء الإلهية تبعاً للأعداد الخاصّة بالحروف الأبجدية، أمثال: (القدّوس) الذي يجب أن

(١) هاشمي نجف آبادي، سيّد رضا، مقامات عرفاني نماز در قرآن (مقامات الصلاة العرفانية في القرآن): ص٤٦.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.

(٣) أُنظر: هاشمي نجف آبادي، سيّد رضا، مقامات عرفاني نماز در قرآن (مقامات الصلاة العرفانية في القرآن): ص٧٨.

يُردّد ١٧٠ مرّة، أو (يا الله) ٦٦ مرّة، أو (الرحمن) ٢٩٨ مرّة، وهكذا يتمّ حسابها وتكرارها تدريجياً طبقاً لحساب الأبجد الكبير، وقد أشار الشهيد مصطفى الخميني رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم إلى بعض هذه الأذكار.

إنّ الذكر محوري في منظومة السلوك العرفاني، ويمكن القول: إنّ كلّ عناصر المنظومة ترتبط بنحوٍ أو بآخر بمقام الذكر، وتدور حوله؛ لأنّ الهدف الغائي من السلوك العرفاني هو التقرّب إلى الله تعالى، وأنّ أكبر حجاب ومانع من التقرّب هو نسيان الله تعالى[1].

يبدأ الذكر من مرحلة الخوف، ويرتقي إلى المراحل الأُخرى، حتّى يصل إلى درجة يكون الله تعالى فيها ذاكراً، فهناك بونٌ واسع بين أن تذكر الله وأن يذكرك الله.

وآيات الذكر الحكيم تُشير إلى نقاط مهمّة ومفيدة في مجال ذكر الحقّ تعالى، كذكر الله تعالى عن طريق تذكّر نعمه، من قبيل: ذكر أيام الله، وذكر آلائه، وذكر آياته، وذكر رحمته، وذكر النعم المادّية، وذكر الأسماء الإلهية، وذكر القرآن وتلاوة آياته، والصلاة وإقامتها، وذكر القيامة، وغير ذلك مما يجعل الإنسان من الذاكرين، فإنّ هذه الطرق تُحقّق الذكر لله تعالى بصورة عملية.

والكثير من الآيات تذكر أنّ الصلاة ذكرٌ لله تعالى، وبعضها تحصر الذكر في الصلاة، كما في الآية (١٥) من سورة الأعلى، أو الآية (٣٤) من سورة طه، أو الآيتين (٤١) و(١٩١) من سورة آل عمران، أو الآيتين (١٠٣) و (١٤٢) من سورة النساء، أو الآية (٤٥) من سورة العنكبوت، أو الآية (٣٧) من سورة النور، أو الآية (٩) من سورة الجمعة، وغيرها من الآيات التي تُشير إلى ذكر الله تعالى.

إضافة إلى ذلك، هناك آيات أُخرى تُشير إلى الموانع التي تحول دون ذكر الله تعالى، من قبيل: عدم التعقّل، الوساوس الشيطانية، الوساوس الخَلقية والخُلقية، وقساوة

(١) أُنظر: وليئي محمد آبادي، قربان، بررسي ارتباط ذكر وسكوت عرفاني (تحليل العلاقة بين الذكر والصمت العرفاني): ص١.

القلب، كما أشار أهل البيت عليهم السلام إلى تفاصيل هذه الموانع الأربعة التي ذُكرت في القرآن الكريم، والتي تتطلّب جهداً كبيراً لشرحها.

في مقابل ذلك، فإنّ ما يوجب زيادة الذكر هو عبارة عن: الخشوع، والتعقّل، وفوق كلّ هذا هو التوفيق الإلهي، بمعنى: أنّ العرفان والمعرفة والتواضع النفسي كلّ ذلك يهيّئ الأرضية اللازمة التي تجعل الإنسان لائقاً لذكر الله تعالى؛ ولذا قالوا: إنّ التفكّر في الآلاء الإلهية والتعوّذ بربّ الناس، وخدمة خلق الله، لها دور كبير في توفيق الإنسان لذكر الله تعالى.

وقد جاء في خطبة السيّدة زينب عليها السلام أنّها قامت وقالت: «**الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول:** ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، **أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الأُسراء، أنّ بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأُمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا؟! فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾؟!»[1].

إنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت ذاكرة لله تعالى، وهذا ما كان واضحاً منها في واقعة عاشوراء وما بعدها.

مقام السكينة

تمثّل السكينة ـ كما عبّر عنها الخواجة عبد الله الأنصاري في (منازل السائرين) ـ المقام الثامن والخمسين، وقد اشتُقّت كلمة السكينة من السكون، أي: الاطمئنان في مقابل الحركة، ويؤخذ في معنى السكون أيضاً الاستقرار ورفع الضبابية والتشويش

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٥.

والحيرة والتردّد، ويُعبَّر عن السكينة في مرتبة عالية بالطمأنينة، فالطمأنينة تحصل من وادي السكينة، وتستبطن السكينة القوّة والاستقرار والوقار والنورانية والعدالة، وكلٌّ من هذه الأوصاف يمثّل ـ في الحقيقة ـ بُعداً من أبعاد السكينة.

إنّ الأعمال والعبادات الملائمة للفطرة يصحبها الهدوء والاستقرار، ثمّ بفعل الممارسة والتكرار تؤول إلى السكينة والفضيلة، وإذا اشتدّت السكينة أضحت مقاماً واسعاً وعظيماً، أمّا إذا ابتعدت تلك العبادات عن الفطرة وتعلّقت بالأُمور الدنيوية، وامتزجت بالوهم والخيال والأُمور الاعتبارية، فإنّها ستؤدّي آنذاك إلى الانحراف عن الصراط المستقيم وعن الاستقرار والسكينة، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، بمعنى أنّ الكفار يقعون في الأخطاء بسبب ابتلائهم بالظلمات، وابتعادهم عن الفطرة.

لذا؛ فإنّ مصدر السكينة هو النور، وهو عبارة عن الإيمان، والإيمان هو أساس التقوى، وبواسطتها يصل الخائف إلى الأمن، فتتحوّل الوحشة إلى سلوى، والخوف إلى صفاء باطني.

وخلاصة القول: إنّ السكينة والسكون من حالات القلب التي توجب طمأنينة النفس وثبات القلب، وكما ورد في آيات القرآن فإنّ السكينة تُلازم قوّة الإيمان، وتُلازم التقوى أيضاً، فقد عبّر المرحوم العلّامة الطباطبائي رحمه الله في (تفسير الميزان) عن السكينة بأنّها: «**غير العدالة التي هي ملكة نفسانية تردع عن ركوب الكبائر والإصرار على الصغائر، فإنّ السكينة تردع عن الصغائر والكبائر جميعاً. وقد نسب الله السكينة في كتابه إلى نفسه نسبة تُشعِر بنوعٍ من الاختصاص، كما نسب الروح إلى نفسه دون العدالة**»[2].

(١) الأنعام: آية١٢٢.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٩، ص٢٢٧.

وإذا كان ثمّة إشارة إلى الجزع في خطبة السيّدة زينب عليها السلام فإنّ ذلك ليس خوفاً من يزيد؛ لأنّ ذكر الله تعالى والاعتصام به يملأ قلبها بالطمأنينة والسكينة، قالت عليها السلام: **«ولئن جَرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغرُ قدرَك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكنّ العيون عَبرى، والصدور حَرّى»**[1].

مقام الصبر

الصبر: هو سعة الصدر والتحمّل في جميع الأحوال، بمعنى أن لا يغترّ الإنسان ولا يثمل في حال الثروة والغنى، ولا ييأس في حال الفقر والحاجة، لا تزلّ قدمه عند النعم، ولا ينسى نفسه، لا ييأس عند البلاء، ولا يغترّ في السرّاء، يُبعده التفكير بالعاقبة ومآل الأعمال عن اليأس والتسرّع، شاكراً لله الرحيم بخلقه، عارفاً بذاته.

وقد أمر القرآن الكريم الناس بالصبر، لكن كلٌّ حسب إيمانه وقدرته، فللصبر درجات: درجة العوام، ودرجة العلماء، ودرجة العرفاء، ودرجة العُبَّاد، ودرجة الأنبياء، وكلّ واحدة من هذه الدرجات تتحدّد وفق السعة الوجودية والمسؤولية؛ وعلى أساس هذا التقسيم للصبر قالوا: **«والصبر ما أوّله مُرّ وآخره حلو لقوم، ولقوم مُرّ أوّله وآخره، فمَن دخله من آواخره فقد دخل، ومَن دخله من آوائله فقد خرج، ومَن عرف قدر الصبر لا يصبر عمّا منه الصبر»**[2].

تقول السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها: **«الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول:** ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾**، أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأُسراء، أنّ بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسروراً، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأُمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا**

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.
(٢) كتاب مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص١٨٦.

وسلطاننا؟! فمهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟!»[1].

فالسيّدة زينب عليها السلام مثال الإنسان المؤمن الصبور، وهذا ما جعلها الداعية لكربلاء، والفاضحة لأعدائها، بكلّ وعي وحنكة.

النتيجة

لقد احتوت خطبة السيّدة زينب عليها السلام ـ حسب ما تمّ من بحثٍ وتحليل ـ على أُمورٍ لافتة لنظر الأعداء، لكنّها عليها السلام إضافة إلى ما وجهته للعدو من خطاب قد أشارت إلى الكثير من الأُمور القيّمة والأسرار العرفانية، كما وضّحت طريق السير والسلوك الذي يوجب سعادة الدنيا والآخرة.

وأهمّ خطوة عرفانية بيّنتها السيّدة عليها السلام هي الطاعة المطلقة والمحضة لله تعالى، والتقوى والعبودية له عزّ وجلّ، وهذا ما نلمسه في الكثير من محطّات خطبتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا بالطبع أهمّ أهداف ثورة عاشوراء، وقد أكّدت السيّدة عليها السلام رعايةَ الأوامر الإسلامية من أُصول وفروع، تلك الأوامر التي ترقى بالفرد إلى مقام العبودية الرفيع.

وعليه؛ فإنّ الشواخص العرفانية الأساسية: كالعدالة، والصبر، والمغفرة، والشكر لله، والتوكّل، والاطمئنان بالله وغيرها، هي من لوازم الوصول إلى مقام العبودية والتقوى، وقد جعلتها السيّدة زينب عليها السلام مبنىً ومنطلقاً لكلّ أفعالها بعد واقعة عاشوراء.

إنّ أهمّ الشواخص العرفانية التي تمّ البحث عنها في خطبة السيّدة عليها السلام عبارة عن: مقام الصبر، ومقام السكون، ومقام الذكر، ومقام الخشية، ومقام الخشوع، ومقام التقوى، ومقام التوكّل، ومقام الإخلاص، ومقام الاعتصام، ومقام الاطمئنان، ومقام الإحسان، وغيرها.

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٥.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢ ـ الأمالي، محمد بن علي الملقّب بالصدوق، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.ق.

٣ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣هـ.ش.

٤ ـ بررسي ارتباط ذكر وسكوت عرفاني، قربان وليئي محمد آبادي، مجموعة مقالات الملتقى الدولي الثامن لاتحاد ترويج اللّغة والأدب الفارسي، ١٣٩٣هـ.ش.

٥ ـ بررسي تطبيقي عرفان مولانا وعرفان بودا در باب تمركز فكر.. نقاط مشترك وتأثير بر معنويت إيران امروز، مجموعة مقالات مؤتمر (فرهنگ و انديشه) الدولي، ١٣٩٣هـ.ش.

٦ ـ تشيّع در مسير تاريخ، حسين محمد جعفري، ترجمة: السيد محمد تقي آية اللّهي، الطبعة العاشرة، ١٣٥٩هـ.ش.

٧ ـ تطابق عرفان وسايبرنتيك در وحدت وجود، حورية أدهم، فصلنامه تخصصي عرفان، السنة السادسة، العدد ٢٢.

٨ ـ تفسير سوره مزمل، مرتضى مطهّري، مطبعة صدرا، طهران، ١٣٦٤هـ.ش.

٩ ـ حضرت زينب عليها السلام در مقام تسليم ورضا، حسين علوي مهر، مجلّه ماهنامه كوثر (مجلة كوثر الشهرية)، العدد السادس، ١٣٩٣هـ.ش.

١٠ ـ حماسه حسيني، مرتضى مطهري، مطبعة صدرا، طهران، الطبعة الحادية والعشرون، ١٣٧٥هـ.ش.

١١ ـ زينب قهرمان، أحمد صادقي أردستاني، طبعة مطهر، طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٢هـ.ش.
١٢ ـ عرفان نظري، يحيى يثربي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٢هـ.ش.
١٣ ـ الفتوحات المكّية، محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن عربي، السفر الرابع والرابع عشر، طبعة عثمان يحيى، القاهرة، ١٤١٢هـ. ق.
١٤ ـ فلسفه أخلاق، مرتضى مطهّري، مطبعة صدرا، طهران، ١٣٧٥هـ.ش.
١٥ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.ش.
١٦ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بابن طاووس، طهران، ١٣٨١هـ.ش.
١٧ ـ مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٨ ـ مقام مقدّس اعتصام، السيّد حسن الأبطحي، مكتبة تبيان الإلكترونية، ١٣٩٠هـ.ش.
١٩ ـ مقامات عرفاني نماز در قرآن، رضا هاشمي نجف آبادي، لجنة إقامة الصلاة، طهران، ١٣٧٨هـ.ش.
٢٠ ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطبأطبائي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، قم المقدّسة.
٢١ ـ ناسخ التواريخ، محمد تقي لسان الملك سپهر، كتابفروشي إسلاميه (مكتبة إسلامية)، الجزء الأوّل.
٢٢ ـ نهج البلاغة، الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، تحقيق: صبحي الصالح، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٢٣ ـ وفاة حضرت زينب عليها السلام، مجلة إشارات، العدد العاشر بعد المائة، ١٣٨٧هـ.ش.
٢٤ ـ وفيّات الأئمة، مجموعة من علماء البحرين والقطيف، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

قراءة في
مفهوم العزّة لدى السيّدة زينب عليها السلام
وبقيّة أُسارى كربلاء في مواجهة العدو

د. معصومة ريعان*
ترجمة: الشيخ محمد الحلفي**

مقدّمة

كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام بلورةً للأسماء الإلهية في حياتهم العملية، وقد تجلّت وتجسّدت أسماء الحقّ تعالى في واقعة كربلاء الأليمة، وحادثة أسر النساء والأطفال المفجعة، ومن بينها اسمه (العزيز) الذي برز في سلوك هؤلاء الغيارى، فكان لاسم الله العزيز ظهور تامّ وكامل في عمل أُسارى كربلاء، فلم تطأطئ لهم هامة أمام العدو على امتداد مدّة الأسر القاسية؛ الأمر الذي يكشف عن مدى عظمة هذا البيت وشرفه وكرامته في جميع الظروف وتقلّبات الزمان العصيبة.

إنّ ملاحظة تصرفات وأقوال هؤلاء الأحرار تمثّل فرصة لمعرفة واقعية السيرة العملية لهذا البيت الطاهر، وتُثبت مدى رُقي الخصال الروحية والنفسية التي يتمتّع بها أفراده كنسيج واحد.

مفهوم العزّة

قال الراغب الإصفهاني: «**العزّة: حالة مانعة للإنسان من أن يُغلَب، من قولهم:**

---

* عضو الهيئة العلمية في جامعة بوعلي سينا/ همدان/ إيران.
** مؤسّسة وارث الأنبياء/ قسم الترجمة.

أرض عزاز، أي: صُلبة»[1]، وعنه أيضاً: «وتعزّز اللحم: اشتدّ وعزّ، كأنّه حصل في عزاز يصعب الوصول إليه، كقولهم: تظلّف، أي: حصل في ظلف من الأرض»[1]، ويرى كذلك أنّ هذه المفردة بلحاظ معنى الصلابة والمقاومة قد تُستعار إلى معانٍ أُخرى: كالغلبة والصعوبة والحميّة والأنفة، وغيرها[2].

بناء على هذا؛ فإنّ العزّة حالة نفسية تمنع من الانكسار، والعزيز: هو الشخص الغالب الذي لا يُقهر، وتُشير الآيات أدناه إلى عزّة الله سبحانه:

«قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا﴾[4]، قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾[6]، فقد يمدح بالعزّة تارةً كما ترى، ويذمّ بها تارةً كعزّة الكفّار، قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾[7]، ووجه ذلك: أنّ العزّة التي لله ولرسوله وللمؤمنين، هي الدائمة الباقية، التي هي العزّة الحقيقيّة، والعزّة التي هي للكافرين، هي التعزّز، وهو في الحقيقة ذلّ، كما قال (عليه الصلاة والسلام): كلّ عِزٍّ ليس بالله فهو ذُلٌّ، وعلى هذا قوله: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾[8]، أي: ليتمنّعوا به من العذاب»[9]. فجاءت هذه المفردة بمعناها اللّغوي في الاستعمال القرآني.

ولقد وردت مفردة (العزّة) في القرآن عشر مرّات، وكلمة (عزيز) اثنتين وتسعين مرّة، وأمّا مرادفاتها فقد وردت كثيراً في القرآن، وفي كلّ موضع قد أُشير بها إلى معنى خاص له نحو ارتباط بالمنعة والمقاومة.

---

(١) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٥٦٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) العنكبوت: آية٢٦.
(٤) يوسف: آية٨٨.
(٥) المنافقون: آية٨.
(٦) الصافات: آية١٨٠.
(٧) ص: آية٢.
(٨) مريم: آية٨١.
(٩) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٥٦٣.

كما أنّ هذا التعبير جاء في القرآن غالباً بمعنى الحسن، فقد وصف الله تعالى ذاته المقدّسة بـ(العزيز) أو (عزيز)، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، وأحياناً يتطرّق إلى العزّة المذمومة، وهي تعني التمنّع والمقاومة في مقابل الحقّ، والإصرار على الانحراف، وتلك هي الذلّة بعينها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾[2].

فالعزّة بمعناها الممدوح تعني: القهر والغلبة، وهي في الأصل مختصّة بالله سبحانه؛ لأنّ جميع المخلوقات فقيرة ومحتاجة إليه، فهي بالنسبة إليه ذليلة، ويدلّ على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[3]، ولكنّ الله برحمته وفضله أفاض بذلك على المؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

وعليه؛ فالمعنى الحقيقي للعزّة خاصّ بالله تعالى؛ لأنّ جميع مخلوقاته ـ وهي فقيرة في ذاتها ـ محتاجة إليه، ولا تمتلك شيئاً إلّا بفضل الله وكرمه.

توظيف العزّة في الإصلاح الديني

يرى العلماء المسلمون أنّ حقيقة العزّة مختصّة بالله تعالى، فهو الغالب والقاهر، وليس لسواه نصيب فيها، إلّا لمن طلبها عن طريق العبودية، آملاً أن يفيضها عليه تعالى من رحمته[5]، ويقولون في بيان سريان هذه الصفة للإنسان المؤمن: إنّ المؤمن يرتقي إلى الله تعالى، ويتحلّى بالصفات الإلهية تبعاً لروح العبودية، والتسلّط على النفس، والاتصاف بالقناعة، والتخلّص من الطمع في هذا العالم الذي لا يجلب سوى الذلّة، والاتصال بمنبع فيض الرحمة الإلهية؛ لهذا تتجلّى فيه العزة كالأنبياء

(١) التوبة: آية٤٠.
(٢) البقرة: آية٢٠٦.
(٣) النساء: آية١٣٨ـ ١٣٩.
(٤) المنافقون: آية٨.
(٥) أُنظر: النراقي، أحمد، جامع السعادات: ج١، ص٢٣٥.

ورسل الحقّ، وتُضفي على قلبه القوّة والثبات والاستقامة، وتصبح حياته بعزّته، فلا يأذن الله له أن يتخلّى عن عزّته، وأن يتقبّل الذلّ بأيّ حال من الأحوال، وقد نقل أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كلّ شيء إلّا إذلال نفسه**»[1]، وفي رواية أُخرى: «**إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن أُموره كلّها، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً... إنّ المؤمن أعزّ من الجبل، إنّ الجبل يستقلّ منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقلّ من دينه شيء**»[2].

وعليه؛ فإنّ العزّة التي يُعبّر عنها فيما يخصّ الإنسان بعزّة النفس، هي بالأصل لله تعالى؛ لأنّه سبحانه غالب غير مغلوب، وقاهر غير مقهور، والإنسان بماهيته الإمكانية متمحّض في الفقر، فلا يملك شيئاً إلّا بمقدار ارتباطه بالعزيز المطلق ومركز العزّة، والله تعالى برحمته يُفيض عليه من عزّته.

ولهذا؛ فإنّ الطريق الوحيد لنيل العزّة والكرامة هو التخلّق بالأخلاق الإلهية، والدخول في هذا المضمار لاكتساب شيء من الفيض الربوبي من هذه الصفة، وعلى الرغم من أنّ الإنسان لديه استعداد للعزّة في ضوء العزّة الإلهية، واستعداد للذلّ بالابتعاد عن الله وإطاعة هوى النفس، فإنّ وظيفة المؤمن أن لا يذلّ نفسه، وأن يهيّئ أسباب العزّة، كالإيمان والتقوى والشجاعة وعلو الهمّة والارتباط بأولياء الله؛ حتّى يبلغ ينبوع العزّة، وعندها لن يكون هناك ما يُضعف إيمانه وهمّته.

وفي هذا المجال عرّف بعض علماء النفس العزّة بتعريف أعمّ، فقالوا: «**عزّة النفس هي: كيفية إحساسنا تجاه أنفسنا، ويمكن القول: إنّها مفتاح سلوك الشخص**». وعرّفت أيضاً بأنّها: «**حكم الفرد الشخصي على قيمه**»[3]، فهؤلاء يعتقدون أنّ من أهمّ عوامل التحوّل النفسي للفرد هو عزّة النفس، فإنّ الأشخاص الذين يتمتعون بعزّة النفس،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٦٣.
(٢) النراقي، أحمد، جامع السعادات: ج١، ص٢٣٥ـ٢٣٦.
(٣) اُنظر: حق پناه، رضا، عزت از منظر قرآن وسنّت (العزّة من منظار القرآن والسنّة): ص١٣١.

لديهم ـ بلا شك ـ تصور إيجابي عن أنفسهم، ويمتازون عن أُولئك الذي يتمتعون بمستوى متدنّي من عزّة النفس، فهؤلاء يضعون أهدافاً أرفع وأسمى نصب أعينهم، ولديهم إحساس بالسيطرة أكثر، وقليلاً ما يشعرون بالإحباط أو الإفلاس، وبحسب الرؤية الأخلاقية فإنّهم أفراد متميّزون، لا يتحلّون باللياقة فحسب، بل لديهم نظرة إيجابية عن أنفسهم[1].

والنقطة التي تقع في الجهة المقابلة لهذه الصفة النفسية هي ضعف النفس، والتي يعدّها الملا أحمد النراقي من الصفات الأخلاقية الرذيلة، التي تخالف العزّة وعلوّ الهمّة، حيث قال: «**صغر النفس: وهو ملكة العجز عن تحمّل الواردات، وهو من نتائج الجبن، ومن خبائث الصفات، وتلزمه الذلّة والمهانة، وعدم الاقتحام في معالي الأُمور، والمسامحة في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، والاضطراب بعروض أدنى شيء من البلايا والمخاوف**»[2].

ثمّ أشار النراقي إلى الأخبار التي جاء فيها أنّ «**المؤمن بريء من ذلّة النفس**»[3]، وكلّ ذلك فرع عظمة النفس، قال الباقر عليه السلام: «**المؤمن أصلب من الجبل**»[4]، وقال عليه السلام: «**إنّ الله تعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا والآخرة، والفَلج في الدنيا والآخرة، والمهابة في صدور الظالمين**»[5].

وقال أرباب التفسير ـ في ذيل الآية الثامنة من سورة المنافقين ـ بشأن صفة العزّة: «**فعزّة أهل الإيمان ناتجة عن الاعتقاد القلبي والارتباط القوي بالربّ سبحانه، والطاعة لرسوله صلى الله عليه وآله، فعزّة أهل الإيمان عن رشحات عزّة الساحة الإلهية والنبوية وقدرتهما، وبالتالي ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ تكشف عن حقيقة القدرة والعزّة، وإنّها مختصّة بساحة**

(١) أُنظر: المصدر السابق.
(٢) النراقي، أحمد، جامع السعادات: ج١، ص٢٣٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٤، ص٣٦٢.
(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٣٤.

الكبرياء الإلهي أصالة، ومن أنوارها مقام الرسالة، وكذلك أهل الإيمان، فإنّهم يكتسبون عزّة وقدرة ـ تفوق التصوّر ـ في الدنيا والآخرة؛ تبعاً لطاعة الرسول صلى الله عليه وآله»[1].

التوظيف الإصلاحي للعزّة في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام

يقول العارفون بالله تعالى: إنّ الرسول هو الخاتم؛ باعتباره إنساناً كاملاً، وخليفة الله في أرضه، الذي جمع الله تعالى فيه كلّ أسمائه وصفاته المتقابلة، وجعله جامعاً لكلّ صفاته، فوجوده المقدّس صلى الله عليه وآله مظهر الصفات والأسماء الإلهية، ومظهر جميع تجلّيات الحقّ. والعزيز: اسم الله المقدّس، ومظهر الصمود والصلابة، قد سرّاه الحقّ تعالى إلى مرتبة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله، وبحسب عالم الغيب ومقام الأعيان الثابتة، فإنّ هناك اتحاداً ووحدة بين الرسول الخاتم وأهل بيته عليهم السلام، فتلك الأنوار القدسية مصداق الإنسان الكامل أيضاً؛ لأنّ «**الرسول صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام من شجرة واحدة، كما قال** صلى الله عليه وآله: **(أنا وعلي من نور واحد)، و(أنا وعلي من شجرة واحدة)**»[2].

ومن هنا جاءت التوصية بالاتصاف باسم الله العزيز في كلام الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام متّحدة، فهذا الاسم قد اتحد مع الوجود المبارك لجميع أهل البيت عليهم السلام، وانتفع جميعهم بظلّ هذا الاسم المقدّس؛ لهذا نجدهم جميعاً يؤكّدون تأكيداً شديداً على اتصاف المؤمنين بالعزّة، وتجنّب الهوان والذلّة في حياتهم، وهناك الكثير من الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام تشرح حياة الناس المؤمنين في ظلّ العزّة والكرامة، يقول عليه السلام: «**إنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى المؤمن أُموره كلّها، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع قول الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؟ فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً**»، ويقول في بيان هذا الاتصاف الربوبي: «**إنّ المؤمن أعزّ من الجبل، إنّ**

(١) نجفي حسيني، محمد، أنوار درخشان (الأنوار الساطعة): ج١٦، ص٣٧٨.
(٢) الخميني، روح الله، شرح دعاي سحر (شرح دعاء السحر): ص١٣٢.

الجبل يستقل منه بالمعاول، والمؤمن لا يستقل من دينه شيء»[1]. فإنّ الله ـ بحسب قول الإمام الصادق عليه السلام ـ قد فوّض للمؤمن كلّ شيء ما خلا إذلال نفسه[2]، وفي الإجابة عن كيفية إذلال الإنسان نفسه، قال عليه السلام: «**يدخل فيما يتعذّر منه**»[3].

هذا الالتزام التام والكامل لأئمّة أهل البيت عليهم السلام بالعزّة في سيرتهم العملية إنّما هو ثمرة تربية النبي صلى الله عليه وآله وسيرته العملية التي توارثها أبناؤه عليهم السلام، والروايات المشهورة لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله الحاثّة على عزّة النفس وعدم إذلالها[4] متجذرةٌ في أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم، بحيث إنّهم عليهم السلام على مدى التاريخ لم يرضخوا للذلّ والهوان يوماً ما، ولم يَشُب سيرتهم ذلّ من أجل نيل رغبة، فالعزّة تمثّل في حياة أئمّة الشيعة عليهم السلام أصل حركتهم العملية وعمادها، وبهذه الخصوصية امتازوا عن أعدائهم، كما جاء في وصف علي عليه السلام امتيازه عن معاوية حين قال عليه السلام: «**والله، ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكنّ كلّ غدرة فجرة، وكلّ فجرة كفرة، ولكلّ غادر لواء يُعرف به يوم القيامة**»[5].

والشواهد التاريخية تُبيّن مدى تشابك وتأصّل العزّة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، واستمرّت هذه الخصوصية في وصاياهم لأبنائهم ولجميع الناس، كما في إشارة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أحوال الماضين في وصاياه العامّة، حيث قال: «**فالزموا كلّ أمر لزمت العزّة به شأنهم**»[6]، وفي وصيّته عليه السلام لابنه الحسن المجتبى عليه السلام

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٦٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق: ص٦٤.
(٤) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «**لا يحلّ للمؤمن أن يذلّ نفسه**». ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد: ج٢٣، ص٢٨٤. وروي أيضاً أنّه قال: «**اطلبوا الحوائج بعزّة الأنفس**». ابن عساكر، علي ابن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٥٣، ص٧٠.
(٥) محمد عبدة، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١٨١.
(٦) المصدر السابق: ص١٥١.

يحثّه فيها على ذلك بقوله: «**أكرم نفسك عن كلّ دنية، وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً**»[1]، وبحسب رأي أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ «**ساعة ذلّ لا تفي بعزّة الدهر**»[2].

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام يرى أنّ: «**الموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**»[3]؛ ولهذا كان عليه السلام يتخوّف دائماً على الأُمّة من الذلّ والهوان، ويحذّرهم من المستقبل: «**أَما إنّكم ستلقَون بعدي ذلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة**»[4]، وفي انتقاده لذلّ رجال كعمرو بن العاص وبيانه لعزّته عليه السلام، ارتقى المنبر قائلاً: «**عجباً لابن النابغة، يزعم لأهل الشام أنّ فيّ دعابة، وأنّي امرؤ تلعابة أُعافس وأُمارس، لقد قال باطلاً ونطق آثماً، أَما وشرّ القول الكذب، إنّه ليقول فيكذب**»[5]، ثمّ يتعرّض الإمام لرذائل عمرو بن العاص في حرب صفّين قائلاً: «**فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو، ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القَرْم سبّته، أَما والله، إنّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة، إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط له أن يؤتيه أَتيّة، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة**»[6]. وقد كتب لمعاوية في بيان عزّته وشجاعته عليه السلام: «**وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك في مقام واحد، وإنّك والله ما علمتُ، الأغلفُ القلب المقارب العقل، والأَوْلى أن يقال لك: إنّك رقيت سُلّماً أطلعك مطلع سوء عليك لا لك**»[7].

ولشدّة ضعة أعداء أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، لـمّا لم يتغلّبوا عليه في ميادين

(١) المصدر السابق: ج٣، ص٥١.
(٢) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٨٤.
(٣) محمد عبدة، شرح نهج البلاغة: ج١، ص١٠٠.
(٤) المصدر السابق: ج١، ص١٠٦.
(٥) المصدر السابق: ص١٤٧.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق: ج٣، ص١٢٣.

القتال صاروا يُسيؤون إليه في غيابه، فقد ذكر المؤرّخون خطبة لمعاوية بعدما بايعه الناس، فجاء باسم علي والحسن عليهما السلام ولعنهما وشتمهما، وكان الإمام الحسن والحسين عليهما السلام حاضرين، فقام الإمام الحسين عليه السلام، فأمسك الإمام الحسن عليه السلام بيده وأجلسه، وقام هو وقال: «**أيّها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة وأُمّك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّك حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً! فقال طوائف من أهل المسجد: آمين**»[1].

وكتب الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية كتاباً ضمّنه بيان عزّة البيت العلوي، وحقّهم المسلّم بالخلافة، وتحذير معاوية من فعلته: «**فاليوم فليعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمرٍ لست من أهله! لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولكنّ الله خيّبك، ستُردّ فتعلم لمن عقبى الدار، تالله، لتلقينّ عن قليل ربّك، ثمّ ليجزينّك بما قدّمت يداك، وما الله بظلّام للعبيد**»[2].

وقد أوصى الحسن عليه السلام في آخر لحظات عمره الشريف بالعزّة، وبيّن أنّها بطاعة الله تعالى: «**وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ**»[3].

فالعزّة الواردة في هذه الروايات وأمثالها تعني: عدم الظلم، وعلوّ الهمّة، وعدم اقتراف الذنوب، فالإنسان ليس منفصلاً عن المجتمع، ولا يعيش بمعزل عن التعامل مع أفراده، إلّا أنّه ليس له في خضم هذا الارتباط والسعي وراء حاجاته أن يذلّ نفسه في سبيل تأمين حاجاته.

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٤٦.
(٢) المصدر السابق: ص٣٥.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٣٩.

إنّ كسر حصار عزّة المؤمن يعني انهيار كلّ شيء (نفسه وهويته)، فالإنسان بفقده عزّته وبضياعها تتساقط كلّ جوانب الحصن المحيط بأمنه وعقائده وهويته، ويهيمن عليه السخف والعجز؛ لذا لا يصحّ للمؤمن إذلال نفسه ليأمن على حياته.

أحياناً نجد التعاليم الدينية تلفت النظر لتلكما الصفتين: العزّة والذّلة، مرّةً في الأدعية، وأُخرى باتخاذ الموقف، كما فعل الإمام السجّادعليه السلام حين يقول في الدعاء: «**لا ترفعني في الناس درجة إلّا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تُحدث لي عزّاً ظاهراً إلّا أحدثت لي ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها**»[1].

وهنا نقطة جديرة بالالتفات، وهي أنّه في كلمات أهل البيتعليهم السلام إشارات للموازنة بين العزّة والذلة، فالعزّة والكرامة في أعين الخلق، والذلة أمام الله تعالى، كي لا يُبتلى الإنسان بالكبر والطغيان والعجب، فالأئمّةعليهم السلام يعيشون في منتهى التذلّل والخضوع أمام الحقّ سبحانه، كما تحكيه لنا أدعيتهم ومناجاتهم وسيرتهم في جميع الأحوال، فيتعاملون مع الناس بمنتهى التواضع، وبتعبير القرآن: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾[2]، وفي الوقت ذاته، يتّصفون بالعظمة والمهابة والعزّة، فلا يُطأطؤون أمام الظلمة والقتلة، ولا يستسلمون لهم أبداً، كما اتخذ بعضهم نقشاً على خواتمهم وهو (العزّة لله)[3]، ولا يألون جهداً في توجيه أصحابهم إلى الاتصاف باسم الله العزيز، عن طريق الإيمان به والطاعة له؛ ليصبحوا بعيدين عن الذلّة[4].

---

(١) الصحيفة السجادية: ص١٠٠.

(٢) الشعراء: آية٢١٥.

(٣) هذا فيما يخصّ الإمام الحسن المجتبىعليه السلام. أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج٢، ص٦١. وفيما يخصّ الإمام محمد الباقرعليه السلام. أُنظر: الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص٦٤. والكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٤٧٣.

(٤) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٦٣ـ٦٤.

التوظيف الإصلاحي للعزّة في سيرة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء

صور العزّة والكرامة امتزجت بسيرة الإمام الحسين عليه السلام العملية، فقد عاشها عليه السلام طوال عمره الشريف، وبالخصوص في كربلاء، وعدم بيعته ليزيد. وعزّة الإمام الحسين عليه السلام نابعة من عزّة أهل البيت عليهم السلام، وما زال صوته عليه السلام الرافض للذلّة مدويّاً حتّى اليوم: «**موت في عزّ خير من حياة في ذلّ**»[1]، فيرى عليه السلام أنّ الموت في عزّة أفضل من العيش بذلّة، ويقول عليه السلام: «**لا والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»[2]، وكلامه عليه السلام: «**إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[3]، ما زال يطرق الآذان، وهذا هو صوت العزّة ما زال مرتفعاً: «**أَلا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[4]. وقد ذكر ابن عساكر أيضاً هذه الخطبة ـ مع إضافة مفردة الدنيّة ـ بهذا الشكل: «**ألا وإنّ البغي قد ركن بين اثنتين، بين المسألة والذلّة، وهيهات منّا الدنيّة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وبطون، وأُنوف حميّة، ونفوس أبيّة، أن تؤثر مصارع الكرام على ظئار اللئام**»[5].

فالعزّة أصلٌ قد جسّده أئمّة العدل بتمام معناه، كما قال أبو نصر بن نباته في الإمام

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٢.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى: ج١، ص٤٥٩.

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٥. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢١٨. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٥. القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٤٩.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٩.

(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢١٩.

الحسين عليه السلام: «**الحسين الذي رأى الموت في العزّ حياة، والعيش في الذلّ قتلاً**»[1]، وكما يقول الشاعر أبو الحسن علي بن محمد التهامي:

فموت الفتى في العزّ مثل حياته وعيشته في الذلّ مثل حمامه[2]

هذه الشعارات لم تكن أيّام النهضة فقط، وإنّما كانت تعيش معه عليه السلام دائماً، ولهذا كان يُكثر في دعاء عرفة من قول: «**في نفسي فذلّلني، وفي أعين الناس فعظّمني**»[3].

وفي الأيّام المليئة بالاضطرابات من مسيرة الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة وكربلاء، قد احتجّ عليه السلام على الحرّ بن يزيد الرياحي الذي قطع الطريق على الإمام عليه السلام من جهة الكوفة، وكان أوّل احتجاج للإمام عليه السلام قوله: «**أفبالموت تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابن عمّه، وقال: أين تذهب؟ فإنّك مقتول، فقال:**

سأمضي فما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وباعد مجرما
فإن عشتُ لم أندم وإن متّ لم أُلَم كفى بك ذلّاً أن تعيش وترغما»[4]

فشعاع العزّة يلمع في جميع حركات الإمام الحسين عليه السلام وأفعاله، ولقاءاته مع الشخصيات المعروفة، فعندما كان الإمام الحسين عليه السلام في منتصف الطريق بين الكوفة وكربلاء، رأى ـ حين وصوله إلى قصر بني مقاتل ـ خيمة لعبيد الله بن الحرّ الجعفي، وكان من وجهاء الكوفة وشجعانها، فأرسل إليه الإمام عليه السلام أحد أصحابه، وطلب منه أن يأتي لملاقاته، فرفض، فأقبل الإمام بنفسه إليه ماشياً، ودخل خيمته ودعاه

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٤٥.
(٢) الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: ج٥، ص٥٣.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٧، ص٣.
(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨١.

لنصرته، فقال عبيد الله: «**والله، إنّي لأعلم أنّ مَن شايعك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أُغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأُنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإنّ نفسي لم تسمح بعدُ بالموت، ولكنّ فرسي هذه الملحقة، والله، ما طلبت عليها شيئاً قطُّ إلّا لحقته، ولا طلبني وأنا عليها أحد قطّ إلّا سبقته، فخذها، فهي لك. قال الحسين**عليه السلام: **أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا إلى فرسك**»[1].

وقد تجلّت روح العزّة في أبناء عليعليه السلام وأصحاب الحسينعليه السلام في ميدان كربلاء، فقد غضّ العباس بن عليعليه السلام طرفه عن الرابطة النسبية مع الشمر من جهة الأُمّ، الذي جاء إليه وإلى إخوته بأمان من ابن زياد، فردَّه عليه[2]، وكذلك ما حصل مع علي الأكبر عندما ردّ الأمان الذي أُرسل إليه قائلاً: «**أَما والله، لقرابة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان أَوْلى أن تُرعى من قرابة أبي سفيان**»[3].

خطاب عاشوراء: هو خطاب عزّة ناشئة من الانقطاع عن العلائق الدنيوية، عزّة لا يقضي عليها شيء، وقد أقرّ بذلك حتّى الأعداء؛ إذ قيل لرجل حضر كربلاء، وكان من معسكر عمر بن سعد: «**ويحك، أقتلتم ذرّية رسول الله**صلى الله عليه وآله**؟! فقال: عضضت بالجندل، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها، كالأُسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتُلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنيّة، أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أُمّ لك؟!**»[4].

(١) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص٢٥١.
(٢) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٩١.
(٣) ابن سعد، محمد، ترجمة الإمام الحسين من الطبقات: ص٧٣.
(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٣، ص٢٦٣.

هكذا قاتل جميع أصحاب الحسين عليه السلام بعزّة، بعضهم إلى جنب بعض، حتّى قال الإمام عليه السلام في وصفهم: «**أَما والله، لقد نهرتهم وبلوتهم، وليس فيهِم [إلّا] الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دُوني استئناس الطفل بلبن أُمّه**»(١).

مظهر العزّة لأُسارى كربلاء في الكوفة

إنّ شهداء كربلاء تلقّوا تربيتهم من السيرة المشرّفة والعزيزة للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، وكانوا دعاة لها، والآن لم يتبقَّ من تلك الجماعة الكريمة إلّا النساء والأطفال وزين العابدين عليه السلام، فقد انتهت تلك الحوادث المؤلمة، والمحرقة للقلوب، ونُهبت الخيام، وجُمع الأطفال الفارّين، فالأكباد مفتّتة، والعيون ذابلة، وكأنّما وصل الدور إلى العجز والالتماس ولوي الرقاب، ولكنّ أوّل خطاب لزينب عليها السلام بعد تلك الحادثة المأساوية والدامية والمرعبة: «**يا محمّداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه، وبناتك سبايا، وذرّيتك مقتّلة، تسفي عليها الصبا**»(٢).

فزينب وريثة العزّة والإباء العلوي، لم يكن مخاطبها عسكر الجور والظلم، وإنّما راحت تتحدّث مع الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وهنا بداية ملحمتها وجميع عائلة علي عليه السلام، فهي وعلي بن الحسين عليهما السلام وسكينة وفاطمة بنتا الحسين عليه السلام ونساء بين هاشم الأُخريات، وضعوا أقدامهم في بداية طريق قد ورثوه، وما زال الحسين والعباس وعلي الأكبر عليهم السلام وجميع الشهداء، مضرّجين بدمائهم على رمضاء كربلاء، فقد استصرخت هذه الأُسرة الكوفة والشام، وزلزلت الأرض تحت مَن أرادوا إذلالهم.

وما إن وصلوا إلى أسواق الكوفة، وعليهم مظاهر التعب والإعياء، ومعهم أطفال عُطاشى وجياع، أقبل إليهم أهل الكوفة بالتمر والخبز، وأعطوه للأطفال الأُسارى، إلّا أنّ نساء بني هاشم ـ ودون تأخّر ـ أخذن ما في أيدي الأطفال ورمينه على الأرض،

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٩٣.
(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٤.

وهنَّ ينادين: «**إنّ الصدقة علينا حرام**»[1]، والناس يبكون على هذا المشهد، وهم لا يعلمون علام يبكون، فأخرجت (أُمّ كلثوم) رأسها من محملها وصاحت بهم: «**صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم، وتبكينا نساؤكم! فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء**»[2]، وقال علي بن الحسين عليه السلام مخاطباً أهل الكوفة: «**أتنوحون وتبكون من أجلنا؟! فمَن قتلنا؟!**»[3]، وحبست زينب عليها السلام أنفاسها، ثمّ هدرت بخطبة رنانة، قائلة: «**أمّا بعدُ، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل، أتبكون وتنتحبون؟!... إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنآنها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنة... فلا يستخفنّكم المهل، فإنّه لا تحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربكم لبالمرصاد**»[4].

ووصف بعض الرواة تلك الملحمة الزينبية بقوله: «**فوالله، لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتّى اخضلت لحيته، وهو يقول: بأبي أنتم وأُمّي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يُخزى ولا يُبزى**»[5].

أُولئك صنّاع الملاحم الفاخرة، ومعلّمو العزّة والحرّية، وتلاميذ نبي الرحمة والهداية صلى الله عليه وآله، اختاروا من سيرة النبي صلى الله عليه وآله الموت بشرف، والحياة الصلبة الثابتة، وكانوا ـ وهم أُسارى ـ يعيشون كلام النبي صلى الله عليه وآله: «**مَن أقرّ بالذلّ طائعاً فليس منّا أهل البيت**»[6]، فالسيرة العملية لأُسارى كربلاء تمثّل الحرّية والخلاص من جميع الميول والرغبات الدنيوية، فكانوا مقتدين بسيرة أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ يقول: «**الموت خير من**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٤.
(٢) المصدر السابق: ص١١٥.
(٣) المصدر السابق: ص١٠٨.
(٤) المصدر السابق: ص١٠٩.
(٥) المصدر السابق: ص١٠٩ـ١١٠.
(٦) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله: ص٥٨.

الذلّ في هذه الدنيا لغير الحقّ»[1]، وهذه فاطمة الصغرى أيضاً قد خطبت بأهل الكوفة محمّلة إيّاهم مسؤولية هذا الفعل الشنيع، قائلة: «**أمّا بعدُ، يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجّته في الأرض لبلاده ولعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيّه محمد**ﷺ **على كثير ممَّن خلق تفضيلاً بيّناً، فكذّبتمونا وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأنا أولاد تُرك أو كابل، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت؛ لحقد متقدّم، قرّت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراءً منكم على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة،** ﴿فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ * لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾، **تبّاً لكم، فانتظروا اللعنة والعذاب»**[2].

وقد أشارت بشكل واضح ـ خلال الدفاع عن الحسين بن علي عليهما السلام ـ إلى نزعة الحسد تجاه آل أبي طالب بقولها: «**أيّ ترات لرسول الله قبلكم وذحول له لديكم، بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب**عليه السلام **جدّي، وبنيه عترة النبي الطاهرين الأخيار، وافتخر بذلك مفتخركم، فقال:**

نحن قتلنا علياً وبني علي ... بسيوف هندية ورماحِ
وسبينا نساءهم سبي ترك ... ونطحناهم فأيّ نطاحِ

بفيك أيّها القائل الكثكث، ولك الأثلب، افتخرتَ بقتل قوم زكّاهم الله وطهّرهم وأذهب عنهم الرجس؟! فاكظم وأقع كما أقعى أبوك، وإنّما لكلّ امرئ ما قدّمت يداه، حسدتمونا ـ ويلاً لكم ـ على ما فضّلنا الله عليكم.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣٣، ص٥٦٤.
(٢) المصدر السابق: ج٤٥، ص١١٠ـ ١١١.

فما ذنبنا أن جاش دهراً بحورنا وبحرك ساجٍ لا يواري الدعامصا

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٖ﴾.

فارتفعت الأصوات بالبكاء، وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين، فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت أجوافنا. فسكتت»[1].

وصارت النساء الخطيبات يذكّرن بخطب أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المدينة، واحدة بعد الأُخرى، يتناوبن بكلّ قدرة وثبات، ويصحن بعزّة واستحياء، وأهل الكوفة قد تملّكهم الحياء؛ لخبث فعالهم التي يستعرضونها في خواطرهم، فتنتحب أُمّ كلثوم بصوت عالٍ، وتقول: «**يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه، وسبيتم نساءه ونكبتموه؟! فتباً لكم وسحقاً، ويلكم أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم؟! وأيّ وزرٍ على ظهوركم حملتم؟! وأيّ دماءٍ سفكتموها؟! وأيّ كريمةٍ أصبتموها؟! وأيّ صبيةٍ سلبتموها؟! وأيّ أموالٍ انتهبتموها؟! قتلتم خير رجالات بعد النبي، ونُزعت الرحمة من قلوبكم، أَلا إنّ حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون، ثمّ قالت:**

قتلتم أخي صبراً فويل لأُمكم ستُجزون ناراً حرّها يتوقّدُ
سفكتم دماءً حرّم الله سفكها وحرّمها القرآن ثمّ محمدُ
أَلَا فابشروا بالنار إنّكم غداً لفي سقر حقّاً يقيناً تخلّدوا
وإنّي لأبكي في حياتي على أخي على خير من بعد النبي سيولدُ
بدمع غزير مستهل مكفكف على الخد منّي ذائباً ليس يجمدُ»

فقال الراوي: «**فضجّ الناس بالبكاء والحنين والنوح، ونشرت النساء شعورهنّ، ووضعن التراب على رؤوسهنّ، وخمشن وجوههنّ، وضربن خدودهنّ، ودعون بالويل**

(١) المصدر السابق: ص١١١ـ١١٢.

والثبور، وبكى الرجال، فلم يُرَ باكية وباكٍ أكثر من ذلك اليوم»[1].

فتملّكت أهل الكوفة الذلّة والخفة والعجز، وأخذوا ـ بعد يوم واحد من الواقعة، وأمام مجموعة من الأسرى ـ يدورون حول أنفسهم، ويضربون رؤوسهم، وهم الذين كانوا قبل يوم واحد متخاذلين عن نصرة أهل البيت عليهم السلام، أو تجاهلوا الواقع فأنكروا معرفتهم بعائلة علي عليه السلام.

ثمّ إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أشار على هؤلاء المتفرّجين بالسكوت حتّى يعرّفهم نفسه، ثمّ قال عليه السلام: «**أيّها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب... أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن مَن انتُهك حريمه وسُلب نعيمه، وانتُهب ماله، وسُبي عياله، أنا ابن مَن قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً، أيّها الناس، ناشدتكم بالله، هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، وقاتلتموه وخذلتموه؟! فتبّاً لما قدّمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأيّة عينٍ تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أُمّتي؟!**»[2].

ولما شعروا بالندم: «**فقالوا بأجمعهم: نحن كلّنا يابن رسول الله، سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذن يزيد، ونبرأ ممَّن ظلمك وظلمنا**»[3]. ولكنّ الإمام زين العابدين عليه السلام وضعهم في مخمصة أُخرى، ووصفهم بالكذب والمكر، فخاطبهم قائلاً: «**هيهات هيهات! أيّها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى آبائي من قبلُ؟! كلّا وربّ الراقصات، فإنّ**

(١) أُنظر: المصدر السابق: ١١٢.
(٢) المصدر السابق: ص١١٣.
(٣) المصدر السابق.

الجرح لمّا يندمل، قُتل أبي (صلوات الله عليه) بالأمس وأهل بيته معه»[1]، ثمّ نصحهم قائلاً: «**ولم ينسني ثكل رسول الله، وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه يجري في فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا**»[2].

جميع هذه الخطب الغرّاء المليئة بالإباء أُلقيت في الأسواق وطُرق الكوفة، ولمّا يمضِ على الانفعال النفسي الشديد جرّاء حادثة كربلاء سوى يوم واحد، وحرارة الشمس واشتعال الأفئدة، وعطش الأسرى والأطفال وجوعهم، يضاف إلى جميع الفجائع التي رأوها بأُمّ أعينهم، ولما وصلت قافلة الأسرى إلى دار الإمارة كانت الغصّة تحتدم في الحلق؛ لأنّ الجميع يعلمون أنّ هؤلاء هنّ بنات أمير المؤمنين عليه السلام، واليوم يجلس مكان الأب عبيد الله بن زياد الذي حوّل العدل في دار الإمارة إلى ظلم وجور وعدوان، وقيّد أبناء العدل، وأعطى إذناً عاماً للناس في الدخول، ووضع رأس الحسين عليه السلام أمامه، مفتخراً بتلك الجريمة الكبرى.

وقد ذكر المؤرّخون عن السيّدة زينب عليها السلام هذا المشهد: «**لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكّرت، وحفّ بها إماؤها، فلمّا دخلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: مَن هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثاً، كلّ ذلك لا تكلّمه، فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة... فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وأكذب أُحدوثتكم. فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وطهّرنا تطهيراً، لا كما تقول أنت، إنّما يُفتضح الفاسق، ويُكذّب الفاجر**»[3].

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٥.

ويتحوّل الأمر إلى حوار بين طرفين، تُستخدم فيه عبارات شديدة الوقع على زينب عليها السلام، وتردّ بجُمل مدروسة فصيحة، تُثبت بها الحجّة على أحقّية مَن قُتل، وتقلب الطاولة على القتلة والمتفرّجين، فعندما خاطبها ابن زياد: «**كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟**» أجابته زينب عليها السلام: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يابن زياد، فتُحاجّون وتُخاصمون، فانظر لمن الفلح يومئذٍ! ثكلتك أُمّك يابن مرجانة**»[1]. فغضب ابن زياد وكأنّه همّ بقتلها[2]، وامتنع بعد تدخّل عمرو بن حريث، فقال ابن زياد: «**لقد شفاني الله من طغاتك، والعصاة المردة من أهل بيتك. فبكت ثمّ قالت: لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن تشفيت بهذا فقد اشتفيت**»[3].

فكلّ الأسرى وقفوا يدافعون عن عزّتهم وكرامتهم في مواجهة الأعداء، ووقفوا يخطبون ـ بشجاعة وبلا خوف ـ في المجلس الذي أُقيم لإذلالهم، وتحطيم روح الإباء التي يحملونها، ومن ذلك ما جرى مع الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المجلس، فقد أورد ابن أعثم الكوفي الرواية التي تنقل ما جرى في المجلس بشكل كامل، حيث يقول: «**فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين** رضي الله عنه، **قال: أوَلم يُقتل علي بن الحسين؟! قال: ذاك أخي وكان أكبر منّي، فقتلتموه، وإنّ له مطلاً منكم يوم القيامة. فقال ابن زياد: ولكنّ الله قتله. فقال علي بن الحسين** رضي الله عنه : ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾، **وقال تعالى:** ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ** ﴾. **فقال ابن زياد لبعض جلسائه...**

(١) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٢٢. أُنظر: ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٧١. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٩٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٩٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

(٣) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٧١.

خذه إليك الآن فاضرب عنقه. قال: فتعلّقت به عمّته زينب بنت علي، وقالت له: يابن زياد، إنّك لم تبقِ منّا أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه»[1]. فانبهر ابن زياد بجرأتها وشجاعتها وقدرتها، فقال: «**والله، إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به**»[2].

وهذا النوع من التهديد أمر يسير بالنسبة للإمام عليه السلام، كما أنّه بعيد عن شأن مَن يطلب الشهادة؛ ولذا أجاب عليه السلام بقوله: «**اسكتي يا عمّة حتّى أكلّمه. ثمّ أقبل عليه السلام، فقال: أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟! أما علمت أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟!**»[3].

في جميع هذه الاحتجاجات استطاع أبناء علي عليه السلام وبناته بعزّتهم أن يقهروا ابن زياد بشكل مشهود، ولم يصدر منهم أيّ تصرف أو حركة أو كلمة ابتغوا من ورائها الخلاص من الأسر، وإنّما كان كلامهم تأنيباً للناس، وإجباراً لسادة القتل والنهب على التأسّف والندم أكثر فأكثر.

وانتهت فترة الكوفة وسطوة ابن زياد وتهديداته المتلاحقة، التي لم يستطع أن يخيف بها الأطفال والنساء بأدنى درجة، أو يهدم إباءهم وعزّتهم؛ ولهذا أرسلهم والرؤوس الشريفة إلى الشام.

الشام.. المظهر الثاني لعزّة أُسارى كربلاء

كان أهل الشام يظنّون أنّهم تغلّبوا على قومٍ كفرةٍ في جهاد عظيم، وصار يزيد يتباهى بذلك، ويفتخر بعمله الشنيع، ويرى أنّه أخذ بثأر قتلى بدر، وعندها تقوم له زينب عليها السلام قائلة: «﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾، **أظننت يا يزيد، أنّه حين أُخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء،**

(١) ابن اعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٢٣.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٨.
(٣) المصدر السابق.

فأصبحنا نُساق كما يُساق الأُسارى، أنّ بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة، وأنّ هذا لعظيم خطرك؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفيك، جذلان فرحاً، حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، والأُمور متّسقة عليك، وقد أُمهلت ونفست، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾»[1].

وتكررت ذات المواقف المشرّفة التي جرت في الكوفة في قصر يزيد والشام، فقد روي عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام قولها: «ولمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية، يعنيني... فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب... فقالت عمّتي للشامي: كذبت والله ولؤمت، والله، ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد، وقال: كذبت والله، إنّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت. قالت: كلا والله، ما جعل الله لك ذلك، إلّا أن تخرج من ملّتنا، وتدين بغيرها. فاستطار يزيد غضباً، وقال: إيّاي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك. قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وجدّك إن كنت مسلماً. قال: كذبت يا عدوّة الله. قالت له: أنت أمير تشتم ظالماً، وتقهر لسلطانك... وعاد الشامي، فقال: هب لي هذه الجارية. فقال له يزيد: أعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً»[2]. وفي رواية أُخرى: «قالت أُمّ كلثوم للشامي: اسكت يا لكع الرجال، قطع الله لسانك، وأعمى عينيك، وأيبس يديك، وجعل النار مثواك، إنّ أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأدعياء»[3].

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٢١. أُنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٥. ابن نما الحلّي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٨٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٦.
(٣) المصدر السابق: ص١٣٧.

أمّا الإمام علي بن الحسين عليه السلام فكانت له مهمّة أُخرى من بين الأسرى، فكما كان يحافظ على عزّة وشرف البيت العلوي ويصونه، كذلك كانت في عهدته مهمّة الإمامة والقيادة، فهو مبلّغ لرسالة كربلاء ورسالة الإمامة، فيتحدّث مع الناس ويعرّفهم ويبيّن هدف الإمام الحسين عليه السلام من حركته، ويعلم أنّ موضع إلقاء الخطاب أصبح غصباً وقهراً بيد يزيد؛ لهذا طلب في آخر جدال مع يزيد أن يرتقي تلك الأعواد التي أصبحت وسيلة لتحقيق أهداف الطاغوت، فقَبِل يزيد مكرهاً، وأتمّ الإمام الحجّة على الناس قائلاً: «**فمَن عرفني، فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا أُعرّفه نفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن مروة والصفا... أنا ابن محمّد المصطفى... أنا ابن علي المرتضى... أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتّى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن مَن بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن مَن ناحت عليه الجنّ في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن مَن رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن مَن حرمه من العراق إلى الشام تُسبى**»[1]. وبيّن بعد ذلك الحقيقة التي يمثّلها أهل البيت عليهم السلام بقوله: «**أيّها الناس، إنّ الله تعالى ـ وله الحمد ـ ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن، حيث جعل راية الهدى والعدل والتقى فينا، وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا**»[2].

عندما وصل الإمام السجاد عليه السلام ـ الذي كان شعاره: «**ما أُحبّ أنّ لي بذُلّ نفسي حُمر النعم**»[3] ـ إلى هذا المقطع، وصار الناس يضجّون ويصرخون، خاف يزيد من انقلاب الأُمور عليه؛ فقاطعه وأمر المؤذّن أن يرفع صوته بالأذان، فعندما قال المؤذّن: (الله أكبر) قال الإمام: «**لا شيء أكبر من الله. فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله. قال علي ابن الحسين: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي. فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً**

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٠٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٩.

رسول الله. التفت من فوق المنبر إلى يزيد، فقال: محمّد هذا جدّي أُمّ جدّك يا يزيد؟! فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنّه جدّي فلِمَ قتلت عترته؟!»[1].

وبهذا استطاعت هذه الأُسرة العزيزة الأبيّة التعريف بنفسها، وكشف القناع عن وجوه أعدائها، رغم كلّ العناء وجراحات الحرب والأسر، وقد تجلّت فيهم معاني الإحساس والعلم والثبات والعزّة التي ورثوها من آبائهم الطاهرين عليهم السلام، وبيّنوا ذلك أمام الناس الذين كانوا يظنّون أنّهم قد قهروهم وغلبوهم.

وبعد فترة عادت هذه الأُسرة برؤوس شامخة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وآله، دون أن تصدر منها جملة واحدة بعيدة عن أخلاقها الرفيعة، ولطالما كان هذا المعنى متجلّياً في أدعية الإمام السجاد عليه السلام، حيث يقول: «**ذلّلني بين يديك، وأعزّني عند خلقك، وضعني إذا خلوت بك، وارفعني بين عبادك**»[2].

النتيجة

انتهت ملحمة بيت علي عليه السلام في الأسر بالنصر والغلبة، وعدم الهزيمة، والغيرة والحميّة، كما أنّ ورثة العزّة العلوية المستمدّة من عزّة الله وعزّة رسوله صلى الله عليه وآله، كانوا بحقّ مجسّدين لمعنى روح العبودية، والتسلّط على النفس، والاتصاف بالقناعة، وتجنّب الطمع، والاتصال بمنبع فيض الرحمة الإلهية التي تتفجّر من اسمه العزيز، حتّى جسّدوا معنى الحديث القائل: «**المؤمن أصلب من الجبل**»[3].

وقد أكرمهم الله بخصال ثلاثة: «**العزّة في الدنيا، والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور الظالمين**»[4].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٩.
(٢) الصحيفة السجادية: ص٢٢٨.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٤١.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص١٥٢.

وتُعدّ كربلاء وأسراها اليوم مظهراً للاستقامة والعزّة التي ستبقى مشعلاً متلألئاً إلى الأبد عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، داعية المسلمين وجميع الأحرار في العالم إلى التمسّك بهذا الاسم العظيم من أسماء الله تعالى.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.

٢ ـ الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داوود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، طهران، ١٣٦٤ش.

٣ ـ الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت٤١٣هـ)، مؤسّسة آل البيت لتحقيق التراث، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٤ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ.

٥ ـ أنوار درخشان، سيّد محمد نجفي حسيني، چاپخانه علميه (المطبعة العلمية)، قم، ١٤٠٤هـ.

٦ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧ ـ بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر المعروف بابن طيفور (ت٣٨٠هـ)، مكتبة بصيرتي، قم.

٨ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٠ ـ تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

١١ ـ ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، تهذيب وتحقيق: السيد عبد العزيز الطباطبائي.

١٢ ـ التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٣ ـ جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت١٢٠٩هـ)، تحقيق: السيّد محمد كلانتر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

١٤ ـ الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم المشرّفة، ١٤٠٣هـ.

١٥ ـ شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد بن منصور المغربي (ت٣٦٣هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٦ ـ شرح دعاء السحر، الإمام روح الله الخميني (ت١٤٠٩هـ)، ترجمة: السيّد أحمد الفهري، انتشارات اطلاعات، طهران، ١٣٧٠ش.

١٧ ـ شرح نهج البلاغة، أبو حامد عبد الحميد بن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مؤسسه مطبوعاتي إسماعيليان (دار إسماعيليان للنشر)، ١٩٥٩هـ.

١٨ ـ شرح نهج البلاغة، محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ.

١٩ ـ الصحيفة السجادية، علي بن حسين عليهما السلام، ترجمة: عبد المحمد آيتي، سروش (انتشارات صدا وسيما)، طهران، الطبعة الثامنة، ١٣٩١ش.

٢٠ ـ عزت از منظر قرآن وسنّت، رضا حق پناه، مجلّة إلهيات وحقوق، دانشگاه تخصصي علوم رضوي (جامعة العلوم الرضوية المختصّة)، العددان: ٤و٥، ١٣٨١هـ.

٢١ ـ عيون أخبار الرضا، محمد بن علي بن الحسين الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٢ ـ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام القرن السادس)، دار الحديث.

٢٣ ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، دار الأضواء، بيروت، ١٤١١هـ.

٢٤ ـ قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري (ت٣٠٤هـ)، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ.

٢٥ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش.

٢٦ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم المشرّفة، ١٤١٧هـ.

٢٧ ـ مثير الأحزان، محمد بن جعفر المعروف بابن نما الحلي (ت٦٤٥هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ.

٢٨ ـ المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٩ ـ مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، قم المشرّفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٣٠ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت٣٥٦هـ)، ترجمة: السيّد هاشم رسولي محلاتي، ومقدّمة علي أكبر غفاري، مكتبة صدوق.

٣١ ـ مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي (ت١٥٧هـ)، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم المشرّفة.

٣٢ ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهرآشوب (ت٥٨٨هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ.

٣٣ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٣٤ ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣هـ.

فاطمة بنت الحسين عليهما السلام سيّدة الجمال والمسؤولية

م. زهراء حسن السالم*

تمهيد

لقد احتوت ثورة عاشوراء على عناصر عظيمة، سواء على مستوى الرجال أو النساء، فكلّ شخص من تلك العناصر يتمتّع بفضائل سامية قلّما نجدها عند أناسٍ آخرين، بحيث تُشكّل فضائل تلكم الصفوة مع سيّدها عليه السلام منظومة متكاملة، تجعل من ثورة كربلاء ثورة مترامية الأبعاد في كلّ ما تحتاج إليه الحياة البشرية من مفاهيم ونظريات مثالية، تجعل الإنسان إنساناً بها للكلمة من معنى وهدف.

ومن العناصر النسوية البارزة في ثورة كربلاء السيّدة الفاضلة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام، حيث ضمّت جميع الفضائل التي يبتغيها كلّ إنسان طالب للكمال، من سلوك وعبادة وعفاف، وشجاعة ووقار، وعلم وبلاغة، وغير ذلك ممّا يحتويه مفهوم الجمال المنطلق من مبدأ المسؤولية، وقد تجلّى هذان المفهومان (الجمال والمسؤولية) بكلّ أبعادهما في شخص السيّدة فاطمة بنت سيد الشهداء عليهما السلام، وها نحن في هذه الأسطر نحاول أن نسلّط الضوء على هويّة تلك السيّدة الجليلة، مع بيان مفهومَي الجمال والمسؤولية اللذين تجسّداً مصداقاً في شخصها النموذجي.

فاطمة بنت الحسين عليهما السلام

كفى بهذه السيّدة عظمة وكبرياءً أنّها من سلالة نبي الرحمة صلى الله عليه وآله، فهي بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، أفضل بيتٍ وأطهر سلالة عرفها التاريخ البشري،

---

* مؤسّسة وارث الأنبياء/ القسم النسوي/ من العراق.

وأُمّها أُمّ إسحاق التيمية[1] بنت طلحة بن عبيد الله التيمي[2]، الصحابي الذي شارك في العديد من غزوات النبي صلى الله عليه وآله، إلّا أنّه قضى نحبه في وقعة الجمل مع الجيش الذي قاتل الإمام علياً عليه السلام[3].

والسيّدة فاطمة عليها السلام هي أكبر بنات الإمام الحسين عليه السلام[4]، وقد كانت برفقة زوجها الحسن المثنى[5] مع الإمام عليه السلام في مسيره إلى كربلاء، وفي نهضته التي قام بها ضدّ الظلم والطغيان، كما أنّ شواهد التاريخ تُشير إلى وجودها في الركب الزينبي بعد تلك الواقعة الأليمة.

ولكم فيها جمال

الجمال من المفاهيم المهمّة والمتداولة في حياة الإنسان، ومعنى الجمال هو البهاء والحُسن الكثير الذي يكون في الفعل والخَلق[6].

والجمال إمّا حسيّ أو معنوي: «**فالجمال الحسّي: رهن التوازن والتعادل بين أجزاء الموجود، سواء أكان موجوداً عنصرياً أو نباتياً أو حيوانياً أو إنسانياً؛ فإذا كانت الأجزاء متناسبة ومتناسقة، كلّ جزء يحتلُّ مكانه الخاص فهو جميل... وأمّا الجمال المعنوي: فهو**

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٣٥.
(٢) أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٣، ص٢١٤. قال العيني: «أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي». العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري: ج١، ص٢٦٥.
(٣) أُنظر: العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري: ج١، ص٢٦٥.
(٤) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٥. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٨٦.
(٥) جاء في الإرشاد: «وكان الحسن بن الحسن حضر مع عمّه الحسين بن علي عليهما السلام الطف، فلمّا قُتل الحسين وأُسر الباقون من أهله، جاءه أسماء بن خارجة [خاله] فانتزعه من بين الأسرى، وقال: والله، لا يوصل إلى ابن خولة أبداً. فقال عمر بن سعد: دعوا لأبي حسان ابن أُخته. ويُقال: إنّه أُسر وكان به جراح قد أُشفي منها». المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٥.
(٦) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص١٢٦.

عبارة عن حُسن الفعل النابع عن تعادل القوى وتوازن الاستعدادات، فإذا كان الإنسان متعادلاً في قواه، ومجتنباً عن الإفراط والتفريط في إعمالها، حينها تكون الروح مبدأً لصدور الأعمال الحسنة... وعلى ضوء ذلك يُصبح الفعل الأخلاقي من مقولة الجمال»[1].

وقد اهتمّ القرآن الكريم بمسألة الجمال والتجمّل بصورة ملفتة، وهذا ما نشاهده من خلال آياته المباركة، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[2]، فالجمال في الآية هو الزينة وحُسن المنظر[3]، إضافةً إلى الآيات التي تذكر جمال الكون وزينته كقوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[4]، وما ذلك إلاّ لأهمّية مفهوم الجمال في حياة البشر؛ إذ لا شكّ في أنّ رسالة السماء تنسجم دائماً مع أبعاد الإنسان، سواء على مستوى الخصائص الروحية، أو البُنية الجسمية، فـ«**إنّ غريزة حبّ الجمال ـ باعتراف علماء النفس ـ هي إحدى أبعاد الروح الإنسانية الأربعة، والتي تُشكّل ـ مضافاً إلى غريزة حبّ الخير، وحبّ الاستطلاع، وغريزة التديّن ـ الأبعاد الأصلية في النفس الإنسانية، ويعتقدون بأنّ جميع الظواهر الجمالية الأدبية والشعرية، والصناعات الجميلة، والفنّ بمعناه الواقعي، إنّما هو نتيجة هذه الغريزة وهذا الإحساس**»[5].

ومن هذا المنطلق؛ لا بدّ من رعاية هذا الحسّ النابع من الفطرة الإنسانية والالتفات إليه، وتوجيهه وفق المنهجية الصحيحة التي يرتضيها الله تعالى أوّلاً، ويرتضيها عقل الإنسان ثانياً؛ فالإسلام لم يكتفِ بإباحة النظر والتمتّع بحُسن الطبيعة، وما في الحياة من مظاهر الزينة والجمال، بل ندب إلى ذلك قولاً وعملاً، وهذا ما نراه من خلال

(١) السبحاني، جعفر، رسالة في التحسين والتقبيح: ص١٤٨.
(٢) النحل: آية١٦.
(٣) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٢، ص٢١١.
(٤) الصافات: آية٦.
(٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٥، ص٢٤.

أقوال أولياء الله وأفعالهم، فقد ورد عن الإمام الحسن عليه السلام: «**أنّه كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه، فقِيل له: يابن رسول الله، لمَ تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إنّ الله جميلٌ يُحبّ الجمال، فأتجمّل لربّي، وهو يقول: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾، فأُحبّ أن ألبس أجمل ثيابي**»[1].

الله جميل

حينما نتأمّل في كلام الإمام الحسن عليه السلام: «**إنّ الله جميل يُحبّ الجمال**»، يتبادر إلى أذهاننا هذا السؤال: يا تُرى ما المقصود من جمال الله تعالى؟

بيّن علماء الكلام الإسلامي أنّ جمال الله عزّ وجلّ يكون في صفاته الكمالية، بمعنى أنّ كلّ كمال يتّصف به تعالى هو صفة جمالية، من قبيل: العلم والقدرة والحياة، بخلاف الصفات التي تسلب عنه كلّ نقص وحاجة، والمسماة بالجلالية، ومن هنا أشاروا إلى أنّ هذين الاصطلاحين (الجمالية) و(الجلالية) قريبان ممّا ورد في الكتاب العزيز، حيث قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾[2]، فصفة الجلال: ما جلّت ذاته وتنزّهت عن مشابهة الغير، وصفة الإكرام: ما تكرّمت ذاته بها وتجمّلت[3]؛ إذ «**للإكرام من المعنى ما فيه نعت البهاء والحُسن الذي يجذب الغير ويولهه**»[4]، فيُوصف تعالى بالكمال ويُنزّه بالجلال.

وهناك مَن أفاد أنّ الجمال هو صفات اللطف والرحمة فيه تعالى، وأنّ الجلال هو صفات القهر والنقمة[5]، «**فظهور العالم ونورانيته وبهاؤه من الجمال، وانقهار العالم تحت**

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٣٥.
(٢) الرحمن: آية٧٨.
(٣) أُنظر: السبحاني، جعفر، الإلهيات: ص٨٢ـ٨٣.
(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص١٠١.
(٥) أُنظر: السبزواري، الملا هادي، شرح الأسماء الحسنى: ج١، ص٤٠.

سطوع نوره تعالى وسلطة كبريائه من الجلال»[1]، **«وهو إمّا جمالٌ تنجذب إليه النفس انجذاباً، أو جلالٌ يخرّ عنده اللّب ويذهل دونه القلب، وله (سبحانه) كلّ الجمال، وما من جمالٍ إلّا وهو آيةٌ لجماله، وله (سبحانه) كلّ الجلال، وكلّ ما دونه آيته»**[2]؛ ولذا يقول الشاعر:

جمالك في كلّ الحقائق سائرُ ... وليس له إلّا جلالك ساترُ[3]

فما من أحدٍ يجول بعينه فيما حوله من لوحة الوجود إلّا وأدرك جمال هذه اللوحة النابع من جمال صانعها، ومن الأُمور الجميلة في لوحة خلق الله تعالى هو الإنسان الذي قال عنه تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[4]، **«والمراد بكون خلقه ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ اشتمال التقويم عليه في جميع شؤونه وجهات وجوده»**[5]، ليس في شكله الظاهري فحسب، بل إنّ **«سعة مفهوم الآية يُشير إلى أنّ الله (سبحانه) خلق الإنسان بشكلٍ متوازن لائق من كلّ الجهات، الجسمية والروحية والعقلية»**[6]؛ ولذا قال تعالى بعد خلقه للإنسان: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[7].

فتجلّي جمال الله تعالى في الإنسان أكثر ممّا هو عليه في باقي الخلق، ومن هنا كانت عناية الله تعالى بهذا المخلوق أكثر من غيره، فحفّه بجلاله العظيم منذ أوّل خلقته، حيث جاء التكليف الإلهي له بأنّه خليفة الله في أرضه: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[8]،

---

(١) الخميني، روح الله، شرح دعاء السحر: ص٢٨.
(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٤، ص١٢٤.
(٣) البيت منسوب للخواجة عبد الله الأنصاري. أُنظر: المطهّري، مرتضى، ياد داشت ها (المذكّرات): ج٨، ص٤٩١.
(٤) التين: آية٤.
(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢٠، ص٣١٩.
(٦) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢٠، ص٣١٠.
(٧) المؤمنون: آية١٤.
(٨) البقرة: آية٣٠.

فبدأت مسؤولية الإنسان منذ ذلك الحين، وبما أنّه خليفة لله (سبحانه)؛ يجب أن يكون بصفاته وأفعاله مظهراً لصفات الله وأسمائه وأفعاله، بما في ذلك الجلال الإلهي.

إنّهم مسؤولون

المسؤولية من القيم الإنسانية التي لها دور عظيم في بناء شخصية الفرد والمجتمع؛ لأنّها كلمة مشتقّة من مادة (سأل)، أي: إنّ الإنسان يُسأل عن أمرٍ تقع عليه تبعته؛ إذ إنّ المسؤولية هي التعهّد والالتزام بأمرٍ ما[1]، سواء كان قولاً أو فعلاً.

وقد أكّد القرآن الكريم على مسألة المسؤولية بما أنّها قيمة إنسانية ترتقي بالإنسان، وتسير به نحو الهدف من خلقه، ألا وهو الكمال الذي رسمته يد السماء، والمتمثّل بوصول الإنسان إلى القرب الإلهي عن طريق اختياره الصحيح، ومسيره في الصراط المستقيم، ولا يتيسّر هذا طبعاً إلّا أن يُلبّي الإنسان دعوة الحقّ، ويقتفي آثار الوحي السماوي، فيعرف الحقّ من الباطل، ثمّ يقوم بالعمل في قبال تلك المسؤولية والتكليف المُلقى على عاتقه، خاصةً وأنّه قد تعهّد فطرةً وقبل المجيء إلى هذا العالم[2] بأنّه العبد والمربوب لله تعالى، حيث ذكر (سبحانه) ذلك العهد الفطري بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾[3]، أي: تقبّل الإنسان بحكم فطرته وخلقه ميثاق الربوبية له تعالى، وشهد على نفسه أن يؤدّي ذلك الميثاق إذا سُئل عنه يوماً ما[4]، وما جاء الأنبياء عليهم السلام إلّا ليُذكّروا البشر بذلك الميثاق الذي أُخذ منهم منذ الأزل؛ ولذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لِيستأدوهم ميثاق فطرته**»[5].

(١) أُنظر: بستاني، فؤاد، فرهنك أبجدي (المعجم الأبجدي): ج١، ص٨١٥.
(٢) أي: في عالم الذر. أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٣، ص٦٢٢.
(٣) الأعراف: آية١٧٢.
(٤) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٨، ص٣٠٧.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١١، ص٦٠.

أجل، منذ بدأ خلق الإنسان بدأت معه مسؤوليته قبال ما تعهّد به فطرةً، وفي قبال الأمانة الإلهية التي أُلقيت على عاتقه، ألا وهي المسؤولية والتكليف، تلك المسؤولية التي يذكر الوحي أنّها أمانة عظيمة قد أشفق منها ـ تكويناً ـ أعظم ما في الكون من السماوات والأرضين وغيرها، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾[1]، وهذه هي الأمانة التي لا يتيسّر حملها إلّا بوجود العقل والحرّية والإرادة[2]، ولم تقتصر هذه المسؤولية على المبدأ من خلقة الإنسان فحسب، بل إنّها مستمرّة معه في كلّ لحظة من لحظات حياته، وإنّه سيقف في المعاد مُطالَباً بتلك الأمانة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[3].

أنواع المسؤولية

إنّ للمسؤولية والتكليف أمام الله تعالى درجات مختلفة، إن وقف عليها الإنسان فإنّه سوف يسهل عليه القيام بها وفق الأولوية المطلوبة، ولننظر إلى أنواع أو درجات المسؤولية:

المسؤولية قبال النفس

إنّ أوّل مسؤولية يتحمّلها الإنسان أمام ولاية الله تعالى هي المسؤولية عن نفسه، فإنّ الإنسان مسؤول عن إصلاح نفسه وتهذيبها أوّلاً؛ لأنّها الأساس والقاعدة لباقي مراتب المسؤولية؛ ولذا يؤكّد القرآن على هذه المسؤولية بصورة كبيرة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[4]، أي: «**احفظوا أنفسكم من ملابسة**

(١) الأحزاب: آية٧٢.
(٢) أُنظر: مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ج٣، ص١٥٢.
(٣) الصافات: آية٢٤.
(٤) المائدة: آية١٠٥.

المعاصي، والإصرار على الذنوب»[1]، فكلّ إنسان يتحمّل مسؤولية نفسه، سواء على المستوى الفكري والعقدي، أو على المستوى السلوكي والأخلاقي، طبقاً لما رسمه له الوحي وبلّغه الرسول؛ لأنّه سوف يُسأل عن كلّ خطواته يوم القيامة، ولذا جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2]، وهذا ما يوقف الإنسان على مسؤوليته المستمرّة حيال نفسه، فيقوم بمراقبتها ومحاسبتها دائماً.

المسؤولية قبال الأُسرة

إنّ ثاني درجة من درجات المسؤولية أو أنواعها هي المسؤولية قبال الأرحام، وإنّها أوّل أمر أكّد عليه (سبحانه) بعد تأكيده على ضرورة وقاية النفس، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾[3]، أي: احفظوا واحرسوا وامنعوا أنفسكم وأهليكم من النار، وذلك انطلاقاً من الإيمان الذي يدعو الإنسان إلى التأهّب والاستعداد ليوم القيامة الذي سوف يواجه فيه العبد مسؤوليته أمام الله تعالى، ووقاية النفس والأهل إنّما تكون بالصبر على طاعة الله وتجنّب معصيته، وتعليمهم الفرائض، ونهيهم عن القبائح، وحثّهم على أفعال الخير، فذلك حقّ وتكليف على المسلم[4]؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾[5]، فإنّ لهذه الآية المباركة معنىً أوسع وأكبر من موضوع الإرث[6].

ولا شكّ في أنّ حقوق الأرحام (الزوجة والأولاد) لا تقتصر على توفير المسكن

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٣، ص٣٩٢.
(٢) الإسراء: آية٣٦.
(٣) التحريم: آية٤.
(٤) أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج١٠، ص٤٧٧.
(٥) الأنفال: آية٧٥.
(٦) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٥، ص٥٠٦.

والمأكل فحسب، بل الأهمّ من ذلك هو تهيئة الأجواء الصالحة والمحيط الطاهر من كلّ رذيلة ونقص، وتربية نفوسهم، وتغذيتها بالأُصول والتعاليم الإسلامية، وتنشئتها نشأةً تربوية صحيحة[1]؛ ولذا عندما سُئل النبي الأكرمﷺ عن كيفية وقاية الأهل من النار، أجاب: «**تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عمّا نهاهم الله، إن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك**»[2].

المسؤولية قبال المجتمع

وانطلاقاً من المسؤولية أمام النفس والأهل، تأتي المسؤولية قبال المجتمع؛ ولذا نجد الكثير من آيات القرآن تؤكّد على الخطاب الجماعي، كقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[3]، فالآية الكريمة تدعونا إلى النهضة الجماعية نحو أداء أمانة الله تعالى، ولم تقتصر على النهوض الفردي لأداء المسؤولية، بل إنّ الرسل والأنبياء لم يُبعَثوا من قِبل الله تعالى إلّا لهداية المجتمعات، وإقامة العدالة فيها، وسوقها نحو الفلاح.

ولذا؛ فإنّ من أهمّ أحكام الدين الإسلامي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، وإنّها لدعوة في غاية الأهّمية، تُشير إلى حفظ المجتمع من السقوط في هاوية الشيطان، كما تُشير إلى أنّ الفلاح والسعادة الحقيقية إنّما يحصلان بالصورة الجماعية[5]، الأمر الذي يُشعرنا بالمسؤولية أكثر أمام المجتمع؛ ومن هنا يوصي أمير المؤمنينعليه السلام قائلاً: «**وعليكم بالتواصل والتباذل، وإيّاكم والتدابر**

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج١٨، ص٤٥٥.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٦٢.
(٣) آل عمران: آية١٠٣.
(٤) آل عمران: آية١٠٤.
(٥) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٤، ص٩٥.

والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم، ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم»[1]، والحديث طويل في هذا المجال.

حقّاً، إنّ المسؤولية والتكليف أمام ولاية الله عزّ وجلّ وعهده، وأمام النفس والأهل والمجتمع، إنّما هي أمانة ثقيلة، وتبعاً لذلك جعل الله تعالى العقل والحرّية والإرادة للإنسان، وهذه الأُمور الثلاثة هي التي تبيّن مقام الإنسان وأفضليّته على باقي المخلوقات، بحيث يختاره ربّ الكون لأجل أن يكون خليفته، وهل هناك مقام أرفع من مقام الخلافة الإلهية يا تُرى؟!

نعم، مقام الخلافة الإلهية مقام رفيع، ذو مسؤولية عظيمة، يوحي للإنسان أن يكون بأرقى درجة ممكنة من الكمال؛ إذ بما أنّه خليفة لله (سبحانه) يجب أن يكون بصفاته وأفعاله مظهراً لصفات الله وأسمائه وأفعاله[2]، وبعبارةٍ أُخرى: يجب أن يكون آية لجمال الله وجلاله، آية متحرّكة في الواقع الإنساني، تبثّ الخير والصلاح في المجتمع، منطلقة من مسؤولية العهد الإلهي، ومن الإيمان الراسخ بربّ السماء وما أنزل منها من رسالات تُرشده إلى سعادة الدنيا والآخرة، خاصةً وأنّ الإيمان لا يقتصر على الاعتقاد بالقلب أو الإقرار باللسان فحسب، بل إنّ العمل من مقوّمات الإيمان ولوازمه، وهذا ما يجعل الإنسان المؤمن يحمل مسؤولية خاصّة أمام الله (سبحانه)[3]، وهذا ما نراه متجسّداً عند أفضل خلق الله، الذين اصطفاهم الله تعالى ليكونوا أُسوةً لخلقه، بما فيهم سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وذرّيته الطاهرة عليهم السلام التي تفرّعت كشجرة طيّبة، فكانت فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام من أغصانها الزاكية، فلننظر كيف كانت بنت سيّد الشهداء عليه السلام آية للجمال الإلهي، وشعاراً للمسؤولية الربّانية.

(١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: وصية٤٧، ص٤٢٢.
(٢) أُنظر: السبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية: ص١٤٣.
(٣) أُنظر: السبحاني، جعفر، الإلهيات: ج٤، ص١٨١.

سيّدة الجمالين

قرأنا في تعريف الجمال أنّه تارة يكون جمالاً مادياً، وهو المتعارف عند البشر من حُسن الصورة والمنظر، وأُخرى يكون جمالاً معنوياً، وقد ورد هذا التقسيم للجمال في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[1]، حيث يُشير تعالى إلى الجمال الظاهري المادّي للكواكب التي نراها بأُمّ أعيننا في السماء بمجرّد غياب الشمس. وأمّا الجمال المعنوي فقد أشار إليه تعالى في قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[2]، فالإيمان أمرٌ معنوي قد أصبح سبباً لجمال الروح الإنسانية التي هي أمرٌ مجرّدٌ عن المادة[3].

كما نجد هذا التقسيم كذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**حُسن النية جمال السرائر**»[4]، أو ما ورد عن الإمام العسكري عليه السلام: «**حُسن الصورة جمال ظاهر، وحُسن العقل جمال باطن**»[5].

كانت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام سيّدة الجمالين، جمالٌ مادّي حسّي خارج عن الاختيار قد تفضّل به بارئها عليها، وجمالٌ روحي اختياري اكتسبته من بيت الوحي والرسالة، وهذا ما سنراه في سطور ليست ببعيدة في هذا المقال.

تشبه الحُور العِين

ذكرنا سابقاً أنّ القرآن الكريم قد اهتمّ اهتماماً بالغاً بمسألة الجمال بقسميه؛ وذلك لأنّ أصل الميل والانجذاب نحو المناظر الجميلة وأمثالها من الأُمور الفطرية عند بني البشر؛ ومن هذا المنطلق نجد أنّ القرآن الكريم قد اتّخذ هذا الميل الفطري سبيلاً

(١) الصافات: آية٦.
(٢) الحجرات: آية٧.
(٣) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، جمال المرأة وجلالها: ص١٦.
(٤) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٤١٦.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٩٥.

لجذب الإنسان نحو النعيم الأُخروي، والفوز بالجنّة والرضوان، فمن الأُمور التي نراها بوفور في كلمات الوحي المبارك، هي وصف الجنة بما فيها من أشجارٍ وعيون جارية، وأنهار جميلة، ومناظر خلّابة، وأمثال ذلك، ومن ضمن مصاديق الجمال في الجنة، يُشير تعالى إلى أهلها فيقول: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[1]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على الترغيب في الجمال الأُخروي، وإثارة حسّ الميل الفطري نحو الجمال الظاهري، وعندما يصف نساء أهل الجنة يقول عزّ وجلّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[2]، وكم هو تشبيهٌ جميل للحور العين في جنان الخلد، وكلّ ذلك يُشير إلى اهتمام القرآن الكريم بمسألة الجمال الظاهري الذي هو من أنعم الله تعالى على مخلوقاته.

وعندما نأتي إلى سيّدة هذه الحروف، فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام، نجدها من الذين أنعم الله عليهم بالجمال الظاهري، وهذا ما يمكن لحاظه من النقاط الدلالية التالية:

١ـ جاء في تعريف شخصها أنّها كانت «**تُشبَّه بالحور العين لجمالها**»[3].

٢ـ كانت شبيهة بسيّدة نساء العالمين عليها السلام، فقد قال الإمام الحسين عليه السلام لخاطبها الحسن المثنّى: «**فإنّي قد اخترت لك ابنتي فاطمة، وهي أكثرهما**[4] **شبهاً بأُمّي فاطمة بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله»[5]. ولعلّ ما يقصده الإمام عليه السلام هو الجمال الظاهري؛ إذ إنّ السيّدة الزهراء عليها السلام كانت أكثر الناس شبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله، ذلك الشخص الكريم الذي عُرف بحُسن صورته وبهائه.

---

(١) الإنسان: آية١٩.

(٢) الرحمن: آية٥٨.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٥.

(٤) يقصد عليه السلام ابنتيه: (فاطمة وسكينة).

(٥) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص١٢٢.

إنّ عامل الوراثة أمرٌ لا يمكن إنكاره، فلقد كانت السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام من أُمّ وجدّة عُرفتا بالجمال في قريش، حتّى أنّ جدّتها لأُمّها كانت تُسمّى بالجرباء لشدّة حُسنها[1].

٣ـ كما نستشعر جمالها من كلامها عليها السلام حين تروي لنا قصص الأسر والمأساة في الشام؛ إذ تقول: «**فلمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية ـ يعنيني ـ وكنت جارية وضيئة**[2]، **فأرعدت وظننت أنّ ذلك جائز لهم، فأخذتُ بثياب عمّتي زينب عليها السلام... فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمتَ، والله ما ذلك لك ولا له**»[3].

لكنّ الله تعالى حينما يمنح العبد نعمة ما يطلب منه المحافظة عليها ورعايتها، وهذا بالطبع نوع من الشكر له (سبحانه)، وبعبارةٍ أُخرى: إنّ الإنسان مسؤول عن تلك النعمة، فكيف تكون المحافظة على نعمة الجمال الظاهري؟ وكيف جسّدت السيّدة فاطمة عليها السلام مسؤوليتها حيال تلك النعمة الربّانية؟

بَيضٌ مكنون

عندما تحدّث القرآن الكريم عن أهمّية الجمال، والجمال الظاهري بالذات، ما كان ليترك الأُمور التي تُحيط بهذه المسألة الحساسة، وما يلحقها من تبعات خطيرة، ففي نفس الوقت الذي يبيّن فيه أهمّية الجمال، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾[4]،

(١) «سمّيت الجرباء لحُسنها، كانت لا تقِف إلى جنبها امرأة وإن كانت جميلة إلّا استُقبح منظرها لجمالها، وكان النساء يتحامينَ أن يقفن إلى جنبها، فشُبّهت بالنّاقة الجرباء التي تتوقّاها الإبل مخافة أن تعديها». أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج٢١، ص٧٨.

(٢) يُقال: وجه وضيء، أي: مشرق وجميل.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٢٠. وقد ورد شبيه هذا الخبر في كتاب الاحتجاج للطبرسي: ج٢، ص٣٧: «إنّ فاطمة بنت الحسين كانت وضيئة الوجه، وكانت جالسة بين النساء، فقام إلى يزيد رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية...».

(٤) الرحمن: آية ٧٠.

يؤكّد ستره ومكنونيته، فيقول: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1]، أو يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[2]، والبيض المكنون: هو البيض المستور بالادّخار، لم تمسّه الأيدي، ولم يصبه الغبار[3].

والمرأة التي يصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنّها آية الجمال الإلهي، حيث يقول: «**فإنّ المرأة ريحانةٌ وَليسَت بقَهرمَانة**»[4]، ما كان ليد الجلال الإلهي أن تتركها سُدى، فقد كلّفها الله بالستر منذ صغر سنّها؛ لأنّ «**الريحانة يجب تربيتها أفضل وأسرع من الأجرام الثقيلة**»[5]، ولذا حباها الله تعالى بالحجاب؛ ليبقى فيها الجمال في ستر الجلال الإلهي، وهذا ما أدركته فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، فلقد كانت في قمّة المكنونية والستر والعفاف، كيف لا وهي ربيبة ذلك البيت الذي عُرفت نساؤه بالخدر والطهارة.

ومع قلّة ما وصلنا من شواهد تاريخية في خصوص ذلك سنشير إلى بعضٍ من المحطّات المكنونية لذلك الجمال الملكوتي:

إنّ أوّل شيء طلبته تلك السيّدة الجليلة بعد أن سلبها العدو في واقعة كربلاء هو الحجاب، وذلك بقولها: «**يا عمّتاه، هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظارة؟**»[6]، وإنّها لكلمات تدرّ لها عيون المحبّين؛ إذ كيف يجرؤ أولئك اللعناء على سلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟! كما تُبيّن هذه العبارة أيضاً مدى أهمّية الستر والحجاب عند تلك السيّدة الفاضلة. وقد جاء في كتب التاريخ أنّه «**لمّا مات الحسن بن الحسن (رحمة الله عليه) ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين على قبره فسطاطاً، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار، وكانت تُشبّه بالحور العين لجمالها، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها: إذا أظلم**

(١) الرحمن: آية٧٢.
(٢) الصافات: آية٤٩.
(٣) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٧، ص١٣٧.
(٤) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح: وصية٣١، ص٤٠٥.
(٥) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، جمال المرأة وجلالها: ص٣٣٢.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦١.

الليل فقوّضوا هذا الفسطاط...»[1]. والشاهد واضح في المقام، فإنهاعليها السلام كانت من سيّدات العفاف والطهارة.

حريٌّ بأهل البيتعليهم السلام أن يكونوا عاملين بأيّ قانون يخطّه قلم الوحي، بل هم الوحي المتحرّك في الواقع البشري، فعندما تروي لنا بنت الحسينعليه السلام رواية عن أبيها أو أجدادهاعليهم السلام، لا شكّ في أنّها هي العاملة الأُولى بتلك الرواية، وبعد أن يوقفنا التاريخ على ستر فاطمة بنت الحسينعليهما السلام، نعلم حقّاً أنّها العاملة الأُولى بما روته عنهمعليهم السلام حين تقول: «**النّساء عَيٌّ وعورات**[2]، **فداووا عَيّهنّ بالسكوت، وعوراتهنّ بالبيوت**»[3]، وهذا ما عُرف عن ربيبات الخدر الفاطمي.

هذا، وتوجد مواقف أُخرى تُشير إلى أهمّية الحجاب والعفاف عند نساء بيت الوحي، كطلبهنّ من عمر بن سعد في عصر عاشوراء أن يسترجع لهنّ كلّ ما سُلب منهنّ من جلابيب ومقانع، أو طلبهنّ من نسوة أهل الكوفة كلّ ما يستترن به من أعين الرجال، أو طلب السيّدة سكينة بنت الحسينعليها السلام من سهل بن سعد أن يطلب من صاحب الرأس إبعاد الرؤوس عن النساء[4]؛ كي ينشغل الناس بالنظر إليها بدلاً من النظر إلى نساء الركب الزينبي الذي كانت السيّدة فاطمة بنت الحسينعليهما السلام من عناصره البارزة.

أجل، لقد ورثت فاطمة بنت الحسينعليهما السلام جمال العفاف من سيّدة العفاف فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، تلك السيّدة التي رسمت لبنات الوحي ـ بل لنساء العالمين ـ معنى المسؤولية والتكليف الإلهي في الستر والحجاب، والعفة والحياء، وبيّنت أنّ

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٦.
(٢) العيّ: العجزُ عَن أداءِ المراد، والعورة: الخلل والعيب في الشيء. اُنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ص٦٣٦، وص٦٤٢.
(٣) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٠، ص٦٦.
(٤) اُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٢٨.

شرف المرأة وعزّتها إنّما يكون في مكنونيتها، وذلك من خلال الإطار الذي وضعته بقولها الخالد: «**خير للنّساء أن لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال**»[1].

وزيّنه في قلوبكم

إنّ للجمال المعنوي الروحي أهمّية كبرى في الإسلام؛ وذلك لأنّه ينبع من اختيار الإنسان وإرادته، دون الجمال الحسّي والمادي الذي هو خارج عن الاختيار[2]، وإنّ الآيات والروايات لمليئة بالحثّ على اكتساب هذا الجمال، وما أُرسلت الرسالات السماوية، وما أُلقيت المسؤولية والتكليف على البشر إلّا لأجل تهذيبهم وإرشادهم إلى سلوك سبيل الأخلاق الحميدة، فلا يخفى على أحدٍ أنّ الجمال الروحي والخُلقي أهمّ من الجمال الخَلقي؛ ولذا نرى المولى تبارك وتعالى يُخاطب رسوله الكريم صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، تأكيداً منه تعالى على أهمّية هذه الحقيقة، كما يصف الخُلق الحسن بالجمال، كقوله عزّ وجلّ: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[4]، ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا﴾[5].

ولا شكّ في أنّه كلّما كانت الأخلاق مدعومة دينياً، ونابعة من محراب الليل، كانت أكثر ثباتاً، وأوسع عطاءً في أرض الواقع، وما التديّن إلّا تجسيدٌ لقيم الجمال، وترجمان لزينة الإيمان التي زرعها الله في قلوب عباده، يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾[6]، حيث يتجلّى الإيمان بجماله النفسي والمعنوي في العبد المؤمن؛ ليكون سبباً في تخلّقه بأخلاق الله تعالى، فلا يخفى على أحدٍ أنّ المؤمن مرآة لصفات الحقّ تعالى بجمالها وجلالها، وكلّما ازداد العبد قرباً من مولاه البارئ المتعال،

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٤، ص٤٣.
(٢) أُنظر: السبحاني، جعفر، رسالة في التحسين والتقبيح: ص١٤٨.
(٣) القلم: آية٤.
(٤) الحجر: آية٨٥.
(٥) المعارج: آية٥.
(٦) الحجرات: آية٧.

كان أكثر تجلياً لذلك الجمال المطلق؛ وذلك لأنّ «**العبودية هي قمّة ونهاية التكامل المعنوي للروح في حركة التكامل المعنوي للإنسان، وغاية ما يطمح إليه الإنسان من حالة القرب من الله تعالى، والتسليم المطلق للذات المقدّسة... بل إنّ روح العبادة هي التسليم المطلق لله تعالى، ولذاته المقدّسة والمنزّهة عن كلّ عيب ونقص، ومن البديهي أنّ العبادة هي أفضل وسيلة للرقي المعنوي، وتحصيل الكمال المطلق... فإنّ الإنسان يسعى للقرب من معبوده، لتتجلّى في نفسه إشعاعات من نور قدسه وجلاله وجماله، ويكون مظهراً ومرآة لصفات الجمال والكمال الإلهية، في واقعه النفسي وسلوكه العملي**»[1].

وحينما نذكر السيّدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام نجد أنّها جميلة بجمال الإيمان والخُلق، فهي التي تشرّفت كقريناتها من رياحين الجمال الإلهي بالتكليف والمسؤولية والعبادة، وهي بنت تسع سنين، وهذا بحدّ ذاته تشريف ووسام من الله تعالى للمرأة قبل الرجل[2]، فاستقبلت عليها السلام ذلك التشـرّف بشوقٍ ولهفة، حتّى صارت صاحبة الجمال الإيماني الوفير الذي اكتسبته من قيامها في الليل ومن صومها في النهار[3]، ومَن كان حاله هذه فماذا يُرتجى منه سوى أن يكون آيةً للجمال الربّاني، فإنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**العبودية جوهر كُنهها الربوبية**»[4]، ففي هذا القول إشارة إلى تلك الانعكاسات الربّانية التي تتجلّى في العبد جرّاء العبادة الخالصة المنقطعة إلى الله، والتي يصل العبد بواسطتها إلى درجاتٍ من الرّقي والكمال، ولعلّ هذا الأمر هو الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام يقول: إنّها أكثر بناته شبهاً بأُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يبعد أنّ الإمام عليه السلام كان يُشير إلى الجمال المعنوي الذي كانت تتمتّع به سيّدة نساء العالمين، من العبادة والعفّة والحياء والتخلّق بأخلاق ربّها؛ لأنّها كانت

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ج١، ص٢٨٦.
(٢) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، جمال المرأة وجلالها: ص٣٣٠.
(٣) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٦.
(٤) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص٧.

من أوليائه الصالحين الذين حباهم بلطف العصمة، واجتباهم ليكونوا مرآة الرحمة.

والتاريخ يشهد لعبادة سيّدة نساء العالمين عليها السلام، فلم تكن امرأة أعبد منها؛ كانت تقوم في محرابها حتّى تتورّم قدماها[1]، وهي بين ركوعٍ وسجود، وبين دعاء ومناجاة حتّى انفجار عمود الصبح[2]؛ وهكذا كانت حفيدتها وشبيهتها وسميّتها فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام، تقوم الليل وتصوم النهار؛ لتكون سيّدة الجمالين المادي والمعنوي، وبعبارة واحدة: لتكون مرآة لجماله وجلاله تعالى كما كانت البتول عليها السلام.

وكانت تُسبّح

ما كان لأحدٍ أن يُنكر جمال تسبيح الكائنات لله تعالى؛ إذ ما من شيء في السماوات والأرض إلّا ويسبّح للبارئ تعالى بالحال الذي وصفه الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[3]، لكن عندما يكون التسبيح بلسان المقال إضافة إلى لسان الحال والتكوين، فإنّه أفضل وأرقى؛ لأنّه سيكون نابعاً من الاختيار الذي حبا الله تعالى به الإنسان وفضّله به على غيره، ولأنّه سيكون في خطّ العبادة والانقطاع إلى المولى؛ ولذا يصف الله المؤمنين ويمجّدهم في كتابه بأنّهم يُسبّحون له مستجيبين لدعوته، لـمّا أمرهم بذكره والتبتّل إليه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[4]، فصارت بيوتهم مساجد لله تعالى، يفتخر بها أمام ملائكته ومخلوقاته، فيقول: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[5].

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٣، ص٧٦.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٨٦، ص٣١٣.
(٣) الإسراء: آية٤٤.
(٤) ق: آية٣٩.
(٥) النور: آية٣٦.

وكانت السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام ربيبة تلك البيوت المقدّسة، فتعاهدت هذه المزيّة لتكون هي الذاكرة الأُخرى في بيتها، بل وفي كلّ مكان تحلّ فيه، حتّى دوّن قلم التأريخ رغم خذلانه لذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام: «**أنّ فاطمة بنت حسين كانت تُسبّح بخيط معقود فيها**»[1]، وإنّها لمنقبة عظيمة من مناقب الجمال لسيّدتنا فاطمة عليها السلام، ذلك الجمال الذي ورثته من جدّتها فاطمة عليها السلام التي عُرفت بعبادتها وتبتّلها إلى الله تعالى، وبتسبيحها الذي نحله إيّاها رسول الرحمة صلى الله عليه وآله، والذي يصفه الإمام الباقر عليه السلام بأنّه أفضل ما يمكن أن ينحله الرسول صلى الله عليه وآله ابنته الطاهرة[2].

أجل، هكذا هي خصائص أولياء الله، ومَن اتّبعهم من المؤمنين، مزاولة ذكر الله تعالى وتسبيحه في كلّ وقت، وفي كلّ مكان، وإنّه لفخر عظيم أن يعيش الإنسان في ذكر بارئه ومصوّره؛ إذ لا شك في أنّ ذكر الله تعالى له الدور الفاعل في تهذيب النفس، وتنمية الفضائل الأخلاقية، ودرء الغفلة التي يمرّ بها الإنسان خلال حياته.

الجمال مواقف

قالوا: إنّ الحياة مواقف، ويقول القلم: إنّ الجمال مواقف أيضاً؛ وذلك عندما يندمج الجمال مع جلالة المسؤولية، ليجسّد مواقف الإباء والصمود، وليترك البصمات اللامعة في سماء التاريخ. أجل، الجمال مواقف عندما يتجلّى في ومضاتٍ من حياة السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، وإن حرمتنا يد التأريخ عن الكثير من مواقفها، إلّا أنّ اللبيب تكفيه الإشارة.

نعم، تكفينا إشارات التأريخ ـ رغم جفائها لأهل البيت عليهم السلام ـ بأنّ تلك السيّدة العظيمة كانت في منتهى الشجاعة والصلابة، وكأنّ بأس رسول الله صلى الله عليه وآله يدفعها

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٨، ص٣٨٨. اُنظر أيضاً: الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٢، ص٣٥٩.

(٢) «عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما عُبِدَ الله بشيءٍ من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٣٤٣.

لترتدي بُردة الجلالة العلوية، فترصّعها هي الأُخرى بالجمال الفاطمي؛ لتكون فريدة النوع في مواقفها التي ارتأى القلم أن يُشير إليها في هذه السطور:

الموقف الأوّل

إنّ أوّل مسؤولية تقع على عاتق المرء هي القيام بالتكليف حيال العهد الإلهي الذي عاهد به خالقه فطرةً، ولقد جسّدت بنت الحسين عليهما السلام أروع وجه في تحمّل المسؤولية؛ وذلك بتلبيتها لدعوة الحقّ تعالى، والثبات على ما عاهدت عليه ربّها من أن تكون سائرة على صراطه المستقيم، ناصرة للحقّ والحقيقة، ورافعة لكلمة الله عزّ وجلّ.

أجل، إنّ حضور السيّدة فاطمة مع زوجها في ركب الإمام عليه السلام، واختيارها مواكبة تلك المسيرة الماضية نحو كربلاء المصائب لخيرُ موقف من تلك السيّدة الجليلة، ولخيرُ تجسيد لفكرة الإنسان المؤمن الذي يشعر بالمسؤولية في كلّ حركةٍ يتحرّكها على أرض الواقع، ويشعر بثقل التكليف إزاء نداء ولي الله الذي أمرنا تعالى بأن نكون إلى جنبه على كلّ أمر يقتضي اجتماع الناس فيه ويتطلّب تعاونهم، خاصّة إن كان الأمر يستدعي الجهاد والدفاع عن دين الله تعالى[1]، حيث قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾[2]، وخطاب الوحي الكريم عامّ وشامل لكلّ المجتمع بما فيه الرجال والنساء؛ لأنّ دين الله تعالى ينظر إلى البشر رؤية جماعية[3]، فلا فرق بين المرأة والرجل في تحمّل المسؤولية وتلبية دعوة ولي الله، الذي تكون ولايته في طول ولاية الله تعالى، وهذا ما أدركته نساء عاشوراء.

إنّ كلّ النسوة في قافلة السبط عليه السلام كنّ على علم تامّ بما سيحلّ بهنّ في كربلاء، لكنّ

(١) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١١، ص١٧٨.
(٢) النور: آية٦٢.
(٣) أُنظر: جوادي آملي، عبد الله، جمال المرأة وجلالها: ص٢٨٦.

الشعور بالمسؤولية، وإدراك التكليف، والتسلّح بالصبر، والإصرار على الاستقامة، كان يدفع بتلكم النسوة نحو الهدف السامي لتلك النهضة المباركة، فلقد كانت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام تعلم خير علم بتفاصيل ما يقوله مولاها الحسين عليه السلام لابن الحنفية: «**أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، اُخرج، فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً. فقال له ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال لي صلى الله عليه وآله: إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا**»[1].

نعم، ما كان يخفى على بنت الحسين عليه السلام ما سيجري في كربلاء، وما سيتبعه من ويلات السبي والأسر، إلّا أنّ بنت القائد يجب أن تكون هي المتصدّرة لقائمة الحضور في ركب حجّة الله عليه السلام، وهي السبّاقة الصابرة في ميدان التضحيات لولايته؛ لأنّ الهدف عندما يكون عظيماً فلا بدّ لتحقّقه من العزم والصبر والصمود مهما بلغت الكلفة؛ ولذا نرى أنّ الوحي المبارك كثيراً ما كان يأمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله ـ صاحب المسؤولية العظيمة ـ بالتسلّح بالصبر لإتمام آخر رسالة من رسالات العرش، فيقول: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2]؛ وذلك لأنّ هدف رسالة السماء يتطلّب صبراً عظيماً، ولم تكن رسالة كربلاء أقلّ من رسالة المصطفى صلى الله عليه وآله، وهي التي أعلن سيّدها بأنّها كانت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه صلى الله عليه وآله[3]، فما كان من سيّدة الجمال والمسؤولية إلّا أن تُسجّل موقف الصمود، وتتجلّد بالصبر أمام ذلك الهدف العظيم، «**وكم هي عظيمة وجميلة تلك الروح التي لا تنكسر أمام الحوادث والمصاعب، ولا تغيّر ابتسامتها مرارة الصبر والتحمّل، فإنّ الصبر والانفتاح الروحي أمام المصائب والنوائب**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.
(٢) الأحقاف: آية٣٥.
(٣) «إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدي صلى الله عليه وآله». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.

في طريق الأهداف السامية لا يمكن لأي ريشة أن ترسمه؛ لأنّه يتمتّع بجمالٍ يفوق كلّ جمال، وأنّه حقّاً ذلك الجمال الذي يرتضيه العقل ويقبله الربّ»[1]، وقد جسّدت السيّدة فاطمة عليها السلام ذلك الجمال في موقف النصرة لأبيها والصبر على هدف نهضته السامي.

الموقف الثاني

وهو موقف يدلّ أيضاً على صلابة شخصية تلك السيّدة الجليلة، وعلى شعورها بالمسؤولية إزاء تبليغ رسالة سيّد الشهداء عليه السلام، تلك الرسالة التي حملتها نسوة كربلاء، وعلى رأسهنّ السيّدة زينب عليها السلام وبنات الإمام الحسين عليه السلام بما فيهنّ السيّدة فاطمة عليها السلام، تلك السيّدة التي وقفت أمام معشر أهل الكوفة، لم تأبَه لغزارة الحشد، ولم يهزّها ذلّ الأسر، بل انطلقت بلسان الشجاعة، وكأنّ جلالة علي عليه السلام تسري في عروقها، وهي تقول: «**يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحجّته في الأرض لبلاده ولعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله على كثير ممَّن خلق تفضيلاً بيّناً، فكذّبتمونا وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأنا أولاد تُرك أو كابل، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت؛ لحقد متقدّم، قرّت بذلك عيونكم، وفرحت قلوبكم، افتراءً منكم على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونّكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا، ونالت أيديكم من أموالنا، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة، ﴿فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾**»[2][3].

(١) جعفري، محمد تقي، زيبايي وهنر از ديدگاه إسلام (الجمال والفن من منظار الإسلام)، ص٢٨٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٠ـ١١١.
(٣) الحديد: آية٢٢ـ٢٣.

إنّه لقول نابع من رباطة الجأش، وإنّه لموقف في غاية الشجاعة؛ إذ لكلّ مقام مقال، ولقد كان المقام يستحقّ هكذا مقال، فأحسنت السيّدة انتقاء الكلمات، وصاغتها في موقف أذهل لُباب القوم، ونفخ في أرواحهم شعور اليقظة، فـ«**للفصاحة والبلاغة جذبٌ لا يُقاوَم، وجمالٌ لا يُنكر؛ وسرّ ذلك ليس هو جمال اللفظ فقط، بل روح تلك الألفاظ ومعانيها العالية الآسرة**»[1]. حقّاً، إنّ روح تلك الألفاظ كانت تنبع من قذى عين فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، وهي ترى أُمّة جدّها صلى الله عليه وآله بهذا السبات، وبهذا الجهل المُزري الذي أدّى بهم إلى نقض العهود، ونحر ابن بنت نبيّهم، وسبي ذراريه.

الموقف الثالث

إنّه لَمن الصعب جدّاً أن يتكلّم الشخص أمام الجبابرة الذين لا يعرفون للإنسانية معنى، فضلاً عن الأخلاق والدين، لكن ابنة القائد يجب أن تكون بمنتهى الشهامة والشجاعة، لا تخاف الجبابرة وهي سالكة طريق أبيها ورسالته، وهكذا كانت بنت قائد كربلاء، حيث وقفت أمام الطاغية يزيد، تخاطبه بلسان الإنكار والتوبيخ وهي تقول: «**أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟!**»[2].

إنّه لسؤال إنكاري وتقريعي لذلك الطاغية، تستنكر فيه السيّدة عليها السلام ما فُعل بهم طوال أيام السبي؛ إذ لم يحصل في تاريخ الإسلام ما حصل لبنات الرسالة بعد واقعة كربلاء؛ فكان هذا الأمر مدعاةً للإنكار على سبي نساء المسلمين، فضلاً عن بنات الرسالة؛ ولذا قد أبكت السيّدة عليها السلام بسؤالها هذا مَن كان في القصر، حتّى علت الأصوات[3]، فسؤال بنت الحسين عليه السلام كان ملفتاً للانتباه، ومثيراً لليقظة، وما ذلك إلّا انطلاقة من عبء المسؤولية الذي كان يدفعها لأن تفضَح سلطة الأُمويين،

(١) المطهّري، مرتضى، فلسفة الأخلاق: ص٨٢.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٥٥.
(٣) اُنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٢٢٢.

وتكشف القناع عن وجه يزيد الذي تقمّص الخلافة غصباً وعدواناً، وقام بقتل ذرّية سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله.

إنّ موقف السيّدة فاطمة عليها السلام هذا يذكّرنا بموقف جدّتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، حينما انطلقت من مقام مسؤوليتها نحو الدفاع عن مقام الولاية، والوقوف ضدّ الظلم والجور والغصب، حيث تُخاطب القوم بلسان الإنكار والتوبيخ، وهي تقول: «**أَيهاً بني قيلة، أأُهضم تراث أبي وأنتم بمرأى منّي ومسمع؟!**»[1]. إنّه لأُسلوب في غاية الحكمة، يستدعي غيرة الرجال، ويُثير فيهم روح الحميّة ـ إن وُجدت طبعاً ـ وهذا الأُسلوب عُرف عن بيت الوحي والرسالة، فخير الكلام ما قلّ ودلّ، وأثّر في النفوس.

جمال الاختيار

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المرءُ على دِين خليله وقرينه**»[2]، إنّه وحي النبي صلى الله عليه وآله النابع من قلب السماء، والمتطلّع إلى نافذة الفطرة، فلقد جُبلت البشرية على أن يتأثّر الفرد بخليله، شاء أم أبى؛ ولذا ورد الكثير من الروايات التي تؤكّد الدقّة في اختيار الصديق والقرين؛ لما له من أثر كبير في مصير الفرد الدنيوي والأُخروي، وهذا ما يجعلنا نشعر بالمسؤولية أكثر، تبعاً لقول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾[3]، بمعنى: أنّ الإنسان مسؤول عن كلّ حركة يتحرّكها أمام الله عزّ وجلّ حتّى اختيار الصديق.

من هنا؛ يحذّرنا الإمام السجاد عليه السلام ويحثّنا على اليقظة والالتفات إلى كلّ حركة نقوم بها، فيقول: «**اعلم ـ رحمك الله ـ أنّ لله عليك حقوقاً محيطةً بك في كلّ حركةٍ**

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج١، ص١٤٠.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٧٥.
(٣) التحريم: آية٦.

تحرّكتها، أو سكنةٍ سكنتها، أو منزلةٍ نزلتها، أو جارحةٍ قلبتها، وآلةٍ تصرّفت بها»[1]، فينبغي الأخذ بنظر الاعتبار أهمّية هذا الاختيار، سواء لنفس الإنسان أو لذويه، فلا يخفى ما لوقع الخليل على نفس صاحبه؛ إذ لا يحصل اختيار الصديق إلّا بعد الحبّ والمودّة له، وكلّما كان الصديق جميلاً ـ بكلا معنيي الجمال (المادّي والمعنوي) ـ انجذبت إليه الروح أكثر، «**وليس الحبّ إلّا الميل إلى الجمال، والانجذاب نحوه**»[2].

وهنا السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ترتدي حلّةً أُخرى من جمال الملكوت، جمال اختيار الخليل، اختيار الصحبة مع الله تعالى أوّلاً، فهو خير صاحب وجليس للعبد[3]، ذلك الخليل الذي هو مصدر الجمال، بل وكل جميل قد استمدّ جماله منه، وكذا اختيار مرافقة أجمل تجلٍّ لنوره، ألا وهم أولياؤه الطاهرون عليهم السلام، الذين كتب الله على البشر مودّتهم واتّباعهم، ومَن يتّبعهم يصل إلى القرب منه تعالى، وإلى عشقه الأبدي، وقد أشار الوحي المبارك إلى ذلك بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[4].

ومن هذا المنطلق؛ اتّخذت السيّدة فاطمة من أولياء الله خير أخلّاء لها، بل وربّت أبناءها على ذلك، فمدرسة الجمال والمسؤولية لا تختار لأبنائها إلّا ما تختار لنفسها وأكثر، وهذا ما يوقفنا عليه أحد أبناء تلك السيّدة الجليلة حين يقول: «**كانت أُمّي فاطمة بنت الحسين عليه السلام تأمُرني أن أجلسَ إلى خالي عليّ بن الحسين عليهما السلام، فما جلست إليه قطّ إلّا قمتُ بخيرٍ قد أفدته: إمّا خشية لله تحدث في قلبي لما أرى من خشيته لله تعالى، أو علم قد استفدته منه**»[5].

نعم، هذا ما جعل أبناء السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام يمتازون عن غيرهم؛ لأنّ

---

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٢٥٥.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١، ص٣٨.

(٣) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٩١، ص٣٩٦، (دعاء الجوشن الكبير المروي عن النبي صلى الله عليه وآله).

(٤) آل عمران: آية٣١.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٤٠.

الأُمّ عندما تتصدّى لوظيفة تربية الأبناء لا بدّ أن تكون قد هذّبت نفسها أوّلاً، وربّتها وفق ما يرتضيه الله تعالى، وإلّا فإنّ فاقد الشيء لا يُعطيه، وما عرفناه من السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام أنّها في حدّ ذاتها مدرسة قائمة على أساس ما أوحاه ربّ العرش، وعلى أساس ما بيّنه أولياء الله عليهم السلام، فخرّجت للمجتمع أشخاصاً يفتخر التأريخ الشيعي بذكرهم، لا لأنّهم من سلالة نبي الرحمة فحسب ـ فهناك الكثير ممَّن ينتمي إلى البيت الطاهر، لكنّهم ما كانوا أهلاً لذلك الانتساب ـ بل لأنّ التربية التي تلقّوها كانت تربيةً صالحة من بنت قائد كربلاء؛ ولذا عندما نقرأ عن أبناء تلك السيّدة الجليلة، نجد مصادر التاريخ تقول عن أحد أبنائها: «**عبد الله المحض بن الحسن المثنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وإنّما سُمّي المحض لأنّ أباه الحسن بن الحسن عليهما السلام وأُمّه فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، وكان يُشبّه برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه... وكان قوي النفس شجاعاً**»[1]، «**وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بني هاشم، والمقدّم فيهم، وذا الكثير منهم فضلاً وعلماً وكرماً**»[2]، وهذا هو حال من يُحسن الاختيار، ويصاحب أولياء الله.

واتّقوا الله ويُعلّمكم

بعد أن يكون الخليل ولياً معصوماً، وسيّداً من سلالة الوحي والتنزيل، سوف تكون نتيجة خلّته «**إمّا خشية لله... أو علم قد استفدته منه**»[3]، وكم هي نتائج عظيمة: إمّا خشية من الله تعالى، أو علم يهدي نحو الصراط الحقّ، فكيف إذا كان الخليل الطاهر أباً كالحسين عليه السلام، أو أخاً كزين العابدين عليه السلام لفاطمة بنت الحسين عليهما السلام؟! تستسقي من منهله كلّ يوم، وتنتعش من ديمته كلّ ساعة، فتتزوّد بكلا الأمرين اللذين سنقف عليهما وقفة سريعة:

(١) الحسيني (ابن عنبة)، أحمد، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص١٠١.
(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص١٢٣.
(٣) هذا ما قاله ابن فاطمة بنت الحسين عليه السلام نتيجةً لمرافقته لخاله الإمام السجاد عليه السلام في النص المتقدم.

الأمر الأوّل: خشية من الله تعالى

ومَن أكثرُ خشية من أولياء الله الذين صاحبتهم فاطمة عليها السلام؟! سيّد الشهداء وسيّد الساجدين عليهما السلام، ترجمان الوحي القائل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1]، وهذه الخشية والوجل إنّما هي حالة الخوف التي تنتاب الإنسان، والتي تنشأ عن أحد أمرين:

١ـ عند إدراك المسؤولية، واحتمال عدم القيام بالوظائف اللازمة التي ينبغي للإنسان أداؤها بأكمل وجه؛ امتثالاً لأمر الله تعالى.

٢ـ وقد تنشأ كذلك «**عند إدراك عظمة مقام الله، والتوجّه إلى وجوده المطلق الذي لا نهاية له، ومهابته التي لا حدّ لها**»[2].

إنّ أولياء الله تعالى طالما يشعرون بالقصور أمام الله تعالى؛ لأنّهم أعرف بعظمته من باقي الخلق، ولذا كثيراً ما يُناجون الله تعالى، فلم يكن بعيداً عن أسماع بنت الحسين عليها السلام مناجاة سيّد الأحرار عليه السلام، وهو يقف على أعتاب جبل عرفة، ودموع العشق تسيل على وجنتيه المتلألئتين بنور الإيمان ويقول: «**اللّهمّ اجعلني أخشاك كأنّي أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تُشقني بمعصيتك**»[3]، ولم يكن صوت سيّد العابدين عليه السلام ليخفى عن مسامع كريمة الحسين عليه السلام، وهو يُناجي الخالق المتعال: «**ويا مَن هو منتهى خوف العابدين، ويا مَن هو غاية خشية المتّقين**»[4].

ومن هنا؛ كانت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام صاحبة المحراب والمناجاة، حتّى ذكر التأريخ أنّها دائمة القيام لنافلة الليل، وأنّها صائمة للنهار في أكثر الأوقات[5]، وأنّها

(١) الأنفال: آية٢.
(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٥، ص٣٦٢.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج٢، ص٧٨.
(٤) الصحيفة السجادية: ص١٤٠ (في ذكر التوبة وطلبها).
(٥) اُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٢٦.

المسبّحة المتهجّدة لله تعالى[1]، وما ذلك إلّا لأنّها تعيش حالة الحضور عند مولاها الرقيب، فتستشعر عظمته، أو لأنّها تأنس بالقرب من المعشوق الأزلي، وبعبارة أُخرى: إنّها تشعر بمسؤولية التكليف الإلهي الذي هو آية لجلال الله عزّ وجلّ، والذي يحمل في طيّاته تشريفاً يُشير إلى جمال الحقّ تعالى[2]، فيجذب العباد نحوه ليتشرّفوا بالحضور في ساحة عشقه، وليستجمعوا جلاله وجماله، فيكونوا مظهراً لجميع أسمائه؛ وهذا ما كانت عليه كبرى بنات الحسين عليه السلام.

الأمر الثاني: علم يُستفاد منه

ومَن أعلمُ من أهل البيت عليهم السلام؟! فهم الذين حباهم الله تعالى العصمةَ، وألهمهم العلم اللدني، وإلى هذا يُشير الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «**فنحن والله شجرة النّبوَة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم، ومُختلف الملائكة**»[3]، فكانوا يبثّون علمهم لـمَن حولهم، ويحثّون على طلب العلم كثيراً، وهذا الأمر ما كان ليغيب عن بنت الحسين عليه السلام، فلقد كان كلام مولاها السجّاد عليه السلام يرنّ في أسماعها، وهو يدعو لطلب العلم: «**لو يعلم النّاس ما في طلب العلمِ لطلَبوه، ولو بسَفك المُهَج وخوض اللُّجَج**»[4]، فتشدّ فاطمة حزام الهمّة والمسؤولية؛ لتخوض ميدان العلم والمعرفة، وتتقلّد وساماً آخر يزيدها جمالاً ورفعةً؛ إذ إنّ الله تعالى قد قال في كتابه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[5].

وما يدلّنا على علم السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام هو خطبتها في الكوفة، فإنّها

(١) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٨، ص٣٨٨.
(٢) يقول الشيخ جوادي آملي: «التكليف الإلهي، وإن رافقه كلفة ومشقّة، فهو بدوره آية لجلال الله، ولا يكون باطنه إلّا تشريفاً، وهو آية جمال الله». جمال المرأة وجلالها: ص١١.
(٣) المجلسي، محمد باقر، مرآة العقول: ج٣، ص٨ ـ ٩.
(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٥.
(٥) المجادلة: آية ١١.

تُشير إلى علم تلك السيّدة الجليلة وبلاغتها، فبمجرّد مطالعة تلك الخطبة يصل القارئ إلى أنّ هذا كلام لا يصدر إلّا من شخص غزير العلم، خاصّة في ذلك الظرف العصيب الذي كانت عليه بنات الرسالة في الكوفة، من ذلّ الأسر، وذكر الشهداء ومضاجعهم في كربلاء، والمشاهد المروّعة التي رأينها، لكنّ بنت السبط الشهيد تنطلق بهذا اللسان البليغ وبكلّ جلالة لتقول أجمل العبارات وأروعها: «**الحمد لله عدد الرّمل والحصى، وزنة العرش إلى الثَّرى، أحمده وأُؤمن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ أولاده ذُبِحُوا بشطّ الفرات من غير دخلٍ ولا تراث، اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتريَ عليك الكذب، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلتَ من أخذ العهود لوصيّه عليّ بن أبي طالب المسلوب حقّه، المقتول من غير ذنب ـ كما قُتل وُلده بالأمس ـ في بيت من بيوت الله تعالى، وبها معشرٌ مسلمة بألسنتهم، تعساً لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته، ولا عند مماته، حتّى قبضته إليك، محمود النقيبة، طَيّب الضريبة، معروف المناقِب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، ولا عذل عاذل، هديته ـ يا ربّ ـ للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً...**»[1]، إلى آخر خطبتها الشريفة التي تدّل على بلاغتها وعلمها بالماضي، حيث تقول: «**قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت؛ لحقدٍ متقدِّم، قرّت بذلك عيونكم**»[2]، كما يُشير إلى تنبّؤها بالمستقبل قولها: «**فانتظروا اللّعنة والعذاب، وكأن قد حلّ بكم، وتواترت من السّماء نقماتٌ، فيُسحتكم بما كسبتم**»[3].

روايتها عليها السلام للحديث

ورد عن السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام العديد من الأحاديث التي تُنسب

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٧.
(٢) المصدر السابق: ص٢٨.
(٣) المصدر السابق.

لأبيها ولأجدادها الكرام، فلم تكتفِ عليها السلام باكتساب العلم، بل زادته جمالاً بنشره وإيصاله للأجيال، منطلقةً من مسؤولية نشر رسالة المصطفى صلى الله عليه وآله، وإيصال تعاليم أهل البيت عليهم السلام، رغم كلّ الموانع الملقاة من قِبل السلطات الجائرة، ومستندة إلى قول جدّها أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي يُشير إلى حقيقة جمال العلم حين يقول: «**جمالُ العِلم نشره، وثمرته العمل به، وصيانته وضعه في أهله**»[1]، وحقاً أنّ الجمال لروح الإنسان هو العلم كما جاء في الشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام:

ليس الجمال بأثواب تزيّنها إنّ الجمال جمال العلم والأدبِ[2]

فمن الأُمور التي روتها السيّدة عليها السلام قول الزهراء عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار في علّتها[3]، وبعض الروايات العبادية، كدعاء الرسول صلى الله عليه وآله حين دخوله المسجد[4]، والكثير من الروايات التربوية، كقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ صلاح أوّل هذه الأُمّة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشحّ والأمل**»[5]. ولم يكن هذا بالأمر العجيب عمّن ترعرعت في بيت العلم والطهارة الإلهية، الأمر الذي صرّحت به السيّدة نفسها حين قالت: «**وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه، ووعاء فهمه**»[6].

وينبغي الإشارة هنا إلى أمر في غاية الأهمّية، وهو وجود الارتباط بين هاتين النتيجتين المترتّبتين على صحبة أولياء الله عليهم السلام، أي: (خشية الله تعالى) و(العلم)، فقد

(١) الليثي الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٢٢. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٤١٦.

(٢) المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي: ج١، ص١٤٢.

(٣) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص٣٥٤ـ٣٥٥.

(٤) أُنظر: البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج٤، ص٤٧٧. البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج٧، ص٢٧٣ـ٢٧٤.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٧٩.

(٦) مقطع من خطبة السيّدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٧.

أشار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى أنّ العلم الحقيقي لا يحصل إلّا بالتقوى، والخشية من الله تعالى، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]، فالتقوى والخوف من الله تعالى سبب للتعليم الإلهي[2]، وهذا ما يجعل الإنسان يستشعر ثقل المسؤولية أمام ما أوجبه الله تعالى عليه؛ لأجل أن يحظى بجمال العلم ورفعته، فالعلم جمال ونور وخير؛ ولذا فإنّه يحتاج إلى وعاءٍ طاهر، وإلى هذا أشار الشاعر:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال لأنّ حفظ العلم فضل ... وفضل الله لا يؤتيه عاصي[3]

لأماناتهم راعون

لقبّوه بالصادق الأمين منذ صغر سنّه، فمضى هو وأهل بيته على هذا المنوال، بل وكلّ مَن اتّبعه من المؤمنين، فما زالوا كما وصفهم خالقهم: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[4]، راعون للأمانة بكلّ ما لها من معنى، سواء أمانة الله تعالى التي تعهّد بها الإنسان منذ بدء الخلقة، وهي الشهود لله بالربوبية، ولأنفسهم بالعبودية[5]، أو أمانة الولاية لأوليائه عليهم السلام، التي هي في طول ولاية الله تعالى، والتي لا يمكن بدونها استكمال حقائق الدين الحقّ علماً وعملاً، أو الأمانات التي يأخذها الناس بعضهم من بعض[6]، أو كلّ ما أنعم الله (سبحانه) به على خلقه، من أموال وأولاد ومناصب، بل حتّى الفطرة التي منحها تعالى صافية نقية للإنسان.

---

(١) البقرة: آية٢٨٢.
(٢) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص٤٣٥.
(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٩١، ص٢٨١.
(٤) المؤمنون: آية٨.
(٥) أُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٨، ص٣٠٧.
(٦) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٣، ص٣٦٩.

وهل من جمال يفوق جمال الأمانة التي جعلها رسول الرحمةﷺ سبباً للقرب منه يوم القيامة يا تُرى؟! تلك السجية التي قال عنهاﷺ: «**إنّ أقربكم منّي غداً، وأوجبكم عليَّ شفاعةً، أصدقكم للحديث وآداكم للأمانة**»[1]، كما بيّنها صادق العترةعليه السلام بأنّها محلّ اختبار المؤمن، فقال: «**لا تغترّوا بصلاتهم ولا بصيامهم... ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة**»[2]، إلى ما لا نهاية له من الكلام عن الأمانة وأهمّيتها في حياة الفرد والمجتمع.

ولنرجع إلى سيّدتنا فاطمة بنت الحسينعليهما السلام، سليلة الصادق الأمين، ونرى كيف تحلّت بجمال الأمانة، وكيف تُوّجت بوسامها من قِبل السبط الشهيد، قائد كربلاء وسيّدها، حيث يختارهاعليه السلام من بين كلّ الحاضرات من النساء لأجل أن يدفع لها أغلى أمانة كانت عنده، وها نحن نُصغي للتأريخ وهو ينقل كلام الإمام الباقرعليه السلام لأبي الجارود زياد بن المنذر، لنرى ما هي تلك الأمانة التي أودعها الإمامعليه السلام عند ابنته الغالية، قال الباقرعليه السلام: «**إنّ الحسين بن عليّعليه السلام لمّا حضره الذي حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين، فدفع إليها كتاباً ملفوفاً، ووصيّةً ظاهرة، وكان عليّ بن الحسينعليه السلام مبطوناً معهم، لا يرون إلّا أنّه لِـمَا به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحسينعليه السلام، ثمّ صار ـ والله ـ ذلك الكتاب إلينا يا زياد. قال: قلت ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟ قالعليه السلام: فيه ـ والله ـ ما يحتاج إليه وُلْد آدم منذ خلَقَ الله آدم إلى أن تفنى الدنيا، والله، إنّ فيه الحدود، حتّى أنّ فيه أرش الخدش**»[3].

إنّ اختيار قائد كربلاء لابنته فاطمةعليها السلام وائتمانها على هذه الأمانة المهمّة، ليوقفنا على مدى مكانة تلك السيّدة الجليلة عند أبيهاعليه السلام، وعلى مدى تقبّلها للمسؤولية وأداء الوظيفة، كما يبيّن لنا هذا الموقف الدور العظيم للسيّدة فاطمةعليها السلام في نهضة

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٥٩٨.
(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٠٤.
(٣) المصدر السابق: ج١، ص٢٠٤.

كربلاء، ومدى أهمّية حضورها في تلك الواقعة العظيمة، بحيث إنّ قائد تلك الثورة يعوّل على ابنته الكبرى فاطمة عليها السلام ليوقفها على مسؤولية حضورها في كربلاء، وعلى حفاظها على ميراث بيت الوحي.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الاحتجاج، الشيخ أحمد بن علي الطبرسي (ت٦٢٠هـ)، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

٢ ـ الأخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ.

٣ ـ الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد المفيد (ت٤١٣هـ)، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

٤ ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، دار التعارف، بيروت.

٥ ـ الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، الطبعة السابعة، ١٤٣٠هـ.

٦ ـ الأمالي، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٧ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.

٨ ـ بحار الأنوار، العلّامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، دار الرضا، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٩ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.

١٠ ـ جمال المرأة وجلالها، الشيخ عبد الله جوادي آملي، دار الهادي، بيروت،، الطبعة الأُولى، ١٤١٥هـ.
١١ ـ الخصال، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٣هـ.
١٢ ـ رسالة في التحسين والتقبيح، الشيخ جعفر السبحاني، مكتبة نور الإلكترونية، (مجموعة آثار آية الله السبحاني).
١٣ ـ زيبايي و هنر از ديدگاه إسلام، محمد تقي جعفري.
١٤ ـ شرح أُصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني (ت١٠٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.
١٥ ـ شرح الأسماء الحسنى، الملا هادي السبزواري (١٢٨٩هـ)، منشورات بصيرتي، قم.
١٦ ـ شرح دعاء السحر، السيّد روح الله الخميني (ت١٤٠٩هـ)، مؤسّسة نشر آثار الإمام الخميني، طهران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.
١٧ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسّسة إسماعيليان، قم، إيران.
١٨ ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
١٩ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد الحسيني (ابن عنبة) (ت٨٢٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦١م.
٢٠ ـ عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١ ـ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي (ت ق٦هـ)، دار الحديث الطبعة الأُولى.
٢٢ ـ فلسفة الأخلاق، الشيخ مرتضى المطهّري (ت١٣٩٩هـ)، ترجمة: وجيه المسبّح، مؤسّسة أُمّ القرى للتحقيق والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٢٣ ـ الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣هـ.ش

٢٤ ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد (ابن الأثير) (ت٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

٢٥ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

٢٦ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد علي بن موسى بن طاووس (ت٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٧ ـ لواعج الأشجان، السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، منشورات بصيرتي، قم، ١٣٣١هـ.ش.

٢٨ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، انتشارات ناصر خسرو، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٧٢هـ.ش.

٢٩ ـ مرآة العقول، العلّامة محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٣٠ ـ مصباح المتهجّد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأُولى،١٤١١هـ.

٣١ ـ معاني الأخبار، الشيخ محمد بن علي الصدوق (ت٣٨١هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٣٨هـ.ش.

٣٢ ـ المعجم الأبجدي (فرهنك أبجدي)، فؤاد البستاني، مكتبة الكلام الإلكترونية، مؤسّسة نور.

٣٣ ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٣٤ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصبهاني (ت٣٥٦هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٥م.

٣٥ ـ المناهج التفسيرية، الشيخ جعفر السبحاني، مكتبة نور الإلكترونية، (مجموعة آثار آية الله السبحاني).

٣٦ ـ ميزان الحكمة، الشيخ محمد الريشهري، دار الحديث، إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٦هـ.
٣٧ ـ الميزان في تفسير القرآن، العلّامة محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، انتشارات إسلامي جامعة المدرّسين، قم، ١٤١٧هـ.
٣٨ ـ نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح.
٣٩ ـ نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.
٤٠ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، مؤسّسة آل البيت لأحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٤١ ـ يادداشت ها، الشيخ مرتضى المطهّري (ت١٣٩٩هـ)، مؤسّسة نور الإلكترونية، (مجموعة آثار الشهيد المطهّري).

الضبط النفسي للسيّدة زينب عليها السلام في مواجهة عنف السلطة

م. فريال ياسر الأسدي*

مقدمة

يقف قلمي وقفة صمت وخشوع أمام مدرسة كربلاء، هذه المدرسة التي مزجها أئمّتنا بالعِبرة، فالحديث عن مدرسة كربلاء يعني الحديث عن زينب عليها السلام، فهي عقيلة بني هاشم، وثاني أعظم سيّدة من سيدات أهل البيت المحمدي، والبنت الكبرى للإمام علي والسيّدة فاطمة عليهما السلام، وهي في كربلاء السيّدة الأُولى التي تدخل على ابن زياد (لعنة الله عليه) أسيرةً مقتولاً جميع أهلها، فيوجّه لها الخطاب شامتاً، «**كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟!**»، فتردّ عليه وتقول عليها السلام: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم**»(١).

أيّ مكانة وأيّ مستوى بَلَغتِ يا سيدتي من الصبر والثبات، وأنتِ تصفين كلّ ما رأيتِ بالشيء الجميل، لتقولي عبارتك التي كانت كالصاعقة النازلة على رأس اللعين ابن اللعين، والتي تُعبّر عن صبرك وثباتك، وهي: «**ما رأيت إلّا جميلاً**»؟! «**أيّ جمال هذا الذي ينجلي لسليلة بيت النبوّة ولا تراه العيون المحجوبة عن رؤية الجمال الحقيقي في هذا الكون؟! وأيّ جمال تستشعره هذه العارفة بالله، ولا تحسّه القلوب القابعة في ظلمات الآثام والرذائل؟!**»(٢).

---

* جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية/ من العراق.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

(٢) آذرشب، د. محمد علي، دور زينب بنت علي في مسيرة الحضارة الإسلامية، مقال منشور على موقع المجلس الإسلامي العلمائي.

وسأوضّح في هذا المقال صفات شخصيتها عليها السلام، ومن أهمّها ضبط النفس، والتحلّي بالصبر، وكظم الغيظ، والحكمة، فقد كانت عبارة عن دروس وعِبَر، وأعظمها هو: كيف نبدِّل حالة الذلّ إلى حالة العزّ والكرامة؟ وكيف نواجه عنف السلطة المستبدّة؟

بدأت في مقالتي بتوضيح بعض المفاهيم الواردة في عنوان المقال لُغوياً، ثمّ بعد ذلك تطرّقتُ إلى تعريف تلك المفاهيم اصطلاحاً، ثمّ وضّحت مفهوم ضبط النفس، وأوجه التشابه بينه وبين كظم الغيظ والحكمة والصبر، ثمّ وضّحت بعد ذلك العنف وأشكاله ومظاهره، وأُسلوب العسكر الأُموي وأساليبه الإجرامية في سبيل تحقيق مآربه، ومن أهمّها إسكات صوت الحقّ وإخفائه، والقضاء على البقية الباقية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله، ثمّ بدأت بتوضيح خصائص السيّدة زينب عليها السلام، تلك الخصائص التي أهّلتها لتحمّل مصائب كربلاء، وكيف «**كانت عليها السلام تُسلّط الأضواء وتُلفت الأنظار إلى مواقع الظلامة، وقامت بدور تأجيج العواطف وإلهاب المشاعر أثناء الواقعة وبعدها في الكوفة والشام**»[1].

«**إنّ المواقف العاطفية الوجدانية التي قامت بها السيّدة زينب عليها السلام... لم تكن مجرّد ردود أفعال عاطفية على ما واجهته من مآسي وآلام، بل كانت تلك المواقف فوق ذلك سلاحاً مشروعاً تُصوّبه نحو الظلم والعدوان، وتُدافع عن معسكر الحقّ والرسالة**»[2].

أمّا أُسلوبها عليها السلام في مواجهة عنف السلطة، فكان هو ضبط النفس والتصرّف بحكمة وتعقّل، فأدارت عليها السلام الدوائر على يزيد (لعنة الله عليه) في مجلسه، في حين أن يزيد أتى بهم ليذلّهم ويكسر شوكتهم، ولكنّ النتائج أتت على غير ما كان يتوقّع، فقد قلبت السيّدة زينب عليها السلام كلّ الموازين، وفضحت يزيد وأعوانه أمام الرأي العام.

نحن اليوم بأمسّ الحاجة لطرح نماذج من تراثنا الإسلامي العريق؛ لتكون تلك النماذج قدوة لنا، وهل هناك أروع من نماذج بيت النبوّة ومعدن الرسالة

(١) الصفّار، حسن موسى، المرأة العظيمة.. قراءة في حياة السيّدة زينب بنت علي عليها السلام: ص١٧٧.
(٢) المصدر السابق.

والوحي؟! إنّ السيّدة زينب كنموذج تركت لنا إرثاً علمياً وفكرياً وتربوياً مهماً جدّاً، ونحن اليوم بأمسّ الحاجة لمثل هذا الإرث، فلقد واجهت عليها السلام ـ خلال حياتها ـ الكثير من الرزايا والمحن، وحقّقت نتائج كبيرة تستحقّ الوقوف عندها، والتمعّن بمضامينها العلمية والفكرية والتربوية.

قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**إنّي قد تركت فيكم أمرين، لن تضلّوا بعدي ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله، وعترتِي أهل بيتي**»[1]؛ لذلك فالأجدر بنا أن نستفيد من هذا الإرث الذي تركه لنا حبيب قلوبنا الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

مفاهيم كلّية

قبل الشروع في البحث لا بدّ لنا من توضيح بعض المفاهيم الواردة؛ من أجل طرح الأفكار بشكل أفضل، ومن المفاهيم التي احتواها العنوان ما يلي:

١ـ الضبط لغةً بمعنى: «**لزوم الشيء وحبسه... وضبط الشيء: حفظه بالحزم**»[2]، و«**ضبط عمله: أتقنه، أحكمه... ضبط أعصابه: كبحها، سيطر عليها، يضبط نفسه في لحظات الغضب**»[3].

٢ـ وضبط النفس اصطلاحاً: «**هو منعها من التصرّف خطأً في المواقف الطارئة والمفاجئة التي تتطلّب قدراً من الشجاعة**»[4].

وهناك تعريف آخر لضبط النفس فيه معانٍ جميلة، وهو: «**القدرة لضبط نفسك من الداخل، شيء يمسك بك من الداخل، فهي صفة الشخص القادر على إقماع جسده، وإنّ هذه القدرة تنبع من داخله، ونفس معنى كلمة ضبط النفس تعني: القدرة لقول (لا) للأشياء الخطأ، و(النعم) للأشياء الصحيحة**»[5].

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤١٥.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٨، ص ١٦.

(٣) معجم المعاني الإلكتروني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar.

(٤) الشحود، علي بن نايف، موسوعة الخطب والدروس: ص٢.

(٥) محاضرة للشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر، على الرابط: Islam door. com.

٣ـ العُنف: «**هو بالضمّ الشدّة والمشقّة، وكلّ ما في الرِّفق من خير، ففي العنف من الشرّ مثله**»(١)، و«**العنف: فعل مضادّ للرفق، ومرادف للشدّة والقسوة**»(٢)، وهو «**كلّ سلوك أو تصرّف يؤدِّي إلى الأذى أو يهدف إليه، وقد ينتج عنه تعنيف الآخرين بأذىً جسدي أو نفسي أو لفظي أو استهزاء أو فرض رأي**»(٣).

٤ـ المواجهة: مصدر واجه، ومواجهة الأعداء: مقاومتهم، وينبغي مواجهة الحقيقة، أي: مجابهتها وجهاً لوجه(٤).

أبعاد ضبط النفس

«**تُعتبر الأزمات المجتمعية والضغوط الدائمة على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والنفسية وغيرها، من الأسباب التي تجعل الأفراد غير سوي**(٥) **نفسياً أو سلوكياً، بحيث يصابون بالإحباط والقلق أو الاضطرابات، أو يصبحون عدوانيين أو انطوائيين، ولكن في كثير من الأحيان تخلق هذه الأزمات فرداً قادراً على التحمّل، وبالتالي يشبّ الأفراد وهم أكثر صلابة**»(٦).

وهذه الصلابة النفسية لمن مرّ بالأزمات والمحن ناتجة من ضبط النفس، فقد عرفنا أنّ ضبط النفس هو منعها من التصرّف خطأً في المواقف الطارئة والمفاجئة التي تتطلّب قدراً من الشجاعة والحكمة وحسن التصرّف، ومن هذا التعريف نجد أن لضبط النفس أبعاداً أُخرى مشابهة له، ومن تلك الأبعاد المشابهة هو كظم الغيظ، حيث يقال: «**كظم الرجل غيظه: إذا اجترعه... ردّه وحبسه، والكاظمين الغيظ...**

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٩، ص٤٢٩.
(٢) جميل صليبا، المعجم الفلسفي: ج٢، ص١١٢.
(٣) الطيار، فهد، العوامل الاجتماعية المؤدّية للعنف لدى طلّاب المرحلة الثانوية: ص٢٧ـ ٢٩.
(٤) أُنظر: معجم المعاني الإلكتروني.
(٥) هكذا وردت الكلمة في المصدر المنقول عنه، والصحيح فيها: سويين.
(٦) فتحية خنفر، الصلابة النفسية وعلاقتها بمركز الضبط لدى الطالب الجامعي: ص١٠.

يعني: الحابسين الغيظ... ويُقال: كظمت الغيظ أكظمه كظماً: إذا أمسكت على ما في نفسك منه... كظم الغيظ: تجرّعه، واحتمال سببه، والصبر عليه»[1].

ويقول الشيخ مكارم عند تفسير الآية الكريمة: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[2]: «**ولفظة الكظم تعني في اللغة: شدّ رأس القربة عند ملئها، فيقول: كظمت القربة إذا ملأتها ماءً ثمّ شددت رأسها، وقد استُعملت كنايةً عمّن يمتلئ غضباً، ولكنّه لا ينتقم... ولهذا تجعل الآية (كظم الغيظ)... الصفة البارزة الثانية من صفات المتّقين**»[3].

وعليه؛ فإنّ الذي يضبط نفسه هو الذي يكظم غيظه ويحبسه، ويتميّز بالعقل والحكمة، ويكون قادراً على فعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، ونجد هناك تشابهاً بين ضبط النفس والحكمة، فتعرّف الحكمة بـ«**العدل، ورجل حكيم: عدل حكيم، وأحكم الأمر: أتقنه**»[4]، والحكمة «**أُخذت من مادة (حكم)... بمعنى المنع، وبما أنّ العلم والمعرفة والتدبير تمنع الإنسان من ارتكاب الأعمال الممنوعة والمحرّمة؛ فلذا يُقال عنها: إنّها حكمة**»[5].

وفي الحياة نتخذ العديد من القرارات صغيرة كانت أم كبيرة، ولكلّ قرار نتخذه جملة من العواقب، وتختلف تلك العواقب بحسب نوع القرار الذي نتخذه، وبما أنّ حياتنا تتأثر بتلك العواقب وسنعيش معها، وسوف يكون لها نتائج مهمّة ليس في الدنيا فقط، بل قد تمتدّ إلى حياتنا الأُخروية، فمن المهمّ أن نحرص على اتّخاذ أفضل القرارات في المواقف التي نواجهها، وهنا يأتي دور الحكمة التي نحصل عليها من

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص١٠٥.
(٢) آل عمران: آية١٣٤.
(٣) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢، ص٦٩٨.
(٤) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٢، ص١٤٣.
(٥) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢، ص٣١٦.

العلم والمعرفة والتدبّر؛ وبالتالي هذا كلّه يكون في ضبط النفس.

وضبط النفس: هو الصبر والتقوى، يقول الله عزّ وجلّ في كتابه الحكيم: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1]؛ لذلك يُعرّف الصبر بأنّه: «**حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع... ويضادّه الجزع**»[2].

لو لم يصبر الإنسان لما تكامل؛ لأنّ الصبر يحتوي على العزيمة والإرادة والوعي والتحمّل لأجل الله تعالى، وقيمة الصبر تكمن في احتمال المكاره من غير جزع، ومواجهة المكاره التي قد تصعب على الإنسان، لكن صبره يكون هو العكاز الذي يتكئ عليه، ومواجهة الصعاب مع الصبر يؤثّر في حالة الإنسان النفسية، «**والصابر يكون في أعلى قمم الصحّة النفسية حينما يشعر بأنّ الله يعوّضه عن صبره بالحبّ واللطف، فلا شقاء مع حبّ الله له، ولا قيمة لشيء أمامه وهو داخل في دائرة الحبّ الإلهي**»[3].

وسائل ضبط النفس[4]

لا بدّ للنفس المنضبطة أن تتحلّى بوسائل الضبط النفسي؛ لتشعر بالتكامل الداخلي، ولتُدرك أنّها قادرة على ضبط أفعالها وسلوكياتها، ومن هذه الوسائل:

١ـ العلم الذي يمنع عن التصرّفات الهوجاء، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5].

٢ـ الحكمة التي هي عبارة عن العدل والمعرفة والتدبّر، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[6].

---

(١) آل عمران: آية١٨٦.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٤٧٤.

(٣) العذاري، شهاب الدين، ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام: ص١٠٠.

(٤) أُنظر: كنعان، أحمد علي، أدب الأطفال والقيم التربوية. العذاري، سعيد كاظم، دراسات إسلامية في علم نفس النمو: ص٣٢٧ـ٣٣٨.

(٥) الزمر: آية٩.

(٦) البقرة: آية٢٦٩.

٣ـ رجاحة العقل والرزانة التي تمنع النفس الإنسانية من التصرّفات التي لا تحسب نتائجها.

٤ـ التربية الجادّة وحُسن الخلق، فيجب على الوالدين أن يربّوا أبناءهم تربية صالحة تؤدّي بهم إلى ضبط النفس.

٥ـ الصبر، فالصبر من أعظم الأخلاق التي تؤدّي إلى ضبط النفس.

٦ـ التقوى التي هي محافظة الإنسان على نفسه، وصونها من ارتكاب كلّ ما يراه الدين خطأً وإثماً وقبحاً، والتقوى أيضاً هي لازمة لحياة فردٍ يريد أن يكون إنساناً، وأن يحيى تحت سيطرة العقل.

٧ـ التجرّد لله سبحانه وتعالى، ومعنى التجرّد: أن تكون أفعال الإنسان خالصة لله، وهذا الأمر يحتاج إلى عبادة حقّة وقوّة وعزم.

٨ ـ التأسّي والاقتداء بالشخصيات التي تكون هي قدوة وأُسوة للبشرية ـ وهم رسل الله وأنبياؤه وأوصياؤه ـ وقراءة حياتهم ومواقفهم بتمعّن، والاستفادة من هذا المعين الذي لا ينضب.

ونتيجة كلّ ما قلناه عن ضبط النفس، أنّه ثقافة سلوكية يحتاج إليها الفرد ليُحسن التصرّف في المواقف التي تعترض حياته، وليصون نفسه من الأفعال السلبية التي تؤدّي به إلى الانزلاق في الغضب والتهوّر والانفعال.

والشخصية الإسلامية المتكاملة، هي الشخصية التي تتمتّع بالضبط النفسي؛ لأنّها وضعت الإيمان والتقوى سلاحاً لها، والصبر والحكمة وكظم الغيظ والتأسّي بالرسول وأهل بيته زاداً لها.

ومن الشخصيات الإسلامية التي يتناول بحثنا الكلام عنها وعن الضبط النفسي لها في مواجهة عنف السلطة الحاكمة، هي سيّدتنا زينب بنت علي عليهما السلام، وسوف نتناول كيف استطاعت تلك الشخصية أن تقود المعسكر الحسيني بالانضباط النفسي، وذلك من خلال قراءة لخصائصها عليها السلام ودورها، ومدى امتلاكها لوسائل ضبط النفس التي تحدّثنا عنها.

خصائص السيّدة زينب عليها السلام

لا يخفى على أحد أنّ ربيبة الوحي والرسالة والقرآن، وأوّل بنت لحبيبة حبيب الله صلى الله عليه وآله، كان اسمها زينب عليها السلام، و«**الزَّينب: شجر حسن المنظر، طيّب الرائحة، وبه سُمّيت المرأة**»(١)، «**وقال بعض: إنّ اسم زينب يعني أُمّ المصائب، علماً بما ستتحمّله عليها السلام من بلايا ورزايا، ومن سبي وأسر؛ ولذلك سُمِّيت باسم زينب**»(٢).

وقد تولّى الله سبحانه وتعالى تسميتها، حيث قال السيّد نور الدين الجزائري: «**ففي الخبر: إنّ فاطمة الزهراء عليها السلام لما وضعت ابنتها الكبرى، ومضى على ذلك أيام، التفتت إلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقالت: يا أمير المؤمنين، ألا تختار لابنتك هذه اسماً؟ فقال: يا بنت الصفوة، إنّ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله... فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله، وضمّها إلى صدره، وقبّلها فيما بين عينيها ودموعه تتقاطر، وإذا بجبريل ينزل من عند الجليل، ويقرئ رسول الله صلى الله عليه وآله السلام، ويقول: السلام يخصّك بالسلام، ويقول لك: سمّها باسم زينب، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله باسم زينب**»(٣).

يرى علماء النفس أنّ هناك ثلاثة أبعاد ذات أثر مباشر في تربية الإنسان وتكوين شخصيته، وهذه الأبعاد ـ كما يقول الشيخ محمد تقي فلسفي ـ «**يرجع شطر منها إلى دور الجنين في الرحم، والشطر الآخر إلى فنّ التربية والبيئة التي يعيش فيها الإنسان**»(٤).

وفي شخصية السيّدة زينب عليها السلام اكتملت هذه الأبعاد الثلاثة، فقد قضت عليها السلام مع أُمّها الزهراء عليها السلام خمس سنوات، عاشت تلك الفترة وهي مغمورة بحنان الأُمّ وعطفها، وما أروعها من أُمّ! فهل نجد في بقاع الأرض أُمّاً كالزهراء عليها السلام؟! فهي سيّدة نساء العالمين، وحبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقرّة عينه، وثمرة فؤاده، وروحه التي بين جنبيه، فالسيّدة زينب قد تربّت في حجر أطهر أُنثى على وجه الأرض، وتلقّت عليها السلام

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٦، ص٨٨.
(٢) الجزائري، نور الدين، الخصائص الزينبية: ص٣٧.
(٣) المصدر السابق: ص٤١.
(٤) فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية: ج١، ص٨٢.

تربية نموذجية من أُمّ نموذجية بكلّ معنى الكلمة. وهنا يقف قلم الباحث عاجزاً عن إدراك الجوّ العائلي داخل بيت علي وفاطمة عليهما السلام، علي عليه السلام الذي أعطى المناهج التربوية للأجيال، وأنار طرق التربية الصحيحة، فلا بدّ من أبٍ رائع كعليٍّ عليه السلام أن يبذل اهتماماً بالغاً وعناية بالغة وتامّة في تربية عائلته؛ ليكونوا أسياد القيم الأخلاقية والفضائل، ومن الواضح أنّ السيّدة زينب عليها السلام ـ بمواهبها واستعدادها النفسي ـ كانت تتقبّل تلك الأُصول التربوية، وتتبلور بها وتندمج معها[1]، ولكن شاءت الأقدار أن تُلقى السيّدة زينب في أحضان المصائب والأحزان، فقد مرّت عليها السلام بسلسلة متّصلة من الآلام منذ الطفولة إلى آخر يوم في حياتها، فقد شاهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله والحوادث المؤلمة التي عصفت بأُمّها البتول، وما تعرّضت له من الضرب والأذى، وما تعرّض له أهل بيتها بشكل خاص، وسمعت صوت أُمّها تنادي فلا تُجاب، عليلة، طريحة الفراش، مكسورة الضلع. وبعد حوالي (خمسة وسبعين يوماً) مرّت على السيّدة زينب عليها السلام مصيبة أُخرى، ويا لها من مصيبة! موت أُمّها الزهراء عليها السلام.

وما يدلّ على المصائب التي مرّت على أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله قول الإمام علي عليه السلام: «**نزل بي من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به**»[2].

لقد أنضجت تلك الأحداث البنت الصغيرة، فصارت البنت كالأُمّ تتحمّل الشدائد والمصائب، ثمّ شاهدت عليها السلام مقتل أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، ونادت مع مَن نادى: تهدّمت والله أركان الهدى، وحاولت جاهدة أن تُخفّف هول الصدمة على أخويها الحسن والحسين عليهما السلام، وينقل لنا التاريخ أنّ الإمام عليه السلام كان في الليلة التي ضُرب فيها ضيفُ ابنته زينب عليها السلام، وشاهدته «**قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثمّ يخرج**

(١) أُنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٦.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢٢، ص٥١٢.

ساعة بعد ساعة، يُقلّب طرفه في السماء، وينظر في الكواكب، وهو يقول: والله، ما كَذِبتُ ولا كُذِّبتُ، وإنّها الليلة التي وُعدت بها»[1]. كما شاهدت أخاها الحسن عليه السلام ـ عندما دُسّ إليه السُّم ـ أصفر اللون، يجود بنفسه، ويستفرغ كبده قطعاً، وصاحت: وا أخاه، وا حسناه، وا قلّة ناصراه، حزني عليك لا ينقطع طوال عمري، ثمّ بكت على أخيها وهي تلثم خديه وتتمرغ عليه، وتبكي طويلاً[2].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف قابلت السيّدة زينب عليها السلام هذه الأحداث الجسام؟ يقول محمد جواد مغنية: «**لقد تحوّلت تلك المحن والمصائب بكاملها إلى عقل وصبر وثقة بالله، وكشفت كلّ نازلة نزلت بها عن معنى من أسمى معاني الكمال والجلال، وعن سرٍّ من أسرار الإيمان النبوي المحمدي... وليس في قولي هذا أيّة شائبة من المغالاة، ما دمت أقصد الإيمان الصحيح الكامل، الذي لا ينحرف بصاحبه عن طاعة الله ومرضاته مهما تكن الدوافع**»[3].

السيّدة زينب عليها السلام ووسائل ضبط النفس

لقد بينتُ في مفهوم ضبط النفس أهمّ الوسائل التي تكون جذوراً أساسية لبناء هيكلية ضبط النفس، ومنها: العلم، والحكمة، ورزانة العقل، والتربية الصالحة، والصبر، والتقوى. وكلّ هذه الصفات إن اجتمعت ستنتج لنا شخصية تتمتع بالضبط النفسي في مواجهة الأزمات والرزايا والعنف، ولقد اكتملت في السيّدة زينب عليها السلام كلّ وسائل ضبط النفس التي أشرنا إليها في بداية بحثنا، ونتج من هذا كلّه شخصية إيجابية قادرة على ضبط نفسها وفق الحكمة والإيمان المتكامل، فهي عليها السلام ـ وبشهادة الإمام السجاد عليه السلام ـ: «**عالمة غير معلَّمة، وفهمة غير مفهَّمة**»[4].

(١) المصدر السابق: ج٤٢، ص٢٧٧.
(٢) أُنظر: البغدادي، إبراهيم حسين، زينب بنت علي فيض النبوّة وعطاء الإمامة: ص٧٦.
(٣) مغنية، محمد جواد، الحسين وبطلة كربلاء: ص٣٢٥.
(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٠٥.

فزينب عليها السلام المتربية في مدينة العلم النبوية التي كان بابها علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[1]، والمترعرعة في أحضان الزهراء عليها السلام، لا بدّ أن تكون عالمة غير معلَّمة وفهمة غير مفهَّمة، فهي عليها السلام قد حصلت على هذه القوّة الربّانية بسبب تربية جدّها وأبيها وأُمّها وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام.

«**إنّ اتصال الإنسان بعالم المعرفة وبالمجتمع وبالناس وبالحقيقة وبالواقع، تشكّله الأُسرة، فالأُسرة ـ شئنا أم أبينا ـ هي التي تصنع في بداية النشأة الوجدان النظيف أو الوجدان الملوّث والعياذ بالله**»[2]، فالطفل يرى أُسرته كالأنبياء، فهم النافذة التي يطلّ من خلالها على كلّ معارفه وعلومه[3].

أمّا الحكمة، فهي العلم والمعرفة والتدبّر، وهي التي تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي، و«**إذا نزلت الحكمة بساحة أحد، فقد نزلت بساحته البركة والخير الكثير**»[4].

تدخل عليها السلام إلى قصر ابن زياد (لعنه الله) فيسألها: «**كيف رأيتِ صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟**»، فتُجيبه بكلّ حكمة وتدبّر: «**ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانه**»[5].

أمّا رجاحة العقل التي اتّصفت بها عليها السلام، فلا تخفى على أحد، حيث إنّها لُقِّبت بالعقيلة، و«**العقيلة ليس اسماً وُضع لزينب عليها السلام، بمعنى: أنّه لم يُسمّها أمير المؤمنين أو الزهراء أو الرسول (صلوات الله وسلامه عليهم) بالعقيلة، وإنّما سمّاها الناس بعقيلة الطالبيين، سمّاها العلماء العارفون بعقيلة الطالبيين، هذا النحو من الأسماء يُسمّى**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٠، ص٢٠٥.
(٢) النمر، أم عباس، زينب في محراب العشق: ص٣١ـ٣٢.
(٣) أُنظر: المصدر السابق.
(٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٢، ص ٣١٦.
(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.

بالأسماء الاستحقاقية، يعني أنّ زينب عليها السلام لعقلها الراجح ولحصافتها وذكائها سُمِّيت بعقيلة الطالبيين»[1].

زينب عقيلة بني هاشم هي أوّل سيّدة تدخل في قصر ابن زياد أسيرة مقتولاً جميع أهلها. وعليه؛ فمن المفترض أن تشعر بالضعف والوهن، وهذا ما توقّعه منها ابن زياد، ولكنّها لرجاحة عقلها تدخل بكلّ هيبة وعزّ ووقار، وتُسجّل مواقف تكون سلاحاً بوجه الظلم والعدوان، وتدافع برجاحة عقلها ووعيها عن معسكر الحقّ، ذلك العقل الواعي الذي يدرك أنّ المعركة ليست معركة مادّية، وإنّما هي معركة المعنويات، معركة القيم والعزّ، معركة انتصر فيها الدم على السيف.

ومن وسائل الضبط النفسي التي ذكرتها في البحث، هي: التربية الجادّة، وقد وضّحت في خصائص السيّدة زينب عليها السلام عمق التربية التي تلقّتها عليها السلام، فيكفي أن نقول: إنّ أصحاب الكساء هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها؛ لنعرف أيّ تربية رائعة حظيت بها تلك السيّدة العالمة والحكيمة.

أمّا آخر وسيلتين من وسائل الضبط النفسي، وهما كتاجٍ تزيّنت به عليها السلام، فهما الصبر والتقوى، «**لو لم يصبر الإنسان لما تكامل؛ لأنّ الصبر يحتوي على العزيمة والإرادة والاختيار والوعي والانتخاب، بل على أكثر من ذلك، وهو التحمّل لوجه الله محضاً**»[2].

«**ما رأيتُ إلّا جميلاً**»، في هذه العبارة تتلخّص شخصية زينب عليها السلام كلّها، وما تحتويه وتضمّه من تقوى وصبر وانقطاع لله، وتتلخّص في تلك العبارة نظرتها عليها السلام إلى الأُمور، فأيّ جمال تجلّى لسليلة بيت النبوّة، ولا تراه العيون القاصرة والمحجوبة عن رؤية الجمال الحقيقي في هذا الكون؟!

ولندَع المواقف التي سوف نذكرها في كربلاء تتكلّم عن مدى صبر السيّدة زينب عليها السلام وتقواها، أمام عنف بني أُميّة الذي مثّل أبشع صورة عرفتها الإنسانية،

(١) النمر، أم عباس، زينب في محراب العشق: ص١٤ـ١٥.
(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٧ـ٢٠٨.

هذه الصورة الأليمة التي وضّحت افتقارهم لأبسط معاني الإنسانية والرحمة التي فُطر عليها الإنسان في وجوده، حيث إنّهم أثبتوا في هذه الصورة عدم انتمائهم للنوع الإنساني، فهم أجساد خالية من العقل والعطف، لا تعرف سوى الهمجية والعنف.

ضبط النفس للسيّدة زينب عليها السلام في كربلاء

توفّي معاوية عام ستين للهجرة، و«**تولّى يزيد الحكم في العالم الإسلامي، وأمر بأخذ البيعة له من أهل المدينة، وخاصّة الشخصيات البارزة فيها، كالإمام الحسين عليه السلام، ولكنّ الإمام عليه السلام أبى أن يمدّ يد البيعة له، وقرّر مبارحة المدينة والتوجّه إلى مكّة، فلمّا أحسّ عليه السلام بما يضمره له يزيد وعمّاله، وبتصميمهم على اغتياله إبّان مراسم الحجّ؛ لأنّه يُشكّل عقبة أمام مآربهم غير المشروعة، فلمّا أحس بذلك، غادر عليه السلام مكّة نحو الكوفة التي وقع اختياره عليها... وكانوا قد كتبوا إليه بالقدوم عليهم**»[1].

والإمام الحسين عليه السلام لم يخرج وحده، بل خرج مع أهله من النساء والصبيان؛ لأنّ مشيئة الله اقتضت ذلك، وهذا ما صرّح به الإمام عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية (رضوان الله عليه) حينما قال للإمام الحسين عليه السلام: «**... فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال [لي صلى الله عليه وآله]: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا**»[2].

هذه المشيئة الإلهية تدلّ على منزلة السيّدة زينب عليها السلام وعظمتها وفضلها، وأنّها كانت شريكة الإمام الحسين عليه السلام في ثورته، فالتاريخ ينقل لنا الكثير من الحوادث التي تُبيّن لنا حقيقة واحدة، وهي مدى عمق وقوّة العلاقة بين السيّدة زينب عليها السلام وأخيها الإمام الحسين عليه السلام، فالعلاقة لم تكن مقتصرة على أنّهما قد تربّيا في حجر واحد، وتفرّعا من شجرة مباركة واحدة، وأنّهما فيض النبوّة وعطاء الإمامة، بل إنّ العلاقة كانت أقوى وأعمق من ذلك بكثير، ومن عمق هذه العلاقة نعرف أيضاً لماذا خرجت السيّدة زينب عليها السلام مع الإمام الحسين عليه السلام نحو كربلاء.

---

(١) الرباني الگلپايگاني، علي، دروس في الشيعة والتشيّع: ص٦٩.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

قلنا: إنّ المشيئة الإلهية اقتضت خروج السيّدة زينب عليها السلام إلى كربلاء، فقد شاء الله أن يراهنّ سبايا، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، هو: لماذا شاء الله أن يراهنّ سبايا؟ هل في هذا مصلحة؟ ولمن تلك المصلحة؟ هل هي للإمام الحسين عليه السلام والتعريف بثورته بعد مقتله كنوعٍ من الإعلام الواسع لكشف العدو أمام المجتمع؟ أم هي للسيّدة زينب عليها السلام ومكانتها الشامخة المرموقة؛ لتنال بذلك فضلاً لهداية الناس؟ أم لأمر آخر؟

«وهذا التعريف المتأخّر عن ثورة الحسين عليه السلام ليس لأجل مصلحة الحسين عليه السلام نفسه، ولا لمصلحة أصحابه المستشهدين معه؛ لأنّهم نالوا بالشهادة ما رزقهم الله (جلّ جلاله) من المقامات العالية في الدار الآخرة، وإنّما هذا الإعلام أراده الله سبحانه وتعالى لأجل الناس وهداية المجتمع، فما يقال: من أنّه إكمال لثورة الحسين عليه السلام، يُراد به الجانب الظاهري في الدنيا، لا الجانب الباطني في الآخرة»[1].

ومن كربلاء تبدأ مسيرة الحزن والآهات، ومن هذا المكان الذي حمل اسم (كرب وبلاء) بدأت السيّدة زينب عليها السلام رحلة التضحية، والصبر، والثبات، وضبط النفس الذي تمتّعت به شخصيتها الإسلامية المتكاملة الإيمان، حيث كانت التقوى سلاحاً لها، والإيمان حامياً، والصبر زاداً، حيث كانت عليها السلام ركناً مهماً في أُسرة الطُّهر والعفاف، وكانت تبعث لكلّ مَن حولها رسائل إيجابية مثالية عاطفية، من خلال السلوك القويم المتّصف بالحكمة.

ومنذ وصولهم إلى كربلاء كانت عليها السلام مفزعاً للكبار والصغار، وملاذاً لجميع أفراد الأُسرة الشريفة، وحتّى حلّ الصباح من يوم العاشر من محرّم الحرام، واشتعلت نار الحرب، وتوالت المصائب على سيّدة الطُّهر والعفاف، والأصحاب والأنصار يستشهدون بين يدي أبي عبد الله عليه السلام واحداً تلو الآخر، حتّى وصلت النوبة إلى فرع النبوّة والإمامة، وبدأ رجالات البيت العلوي بالتقدّم واحداً بعد الآخر، فتقدّم أولاً علي الأكبر عليه السلام، ثمّ بعده أولاد السيّدة زينب عليها السلام، ثمّ قمر بني هاشم، وآخر مَن قدّمه

(١) البغدادي، إبراهيم حسين، زينب بنت علي عليها السلام فيض النبوّة وعطاء الإمامة: ص١٠٥.

الإمام الحسين عليه السلام هو ولده الرضيع العطشان، كلّهم وقعوا صرعى أمام الحسين وأُخته زينب عليها السلام، لا يعلم أحد ماذا جرى على قلبيهما وهما يرون أعزاءهما وأحبتهما يسقطون الواحد تلو الآخر على رمضاء كربلاء.

وجاءت لحظة الوداع المؤلمة، وداع الإمام الحسين عليه السلام للأُسرة الشريفة، وعقيلة الأُسرة السيّدة زينب عليها السلام، ومهما حاول قلمي جاهداً أن يصف تلك اللحظات، يعجز عن وصفها بالكلمات؛ لأنّ تلك اللحظات تجاوزت حدود الوصف والبيان، فالسيّدة زينب عليها السلام في قمّة الأحزان تنادي: «**وا وحدتاه، وا قلّة ناصراه. ولطمت على وجهها، فقال لها الإمام الحسين عليه السلام: مهلاً يا بنت المرتضى، إنّ البكاء طويل**»[1].

أساليب عنف السلطة

إنّ سياسة وأُسلوب المعسكر الأُمويّ في واقعة كربلاء اتّسمت بالعنف الذي سبق أن بيّنا تعريفه لغةً واصطلاحاً، وعرفنا أنّه كلّ سلوك وتصرّف يؤدّي إلى أذى، وهذا الأذى يكون جسدياً أحياناً، وأحياناً يكون نفسياً، والعنف يأخذ أشكالاً متعدّدة حسب الواقع الذي يظهر فيه.

أهمّ أشكال العنف

أوّلاً: «العنف المادّي: ويُعرّف بأنّه كلّ فعل يُلحق الأذى بالمعتدَى عليه، ويضرّه جسدياً وجسمياً، وهو أبشع أنواع العنف؛ لأنّ الإسلام حرّم العدوان على النفس، قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]»[3].

---

(١) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٢٢١.

(٢) المائدة: آية٣٢.

(٣) الربابعة، عبد الله، ظاهرة العنف لدى الشباب.. أسبابها والحلول المقترحة وفق التوجّه التربوي الإسلامي، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية:
.http://aliftaa.jo/Research.aspx?ResearchId=98#.W5NSRcIVTIU

ومن نماذج العنف المادّي الذي ارتكبه المعسكر الأُموي ضدّ العترة الطاهرة في كربلاء، ما يلي:

١ـ قطع الماء على الركب الحسيني، وقد نصّ الكثير من المؤرّخين على هذه الحادثة، ومنهم الطبري في تاريخه، حيث ذكر: «... **وأن يمنعه** [يقصد الإمام الحسين عليه السلام] **ومَن معه الماء، فأرسل عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وبين الماء**»(١).

٢ـ حرق الخيام، حيث إنّ المعسكر الأُموي لم يكتفِ بعد قتل الإمام عليه السلام بسلبه ورضّ جسده الطاهر، بل اتّجهوا بأمر من عمر بن سعد إلى حرق الخيام، فـ«**لـمّا قُتل أبو عبد الله مال الناس على ثقله ومتاعه، وانتهبوا ما في الخيام، وأضرموا النار فيها**»(٢).

ثانياً: العنف المعنوي: وهو جرح المشاعر، ومثاله: «**كلّ قول أو فعل يؤثّر على نفسية الغير ويجعله مضطرباً، كالإهانة والتخويف والتهديد**»(٣). وقد استخدم المعسكر الأُموي هذا الشكل من أشكال العنف في سبيل تحقيق مآربه التي من أهمّها إسكات صوت الحقّ وإخفائه، والقضاء على البقية الباقية من عترة الرسول صلى الله عليه وآله، وهم الإمام السجاد والسيّدة زينب عليهما السلام، والنساء والأطفال.

مظاهر العنف الذي مارسه المعسكر الأُموي

١ـ رضّ جسد الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده

وهي صورة من عنف المعسكر الأُموي، حيث إنّهم تجاوزوا كلّ القيم والأعراف، فقد جاء في التاريخ: «**أمر ابن زياد ـ لعنه الله وغضب عليه ـ أن يوطأ صدر الحسين**

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤١٢ـ٤١٣.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الربابعة، عبد الله، ظاهرة العنف لدى الشباب.. أسبابها والحلول المقترحة وفق التوجّه التربوي الإسلامي، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية:
.http://aliftaa.jo/Research.aspx?ResearchId=98#.W5NSRcIVTIU

وظهره وجنبه ووجهه، فأُجريت الخيل عليه»[1].

وكان ابن زياد يريد بهذا الأُسلوب إظهار القسوة والوحشية؛ ليزلزل ثبات أهل البيت عليهم السلام، ويُطفئ ـ حسب اعتقاده ـ ما بقي لهم من مواجهة السلطة القاسية، ولكن في مقابل هذا الفعل الشنيع استطاعت السيّدة زينب عليها السلام الثبات، وقيادة الركب الحسيني في هذه المرحلة.

وبعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وقعت الفاجعة العظمى، والرزية الكبرى، وكان من الطبيعي أن تفقد السيّدة زينب عليها السلام وعيها، وتنهار قواها، وتتعطّل كلّ حواسها من هول المصاب، ولكنّها عليها السلام قلبت الواقع، فها هي تقف بكلِّ وقار واتّزان؛ لتسجِّل للتاريخ أروع كلمة يمكن أن تُقال عند المصائب، حيث وقفت عليها السلام عند جسد أخيها الحسين عليه السلام، مسحت الدماء، وأزالت عنه بقايا السيوف وركام الرماح والنبال، ثمّ رفعت يديها، ورمقت السماء بناظريها، ونطقت ومِلءُ شفتيها الإيمان، وقالت: «**يا محمّداه، هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذرّيتك مقتّلة. فأبكت كلّ عدوّ وصديق، ثمّ بسطت يديها تحت بدنه المقدّس، ورفعته نحو السماء، وقالت: إلهي تقبّل منّا هذا القربان**»[2].

كلمات رائعة تنطق بها السيّدة زينب عليها السلام، تهزّ بها الجيش الأُموي الذي كان يتصوّر أنّها مهزومة، ومع أنّ أهلها قتلى على رمضاء كربلاء، بيّنت بهذه الكلمات لهم أنّها الصابرة الصامدة، فلم تضعف، بل أعطت للأُمّة دروساً قيّمة في التضحية من أجل العقيدة، حينما دعت الله تبارك وتعالى أن يتقبّل من هذا البيت الطاهر قربان العقيدة وفداء الإيمان.

زينب عليها السلام في هذا الموقف تعتبر نفسها القائد، وتُقدِّم القرابين في سبيل الله، إذ لا ذلّ ولا ندم، وإنّما الصبر إثر الصبر، والشجاعة، والحكمة، ورجاحة العقل، لتكون

(١) الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص ٧٩.
(٢) البياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية: ص٢٩٢ـ٢٩٣.

سيّدة الموقف، وسيّدة الضبط النفسي، واجهت عين السلطة المتمثِّلة بقائد الجيش الأُموي عمر بن سعد (لعنة الله عليه) عند جسد الإمام الحسين عليه السلام وهي تقول: «**يا عمر، أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! فدمعت عيناه، حتّى سالت دموعه على خدّيه ولحيته، وصرف وجهه عنها**»[1].

٢ـ ترويع الأطفال بمقتل الطفل الرضيع

وللأطفال نصيب من العنف والقسوة على يد المعسكر الأُموي الذي يُمثّل سلطة يزيد (لعنة الله عليه)، ومن صور ترويع الأطفال حادثة قتل عبد الله الرضيع ابن الإمام الحسين عليهما السلام، وممّا زاد من هول هذه الحادثة المؤلمة، هو أنّ الطفل الرضيع لم يخرج إلى الميدان للقتال، فهو ما زال رضيعاً، بل أخرجه الإمام عليه السلام ليطلب له الماء بعد أن جفّ صدر أُمّه الرباب من اللبن، «**فدعا بولده الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله وأُمّه الرباب، فأجلسه في حجره يقبّله ويقول: بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم. ثمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه**»[2].

٣ـ محاولة قتل الإمام السجاد عليه السلام

عندما رأى ابن زياد (لعنة الله عليه) علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**مَن هذا؟ فقيل: علي ابن الحسين. فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟! فقال علي عليه السلام: قد كان لي أخ يُقال له: علي بن الحسين، قتله الناس. فقال: بل الله قتله. فقال علي عليه السلام: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾**[3]. **فقال ابن زياد: ألك جرأة على جوابي؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه**»، وهنا جاء الردّ الزينبي على عنف السلط الظالمة؛ ليُحطّم نشوة النصر التي داعبت أفكار ابن زياد الإجرامية: «**يابن زياد، إنّك لم تُبقِ منّا**

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٣١ـ٤٣٢.
(٢) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين: ص٢٧٢.
(٣) الزمر: آية٤٢.

أحداً، فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه»[1].

إنّ تلك الصور المروّعة التي افتقرت لأبسط معاني الإنسانية والرحمة، أثبتت أنّ المعسكر الأُموي الذي يُمثّل السلطة الحاكمة لا ينتمي للنوع الإنساني، وما هم إلّا أجساد خالية من الرحمة والعقل.

ضبط النفس للسيّدة زينب عليها السلام في الكوفة

زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم، السيّدة الأُولى في ركب السبايا، تدخل الكوفة وقد قُتل جميع أهلها، فقد يتبادر إلى أذهان أهل الكوفة أنّهم سيرونها تشعر بالضعف والهزيمة، ولكنّهم شاهدوا التحدّي، وشاهدوا أقصى درجات الثقة بالنفس وعلوّ الهمّة، والإحساس بالاقتدار، وهذا هو التحدّي الذي حاولت السيّدة زينب عليها السلام أن تستخدمه كأُسلوب تربوي للاستنكار، استنكار موقف أهل الكوفة من ثورة الإمام الحسين عليه السلام، يقول بشير بن خزيم الأسدي: «**ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذٍ، ولم أرَ خفرة**[2] **ـ والله ـ أنطق منها، كأنّما تفرغ من لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا. فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس**»[3]، وبدأت عليها السلام بالحديث.

نعم، تزدحم الشوارع في مدينة الكوفة، وتمتلئ طرقها بالشرطة الذين جاؤوا ليخنقوا أيّ صوت يرتفع ضدّ السلطة، وفي هذه الظروف يدخل ركب سبايا رسول الله صلى الله عليه وآله، فأشارت السيّدة زينب عليها السلام إلى الناس أن اسكتوا، ثمّ قالت: «**الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أمّا بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً**».

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٩٤ـ٩٥.
(٢) خفرة: المرأة الشديدة الحياء.
(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٨٦.

ما أروع ثقتكِ بنفسكِ سيدتي زينب، تنبّهين أهل الكوفة أنّ رسول الله هو أبوكِ؛ لتعرّفي نفسكِ لكلّ مَن يحاول أن يُنكر قرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ ـ بعد ذلك ـ تُسمعين أهل الكوفة كلمات لها أثر في النفوس، والهدف منها إيقاظ ضمائر أهل الكوفة، وتوبيخهم على عدم نصرة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكّرتهم بماضيهم المخزي، وحاضرهم الأسود، المليء بالغدر والخيانة، ثمّ أنكرت عليهم بكاءهم، واعتبرته نفاقاً، وبقلبها المستعر دعت عليهم بأن يكون بكاؤهم متواصلاً بلا انقطاع، ومصحوباً بالنحيب والعويل.

ثمّ تكمل عليها السلام خطبتها قائلة: «**تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء... أتبكون وتنتحبون؟! إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة، ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة، وملاذ حيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرّة سنتكم، ألا ساء ما تزرون**»[1].

بعد هذا الاستنكار تنتقل السيّدة زينب عليها السلام لتشبّه جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام بقطع كبد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا التشبيه يحمل معاني روحانية عميقة؛ لأهمّية الكبد في جسم الإنسان، فأيّ مسلم يدّعي الإسلام ويقتل إماماً هو بمنزلة الكبد لرسول الله؟! فتقول عليها السلام: «**ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ دم له سفكتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتم؟!**»[2]. فهذا الموقف يدلّ على ضبط النفس عند السيّدة زينب عليها السلام التي أثّرت بحديثها في الكوفة في كلّ مَن سمعها.

إنّ صلابة السيّدة زينب عليها السلام وتحدّيها أكّدا حقيقة مهمّة جدّاً، وهي الإيمان بانتصار العدل على الظلم، وانتصار الدم على السيف، وانتصار المستضعفين على المستكبرين،

(١) المصدر السابق: ص٨٧.
(٢) المصدر السابق.

وهذا الإيمان كان حاضراً وراسخاً في نفس السيّدة زينب عليها السلام، وهو من آثار التربية الإسلامية الصحيحة التي تلقّتها في طفولتها، وكذلك من آثار المصائب التي توالت عليها؛ لتصنع منها شخصية مكتملة، قادرة على إكمال المشروع الإلهي الذي بدأ خطوته الأُولى سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

الضبط النفسي للسيّدة زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد

ومن أروع صور ثباتها عليها السلام عند دخولها دار الإمارة، حيث نراها تقف بكلّ ثبات لتُبيّن نسبها، وبماذا أكرمها الله، وتصف كلّ ما مرّت به بالجمال، ثمّ توضّح ثباتها على خطّ الإمامة، فتدافع عنه بكلّ قوّة وثبات، وبالتحديد عندما التفت ابن زياد إلى الإمام السجاد عليه السلام، وأمر بضرب عنقه، فنرى السيّدة زينب عليها السلام وبكلّ ثبات تدافع عن الإمامة المتمثّلة في الإمام السجاد عليه السلام.

وقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد أنّ ابن زياد أقبل عليها وقال لها: «**الحمد لله الذي فضحكم... فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد صلى الله عليه وآله، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، وإنّما يُفتضح الفاسق، ويُكذّب الفاجر، وهو غيرنا، والحمد لله**»[1].

نعم يا بنت الخير كلّه، أنتم ـ والله ـ الذين أذهب الله عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً، ذلك الطُّهر الذي ورثتموه من جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله، فهنيئاً لكم إذ كنتم رموزاً للصبر والثبات وضبط النفس في مواجهة الجيش الأُموي، وقائده عمر بن سعد (لعنة الله عليه).

ثمّ تقدّم ابن زياد ـ محاولاً أن يذلّ جبل الصبر ـ ليسألها عن مقتل ذويها، فتُجيبه بكلّ صلابة: «**كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّون إليه وتختصمون**»[2]، وهناك حاول ابن زياد أن يقتل الإمام زين

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٥.
(٢) المصدر السابق.

العابدين عليه السلام، فاعتنقته السيّدة زينب عليها السلام وهي صابرة محتسبة ضابطة لنفسها في سبيل حفظ الإمام، وقالت: «**والله، لا أُفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه. فنظر ابن زياد إليها وإليه، ثمّ قال: عجباً للرحم! والله، إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه. دعوه فإنّي أراه لما به**»[1].

أيّ مكانة بلغتِ سيّدتي! وأيّ مستوى وصلتِ إليه من الضبط النفسي وأنتِ تصفين كلّ ما رأيتِ بالشيء الجميل! لتقولي عبارتك التي زلزلت عرش اللعين ابن زياد، ولتصفي صبرك وثباتك، فتقولي: «**ما رأيت إلّا جميلاً**».

الضبط النفسي للسيّدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد

سبايا بيت النبوّة عليهم السلام يصلون إلى الشام، ويزيد في قصره ينتظر تلك اللحظة التاريخية بفارغ الصبر؛ لرؤية سبايا بيت النبوّة، تلفّهم الجراح والهوان، وتوثقهم الحبال، وتعيق حركتهم سلاسل القيود، لحظة ينتظرها يزيد (لعنه الله) بفارغ الصبر، التي تعكس مستوى تربيته في أحضان بني أُميّة، حيث إنّه رضع على مدى عقود طويلة الحقد والبغض لبيت النبوّة عليهم السلام، وحانت تلك اللحظة واستعدّ لها بإقامة احتفال كبير، وفي الأوّل من صفر دخل سبايا بيت النبوّة الشام، ومن ثمّ إلى مجلس يزيد، وهم في حالة مؤلمة للغاية، أوثقوا أيديهم بالحبال، وأرجلهم بالسلاسل، وأوقفوهم بين يدي يزيد.

وقفت السيّدة زينب عليها السلام مع السبايا تحمل كلّ الماضي بما فيه من عزّة وشموخ، وتحمل كذلك الوسائل التي تمكّنها من ضبط النفس في مواجهة عنف السلطة، فهي العالمة غير المعلّمة، وهي الحكيمة العاقلة، وقفت أمام يزيد وكأنّ هذا اللقاء مختبر لها عليها السلام؛ لتستعرض للجميع فنون ضبط النفس ومهاراته، ولتواجه عنف يزيد الذي يقف أمام السبايا وكلّه زهو وفرح، وهو الذي أذلّ تلك الرؤوس المقطّعة أمامه بسبي نسائهم وعيالهم، ولكنّنا نرى قلباً مليئاً بالإيمان، هو قلب زينب عليها السلام، وبهذا الإيمان نجدها تواجه يزيد في قصر خلافته المتهاوي الأركان، فتخاطبه باسمه الصريح؛

(١) المصدر السابق: ص١١٦ـ١١٧.

لتُنزل من قيمته أوّلاً، ولتكسر فرحته بالانتصار، وشعوره بالزهو، قائلة: «**أظننت يا يزيد، حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيّقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك إسار، نُساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أنّ بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً، وأنّ ذلك لعظم خطرك وجلالة قدرك؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك فرحاً... فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله** عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1]؟!».

ثمّ تنتقل السيّدة زينب عليها السلام إلى أُسلوب آخر في الخطاب، وهو أُسلوب التذكير بالأصل السافل، والنسب المخزي، وهو الشجرة الملعونة، فتقول: «**أمِن العدل ـ يابن الطلقاء ـ تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد... ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، عتوّاً منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله؟!**».

لقد تعلّمت عليها السلام الشجاعة من مدرسة جدّها وأبيها، تلك المدرسة التي انتهلت المعارف والعلوم من القرآن، والتي علّمتها أنّ الإنسان يجب عليه أن لا يخشى سوى الله؛ لذلك وقفت عليها السلام أمام يزيد طاغية زمانها لتقول له: «**ثمّ كدّ كيدك، واجهد جهدك، فوالله الذي شرّفنا بالوحي والكتاب والنبوّة والانتجاب، لا تُدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا ترحض عنك عارنا**».

وهذا الكلام يحمل طابع التهديد من سيّدة أسيرة، ولكنّها تحمل الثقة بالنفس، والقدرة على مواجهة التحديات، واستنكار فعل الطغاة الظالمين، وتواجههم صراحة لتقول: مهما فعلت، ومهما ضيّقت علينا، وحاولت جاهداً محو ذكرنا؛ فسوف تفشل، وتحمل وزر ما فعلت وخزيه.

---

(١) آل عمران: آية١٧٨.

ثمّ تُكمل عليها السلام خطابها لتقول: «**وهل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعن الله الظالم العادي، والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأوصيائه ببلوغ الإرادة، ونقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة**»[1].

ومثلما ابتدأت خطبتها بحمد الله ختمتها بحمد الله، فرغم الصعاب والمكاره التي تمرّ بها السيّدة زينب عليها السلام، إلّا أنّها تتحمّل وتستقبل كلّ ذلك بصدر واسع وصبر جميل، ذلك الصبر الذي جعل يزيد ينهار رغم ما كان يشعر به من زهو الانتصار ولذّته، فما كان منه إلّا أنّه علّق على تلك الخطبة الرائعة قائلاً:

يـا صيحـة تُحمـد مـن صوائحِ ما أهـونَ الموت عـلى النوائحِ[2]

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، منشورات مؤسّسة الأعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ.

٢ ـ الأخلاق الحسينية، جعفر البياتي، أنوار الهدى، إيران ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.

٣ ـ أدب الأطفال والقيم التربوية، أحمد علي كنعان، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأُولى.

٤ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد، منشورات مكتبة بصيرتي، قم ـ إيران.

٥ ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، قم ـ إيران، ١٤٢١هـ.

٦ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥٧ـ١٦٠.
(٢) المصدر السابق.

٧ ـ الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرّف والإرهاب والعنف، علي بن عبد العزيز الشبل، (دراسة مقدّمة في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، Amnfkri.Com).
٨ ـ الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي.
٩ ـ الخصائص الزينبية، نور الدين الجزائري، دار الحوراء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥هـ.
١٠ ـ دراسات إسلامية في علم نفس النمو، سعيد كاظم العذاري، مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران.
١١ ـ دروس في الشيعة والتشيّع، علي الرباني الگلپايگاني، ترجمة: أنور الرصافي، منشورات جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، قم ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ١٣٨٨ش.
١٢ ـ زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسّسة الرافد للمطبوعات، الطبعة الأُولى.
١٣ ـ زينب بنت علي فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسين البغدادي، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى.
١٤ ـ زينب في محراب العشق، أمّ عباس النمر، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧هـ/ ١٩٦٥م.
١٥ ـ الصلابة النفسية وعلاقتها بمركز الضبط لدى الطالب الجامعي، فتحية خنفر، (دراسة ميدانية بجامعة قاصدي مرياح، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم علم النفس).
١٦ ـ الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، دار سبط النبي صلى الله عليه وآله، الطبعة الثانية.
١٧ ـ ظاهرة العنف لدى الشباب، أسبابها والحلول، عبد الله الربابعة، بحث مقدّم لدار الإفتاء في المملكة الأردنية الهاشمية.
١٨ ـ العوالم الاجتماعية المؤدّية للعنف لدى طلّاب المرحلة الثانوية، فهد بن علي عبد العزيز الطيّار، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٩ ـ عـوالم العلـوم والمعارف والأحوال مـن الآيات والأخبار والأقـوال، عبدالله بن نور البحراني الإصفهاني، مؤسّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، قم ـ إيران، ١٤١٣هـ.
٢٠ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسـلامية، طهران، الطبعة الخامسـة، ١٣٦٣هـ.ش.
٢١ ـ الكامـل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى.
٢٢ ـ لسـان العـرب، محمد بن مكرم المشـهور بابن منظور، مؤسّسـة التاريـخ العربي ودار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
٢٣ ـ اللهـوف في قتـلى الطفوف، علي بن موسـى بن طـاووس، أنوار الهدى، قـم ـ إيران، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
٢٤ ـ المرأة العظيمة.. قراءة في حياة السـيّدة زينب بنت علي عليهما السلام، حسـن موسـى الصفّار، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٢٥ ـ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار كتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان.
٢٦ ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (مجمع اللغة العربية)، دار الدعوة.
٢٧ ـ مفردات الفاظ القرآن، الراغب الإصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الرابعة.
٢٨ ـ المفـردات في غريب القرآن، الحسـين بن محمد المعـروف بالراغب الإصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٢٩ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسـين الإصفهاني، منشـورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
٣٠ ـ مقتل الحسين أو حديث كربلاء، عبد الرزّاق المقرّم، انتشارات الشريف الرضي.
٣١ ـ ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، شهاب الدين العذاري، مركز الرسالة.

دور المرأة في الإعداد النفسي وتعزيز العقيدة الحسينية

م. د. إيناس جاسم الدروغي*

المقدّمة

أدّت المرأة عبر العصور المتقدّمة دوراً فاعلاً في مختلف المجالات، فكانت تُساند الرجل في البيت والعمل، وإذا عُبِّر عنها سابقاً بأنّها نصف المجتمع لممارستها هذه الأدوار، فهي اليوم تكاد تمثّل المجتمع كلّه من خلال مشاركتها في ميادينه كافّة، فالمرأة اليوم في المنزل والمدرسة والمعمل والمشفى، وهي الأُمّ والأب والمعلّمة والممرضة والعاملة، فهي تضاهي الرجل بتقدّمها، فضلاً عن خبرتها ومهارتها، بل نستطيع القول ـ وبموضوعية ـ: إنّها فاقت الرجل في كثير من الأعمال الريادية، فهي شريحة لا يُستهان بها اليوم؛ لما أثبتته من جدارة على جميع الأصعدة.

فالمرأة تُمثّل وسطاً فكرياً تسود مفاهيمه الوضوح على الرغم من حصانة الجدران؛ لكونها تمتلك قدرة على التأثير وفرض توجهاتها، خاصّة عندما تكون هذه التوجّهات صائبة.

والصور التي تجسّدت بها المرأة وأثبتت فيها جدارتها بثبات وعزيمة وصمود كثيرة جداً، يتجلّى أولها بالموقف البطولي الذي قامت به سيّدتنا زينب عليها السلام التي كانت راعية لمسيرة الحسين عليه السلام منذ انبثاقها، ومحافِظة على رَكبه، ومعرّفة لعنوان النهضة، وهي التي برّزت أُطرها وارتباطها بالسماء، وكان لها موقف مشرّف عندما وقفت درعاً يتصدّى لنبال الجهل والظلم، وكذلك موقفها الصلب أمام يزيد وأعوانه،

---

* كلّية الكفيل الجامعة/ العتبة العباسية المقدّسة/ من إيران.

وهي تقول: «**كد كيدك، واجهد جهدك، فوالله الذي شرّفنا بالوحي والكتاب، والنبوّة والانتخاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا يرحض عنك عارنا، وهل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعن الله الظالم العادي...**»[1]، موضّحةً أهداف الثورة وغاياتها الانطلاقية، وأنّها لم تكن لأغراض مادّية دنيوية زائلة، بل لأغراض سرمدية، إلى غير ذلك من الأدوار التي جسّدتها المرأة في تعزيز مواقف الأبطال في سوح القتال، كموقف أُمّ البنين عليها السلام التي قدّمت أبناءها الأربعة بين يدي الحسين عليه السلام، وكذلك موقف ليلى والدة علي الأكبر عليه السلام، وغيرهنّ الكثير من اللواتي سَعَين إلى إعلاء صوت الحقّ، وخذلان الظلم والجور.

واليوم تستطيع المرأة أن تُكمل المسيرة الحسينية وتُشارك في بطولاتها، من خلال تجسيد المبادئ وتطبيقها في مسيرتها الأخلاقية، وإعداد الأجيال القادمة. وقبل الولوج في بيان دور المرأة في ثبات العقيدة وتعزيزها، سوف نقف وبصورة مختصرة عند مبادئ الثورة الحسينية تحاشياً للتكرار والإطالة.

المطلب الأوّل: مبادئ الثورة الحسينية مبادئ إنسانية

إنّ مبادئ الثورة الحسينية هي مبادئ السماء؛ وذلك للقيم الإنسانية التي تحملها، تلك القيم التي يجب علينا أن نُدرك كنهها لنلتحق بركبها، وهذا ما نقرأه في كلمات الإمام الحسين عليه السلام إلى محمد بن الحنفية حيث يقول عليه السلام: «**فإنّ مَن لحق بي استُشهد، ومَن لم يلحق بي لم يُدرك الفتح**»[2]، فأيّ فتح يقصده الإمام؟ وهل هو فتح مرتبط بزمان الواقعة ومكانها؟

السؤال يقتضي إجابتين: إمّا بنعم، أو لا، والأمر المنطقي والعقلي أن نتبنّى الإجابة الثانية، وهي أنّ الثورة غير مقيّدة بزمان الواقعة ومكانها، وإنّما هي ممتدّة عِبرَ الأزمنة والأمكنة بامتداد الظلم والفساد؛ بدليل اندلاع الثورات بعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام،

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٧.
(٢) البحراني، عبد الله، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص١٥٥.

كما أنّ صورها قد عُدّت دروساً يُنهل منها، فالفتح الذي يقصده الإمام عليه السلام هو الفتح الميداني، وفي مختلف الأصعدة، للتخلّص من الظلم والجور الذي اعترى مجتمعنا.

ونظراً لما تتمتّع به الثورة الحسينية من أبعاد مختلفة، فقد تفرّدت في التاريخ، مجسّدة كلّ المعالم الإنسانية، ولكلّ شخص أن ينهل منها المنهج والطريقة، كلٌّ حسب إمكاناته، فإنّ كلمته عليه السلام: «**لم أخرج أشراً ولا بطراً**»، دالّة على أنّ نهضته ليست نهضة عابرة، وإنّما هي رسالة تهدف إلى الحفاظ على إنسانية الإنسان، واحترام قيمته العليا التي فُضِّل بها على سائر المخلوقات.

المطلب الثاني: دور المرأة بصفتها أُمّاً ومعلّمة في الإعداد والتعزيز

المقصود بالإعداد هو الإعداد والتأسيس لاستقبال واستيعاب مبادئ النهضة الحسينية وقيمها، وذلك من خلال الأدوار التي تشغلها المرأة، والتي لها أهمّية في زرع الثقافة الحسينية، فضلاً عن قدرتها على الإعداد النفسي، وتوجيه النفوس نحو العقيدة الحسينية، وسوف نركّز على دورين هامّين للمرأة، تكون فيهما هي المتحكّمة في التوجيه والتأثير، وهما: دور المرأة الأُمّ، ودور المرأة المعلِّمة، كما أننا سنسلّط الضوء على الإمكانات التي تملكها المرأة في هذين الدورين، وقدرتها على التعزيز والترغيب.

أوّلاً: المرأة الأُم

للمرأة دور في تعزيز العقيدة الإسلامية، فهي تُعدّ البيئة التي يعيش فيها الشخص، ويصنع إيديولوجيته العقدية من خلالها؛ لذلك لجأت الدراسات الحديثة إلى الاهتمام بالأُمّ، أو مَن يقوم مقامها، للتأثير الذي تتركه في الطباع المكتسبة عند الطفل، خذ مثالاً: الفائدة الكبيرة المترتبة على تقديم الأُمّ لطفلها قراءةً لواقعة الطف، وتعريفاً بتفاصيلها بحسب طاقته الاستيعابية، واستخدام أُسلوب التعزيز والإثابة، ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ ترسيخ المبادئ الحسينية، وجعلها الأُسس في النشأة والتطوّر، فإن أُطلِق اسم (حسين) فإنّ ذلك يعني: العطف، والتعاون، والرحمة، والتضحية.

وهو الأُسلوب نفسه الذي نظّر له (ثروندیك)، والذي أُطلق عليه (النظرية الوصلية)، وهي النظرية التي يحدث فيها التعزيز والتقوية التدريجية للوصلة بين المثير والاستجابة، فإن عمل الطفل عملاً حسناً يُثاب على ذلك العمل، وهكذا كلّما طبّق الطفل هذه المبادئ وعمل بها يُثاب على ذلك، وبهذا يتعلّم الطفل تدريجياً أنّ العمل بهذه المبادئ موصول بالإثابة، سواء كانت هذه الإثابة مادية أم معنوية.

من النتائج المترتّبة على هذه النظرية هو حلّ المشكلات، فيتعرّف من خلالها الطفل على كيفية حلّ الإشكالات التي تواجهه، وذلك باستخدام الأُسلوب الأفضل، والطريقة المثلى التي تترتّب عليها الإثابة، فالطرق مختلفة، ولكن أيّ الطرق تُوصل إلى الإثابة؟ فيفكّر الطفل بأنجعها وصولاً إلى الإثابة، وبما أنّ الأُمّ الواعية تُثيب الطفل على الأُمور الصالحة، تصبح مسألة حلّ المواقف من خلال المبادئ الحسينية ـ التي كلّما عمل بها الطفل كان ختامها الإثابة ـ من البديهيات عند الطفل، وهكذا تنغرس في الطفل الملاكات والقدرات والمحفّزات على سلوك الأُسلوب الصحيح في كلّ موقف من مواقفه التي يمرّ بها.

فإنّ عمل الأُمّ بهذا الأُسلوب يترشّح منه اكتساب الطفل القدرة على حلّ الإشكالات في فترة زمنية تتناقص تدريجياً بالدربة والمران، وهذه الملكات والقدرات تُحدّد الاستجابة لأيّ موقف يتعرّض له الطفل، حتّى يصل الطفل إلى الاستجابة التي اكتشف أنّها ناجحة عن طريق إثابة الأُمّ له، «**ولذلك تصبح هذه الاستجابة أكثر تكراراً أو أكثر احتمالاً في المحاولات التالية من الاستجابات الأُخرى الفاشلة... وتمثّل هذه العملية الجانب التعليمي في هذا الأداء... بينما الاستجابة الصحيحة تقوى تدريجياً بالتدريب؛ لأنّها الاستجابة المعزّزة، وقد أدّى ذلك إلى وضع قانون الأثر (*Law of Effect*)، وهو أهمّ قانون في النظرية**»[1].

(١) الشرقاوي، أنور محمد، التعلّم: ص٥٣.

ويعتمد هذا القانون على قوّة الارتباط بين المثير والاستجابة، والأثر الطيّب الناشئ عن التعزيز اللاحق لحدوث الاستجابة، فـ«**إذا تبع مثير ما استجابة معيّنة وعقب هذه الاستجابة حالة ارتياح فإنّ الارتباط يقوى بين هذا المثير وهذه الاستجابة**»[1]؛ ولذلك على الأُم أن تُثيب الطفل بشكل يتوافق مع حاجاته ورغباته المرحلية.

ويسبق قانون الأثر قانون الاستعداد، ويُعتبر حجر الزاوية الأساس لقانون الأثر، فهو يمثّل «**الأساس الفسيولوجي لقانون الأثر**»[2]، فيجب على الأُمّ أن تهيّئ الطفل للتعامل مع هكذا أُمور، من خلال تطبيق الأُمّ لهذه المبادئ في معالجة أيّ موقف من المواقف، وتتعامل معه بثقافة حسينية؛ لأنّ الطفل يكتسب سماته الشخصية من خلال ما يكتسبه من مواقف بيئية.

وإذ كان همّ النهضة الحسينية التركيز على إعادة صياغة الأخلاق الإنسانية، بعد أن تجرّد الإنسان من قِيَمه ومبادئه جرّاء أفعال بني أُميّة وإرهابهم، فعندما يتعرّض الطفل لموقف ما تعالجه الأُمّ بما ورد في الطف، محاولة ربط الموقف بالقيم والمبادئ التي تجسّدت في تلك النهضة، فعندما يحسّ الطفل بالجوع والعطش ـ على سبيل المثال ـ تحاول تذكيره بأطفال الحسين عليه السلام الذين لاقوا ما لاقوا في المعركة، وهم يتحمّلون مشاق الجوع والعطش، محاولة تعزيز هذا الموقف لديه، مما ينمّي عنده قوّة الإرادة، والعزيمة على التحمّل والصبر، ثمّ تُثيبه على تحمّله، وتقدّم له أفضل ما يكون.

ومن القيم والمبادئ التي تستطيع الأُمّ غرسها في طباع طفلها:

١ـ التضحية.

٢ـ الإيثار والصبر.

٣ـ الاعتراف بالذنب، وتصحيح الخطأ.

---

(١) المصدر السابق: ص٥٥.

(٢) المصدر السابق: ص٥٦.

ويتجسّد الأوّل بموقف الإمام الحسين عليه السلام عندما قدّم نفسه وعياله من أجل رفع راية العدل والحقّ.

ويتجسّد الثاني بموقف العباس عليه السلام عندما امتنع عن شرب الماء، وآثر على نفسه، وحمله إلى أطفال الحسين عليه السلام.

ويتجسّد الثالث بموقف الحرّ الرياحي عندما جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام مستسلماً معترفاً بذنبه، وكان التعويض النفسي للشعور بالذنب هو الوقوف في صف الإمام عليه السلام، والذود عنه، وغيرها من الصور التي جسّدت هذه المبادئ الإنسانية وغيرها.

والأُمّ بعملها هذا تؤسس وتجذّر لمسألة التولّي والتبرّي، أي: الإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام والتبرّي من أعدائهم، فهما من الأُمور التي يجب أن تجسّدها الأُمّ في نفس ولدها، فالولاء لأهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ليس بمجرّد الكلام، وإنّما هو بيان أنّهم عليهم السلام يمثّلون ويجسّدون الإنسان المثالي من خلال المواقف الحسينية، وإعلان البراءة ممّن خالف مبادئ الإنسانية، فضلاً عن إحياء الفكر الحسيني، بإحياء ذكرى عاشوراء، و«**إقامة العزاء الحسيني الذي هو من أبرز مصاديق التولّي والتبرّي. إذاً؛ فالبكاء والعزاء نقطة البداية في إحياء أصلٍ من أُصول الدين، وهو الإمامة، فتقوى بذلك شوكته**»[1].

لذلك لا بدّ من استيعاب هذه الشريحة الهامّة من خلال عقد الندوات والجلسات لتثقيف المرأة بمختلف الجوانب: الأخلاقية، والاجتماعية، والدينية، ومنها مبادئ الثورة الحسينية؛ لتكون فاعلة وناشطة في خدمة المجتمع وبنائه.

ثانياً: المرأة المعلّمة

للمؤسّسة التعليمية بصورة عامّة دور في توجيه العقيدة لمختلف شرائح المجتمع، سواء أكان ذلك على المستوى التمهيدي، أم الابتدائي، أم الثانوي، وحتّى الجامعي،

(١) أُنظر: بابائي، رضا، مجالس العزاء الحسيني بدعة أم سنّة؟، مجلّة نصوص معاصرة: العدد٨، ص٣٨.

فالمعلِّم له دور كبير في التأثير في الطالب عن طريق صورته التي يرسمها لدى الطالب، الصورة التي يلتمسها الطالب من سلوكيات المعلّم وحُسن أدائه؛ ومن هنا كانت هناك ضرورة ملحّة للاهتمام بالمعلّم وتعزيز العقيدة عنده؛ إذ تنعكس آثار ذلك على طلّابه، خاصّة أننا نمرّ بأزمة دينية تخطّت أطواد العلم، واخترقت الحرم الجامعي، كالفكر الإلحادي على سبيل المثال.

ولا يخفى ما لدور المرأة كمعلِّمة من الأهمّية البالغة في ترسيخ الأفكار الحسينية وتوجيهها، وذلك من خلال حملة توعوية تستمدّ قوّتها من مبادئ الثورة الحسينية، وتجسّد القيم الأخلاقية: كالصبر، والشجاعة، والتعاون، وعدم الرضوخ للباطل في المواقف التعليمية والحياتية، فضلاً عن رسم صورة الإسلام الحقيقي الذي جسّده الحسين وأهل بيته عليهم السلام، ونبذ الصورة التي تمثّلها اليوم بعض الواجهات التي تدّعي الإسلام، والتي سبّبت نفور الناس من الإسلام الذي شوهوه بأفعالهم الشنيعة المدسوسة، وإبراز البطولات التي صالها الحسين عليه السلام وأصحابه، واتّخاذها رمزاً للتغيير الذي نحتاج إليه اليوم.

ومن أهمّ المبادئ التي يجب التركيز عليها:

١. السلام والإنسانية

نشر السلام والإنسانية ونبذ الطائفية من الأُمور التي لا بدّ من الاهتمام بها لتعزيز مجتمع قائم على أساس مدني، وحضارة تضمّ مختلف الأديان والطوائف تحت راية الإنسانية، فإنّ الدين هو علاقة رابطة بين الإنسان وربّه، بينما الحضارة علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وهذا ما سعى إليه الإسلام في إثبات دعائمه، فركّز على محورين أساسيين، هما: الطاعة والمعاملة، فالطاعة تمثّل العبادة وعلاقة المخلوق بالخالق؛ لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، والمعاملة تمثّل علاقة الإنسان مع

(١) الفاتحة: آية ٥.

بني جنسه؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[1]، فلا تفضيل بين الناس إلّا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا ما أراده الحسين عليه السلام، وقدّم من أجله التضحيات.

٢. الشعور بالمسؤولية

الشعور بالمسؤولية وخلق روح الانتماء من المسائل المهمّة في بناء مجتمع رصين، حيث الحسّ الوطني، والدفاع عن الأرض والمقدّسات ضد هجمات الأراذل، والعيش في ظل راية الوطن التي ترفرف في ربوعه، فالعامل يُدافع عن وطنه عن طريق إتقان عمله والشعور بالمسؤولية لتقديم الأفضل والأنجع، والمقاتل مسؤول في بذل نفسه للدفاع عنه، والخطيب مسؤول أيضاً في التوجيه والإرشاد، والطالب بدوره مسؤول عن حماية وطنه ببذل المجهود، والسعي للنجاح والتطوّر، فكلّنا مسؤولون عن حماية الأرض من دنس الأعداء، وقد دعا إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته**»[2]، ومن الممكن أن نستلهم ذلك من شخصيات الطفّ؛ حيث يتجسّد ذلك في المسؤولية التي وقعت على عاتق كلّ فرد من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، فالطفل والشاب والمرأة والرجل قد تقاسموا الأدوار، وحملوا المسؤولية لإنجاح الثورة والدفاع عن الدين والوطن.

ومن هنا، فالمعلّم يحتاج اليوم إلى إعادة الصياغات الدرسية وفق هذه المبادئ، فالطالب يتأثّر بالإنسانية الحسينية، ويؤثّر بدوره هو الآخر كوسط فعّال في بيئته، وذلك من خلال اتّباع طرائق التدريس، وسأطلق عليها طرائق التدريس الحسينية وأساليبها.

---

(١) الحجرات: آية١٣.

(٢) ابن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي، عوالي اللئالي: ج١، ص١٢٩.

٣ـ ربط المادّة الدراسية بمبادئ الثورة الحسينية

أ ـ التمهيد للموضوع عن حادثة معيّنة تخصّ المتعلِّم، فيستفيد من مواقف الطفّ في حل الإشكالات والأزمات.

ب ـ إقامة الندوات العلمية التي تُعزّز المبادئ بطريقة أكاديمية متحضّرة، ونشر الثقافة الحسينية في الجامعات واستمداد الشعارات منها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق: السيّد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى.

٢ ـ التعلّم، أنور محمد الشرقاوي، مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة الأُولى، ٢٠١٢م.

٣ ـ العوالم (الإمام الحسين عليه السلام)، عبد الله البحراني (ت١١٣٠هـ)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، مير، قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧م.

٤ ـ عوالي اللئالي، محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، مطبعة سيّد الشهداء، قم، الطبعة الأُولى، ١٩٨٣م.

٥ ـ مجالس العزاء الحسيني بدعة أم سنّة؟ رضا بابائي، ترجمة: محمد عبدالرزاق، مجلّة نصوص معاصرة، بيروت، العدد٨، ٢٠١٤م.

سبايا الطف بين الإرهاب النفسي والاضطهاد الجسدي
دراسةٌ تحليلية

إعداد: د. فراقد داوود سلمان*

المقدّمة

تُمثّل المرأة نصف المجتمع، وهي تلِد النصف الآخر، وتُعدّ عاملاً رئيساً لأيّ تغيير ثقافي أو اجتماعي في المجتمع؛ لأنّها تتمتّع بقدرات فائقة في إقامة علاقات وطيدة مع كلّ شرائح النسيج الاجتماعي، وتستطيع المرأة بملكتها الفطرية والعاطفية أن تكون عنصراً مؤثّراً وبداية هادئة لأيّ عملية تغيير، وفي مجال النهضة الحسينية لم يقلّ دور المرأة عن دور الرجل، فقد حافظت على القيم والمُثُل والأخلاق، وعملت على ترسيخها والدفاع عنها.

أمّا السبايا فقد حملن همّ الدين وهمّ العمل للدين، وجاهدن بعيالهنّ وأبنائهنّ وأزواجهنّ من أجل إعلاء كلمة الإسلام، وتصحيح مساره، بعد أن أصابه الكثير من الاعوجاج في ظلّ الحكم الأُموي، في مهمّة عجز ويعجز عن أدائها أشدّ الرجال، وذلك عندما تعرّضن لمحن قاسية وصعبة، ولقد كانت قدوتهنّ ومثلهنّ الأعلى في مسيرة السبي وموكب الأحزان هي السيّدة زينب عليها السلام التي استعذبت العذاب في سبيل الله، ونصرة الحقّ، فثبتت ثبات الجبال الراسيات الشامخات، وهذا ما يقودنا لفرضية مفادها: هل تمكّنت السياسات الإرهابية الأُموية حيال السبايا من ثنيهنّ عن هدفهنّ الأوّل والأخير في الحفاظ على المُثل العليا للإسلام، والصمود وعدم الرضوخ للإرهاب في ميدان المطالبة بالحق؟

---

* جامعة البصرة/ مركز دراسات البصرة والخليج العربي/ العراق.

أهمّية البحث

تكمن أهمّية البحث في توضيح عجز السياسات الإرهابية الأُموية ضدّ سبايا الطف وفشلها لثني عزيمتهم القوية في دعم وإسناد الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن إصلاح المجتمع واستنهاض الأُمّة بعد أن ابتُليت بالبدع والانحرافات الفكرية والدينية.

إشكالية البحث

تدور إشكالية البحث حول الإرهاب الذي مُورس من قِبل بني أُميّة الطغاة ضدّ سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله، وأنّ النهضة الحسينية ومسيرة السبايا صنعتا تاريخاً تصحيحياً لمسار الأُمّة الإسلامية والبشرية جمعاء.

أهداف البحث

أوّلاً: توضيح مدى كراهية آل أُميّة لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وحقدهم عليهم، الأمر الذي وصل إلى حدّ التمثيل بالجثث الطاهرة، وتعذيب السبايا، وتجويعهم وضربهم وشتمهم، وحرق الخيام، وشتّى صنوف الاضطهاد.

ثانياً: تسليط الضوء على غياب ثقافة الحروب عن واقعة الطف، والمقصود هنا من ثقافة الحروب هو أُسلوب القتال وآليات التعامل الأُموي مع السبايا من النساء والأطفال.

ثالثاً: إثبات فشل المخطّط الأُموي السياسي في إضفاء الشرعية على حكمهم.

رابعاً: بيان أنّ صبر السبايا واحتسابهنّ قد أسقط جميع أقنعة الطغمة الفاسدة من بني أُميّة.

خامساً: كشف النقاب عن أهمّية تلاحم مبادئ الرسالة الحسينية مع البطولة العقائدية التي تمتّعت بها سبايا الطف، والتي رسمت صورة المرأة المسلمة الثائرة ضدّ الظلم والطغيان.

أقسام البحث

قمنا بتقسيم البحث إلى أربعة مباحث:

خُصّص المبحث الأوّل للحديث عن أهداف الإمام الحسين عليه السلام من اصطحاب أهل بيته إلى العراق.

وركّز في المبحث الثاني على سياسة الإرهاب الأُموية ضدّ أهل البيت والسبايا.

وأُفرد المبحث الثالث لسياسة الاضطهاد الجسدي الأُموية ضدّ السبايا.

أمّا المبحث الرابع فقد اختصّ بالدور الرسالي للسبايا في حرب الطف. فضلاً عن المقدّمة، والخاتمة، والاستنتاجات، والتوصيات، وقائمتي الهوامش والمصادر.

منهجية البحث

اتّبعنا في كتابة البحث المنهج التحليلي الوصفي ومزجناه مع المنهج التاريخي؛ بغية الوصول إلى أدقّ الاستنتاجات.

المبحث الأوّل: أهداف الإمام الحسين عليه السلام من اصطحاب أهل بيته إلى العراق

قبل الخوض في غمار موضوع البحث؛ لا بأس بمعرفة مفهوم كلمة سبايا لغةً واصطلاحاً.

جاء في لسان العرب: «سبي: **السَّبيُ والسِّباءُ: الأسر معروف. سَبَى العدوَّ وغيرَه سَبياً وسِباءً: إذا أَسَرَه، فهو سَبِيٌّ، وكذلك الأُنثى بغير هاءٍ من نِسوة سَبايا... والسَّبيُ: المَسبِيُّ، والجمع سُبِيٌّ ...والسِّباء والسَّبي: الاسم. وتَسابَى القومُ إذا سَبَى بعضهم يبعضاً... فالسَّبيُ: النَّهبُ وأَخذُ الناسِ عَبيداً وإماءً، والسَّبِيَّة: المرأَة المَنهوبة، فعيلة بمعنى مفعولة. وسَبَيت قلبَه واستَبَيته: فَتَنته، والجاريةُ تَسبي قَلبَ الفَتى وتَستَبِيه، والمرأَةُ تَسبي قلبَ الرجلِ... والسَّبيُ يقع على النساء خاصَّة، إمَّا لأَنَّهنَّ يَسبِينَ الأَفئدَةَ، وإمَّا لأَنَّهنَّ يُسبَينَ فيُملَكنَ، ولا يقال ذلك للرجال**»[1].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١٤، ص٣٦٧ـ٣٦٨.

«أمّا اصطلاحاً: فالفقهاء في الغالب يخصّون السبي بالنساء والأطفال، والأسر بالرجال»[1].

وبعد هذا التعريف نقول: إنّ هدف خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى العراق هو الواجب الديني الذي كان على عاتقه كإمامٍ للمسلمين، وهو الوقوف بوجه جور الجائرين المستحلّين لحُرم الله، مردداً قوله: «**مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسوله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بقول ولا فعل؛ كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله**»[2]؛ لذا «**خرج الإمام الحسين من مدينة جدّه إلى العراق مصطحباً معه العيال والأطفال، مضطلعاً بأعباء الرسالة المحمدية، شاعراً بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه أمام الله؛ لأنّه ممثّل الرسالة المحمدية الوحيد، مستقطباً معه معظم شرائح المجتمع؛ لأنّ ثورته كانت اجتماعية منبثقة من المجتمع الإسلامي نفسه، فهي ثورة اشترك فيها كافة طبقات المجتمع، فنرى فيها الرجال والأطفال، كما نرى الأبيض والأسود، والحرّ والعبد، والعربي والعجمي... فهذه الشرائح المختلفة كانت تُعلن غضبها على يزيد الطائش، وتُعلن العصيان على كلّ مَن خرج وانحرف عن خط الرسالة**»[3].

وتراودنا في هذا المجال عدّة أسئلة، منها:

لماذا اصطحب الإمام الحسين عليه السلام الصبية والنساء والأطفال ليتعرّضوا إلى السبي والقتل والضرب؟

سنحاول في هذا البحث تسليط الضوء على هؤلاء النسوة، وفيما يلي أسماء النسوة والصبيان والأطفال الذين اصطحبهم الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء:

(١) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الكويت)، الموسوعة الفقهية: ج٢٤، ص١٤٥.
(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٣٨.
(٣) الموسوي، جبار محمد هاشم، والحسيني، أمل سهيل عبد، دماء الطفولة وأثرها في إحياء أهداف الثورة الحسينية، مجلّة دراسات إسلامية معاصرة: العدد ٨، ص٣٥٥ـ٣٥٦.

أ. أخوات الإمام الحسين عليه السلام اللواتي خرجن معه من المدينة إلى العراق

١ـ أُمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

٢ـ فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام.

٣ـ رقية الصغرى بنت علي عليه السلام: وهي زوجة محمد بن عقيل بن أبي طالب، «**وممّا يدلّ على إخراجها إلى كربلاء استشهاد ولدها جعفر بن محمد بن عقيل في حمل آل أبي طالب يوم عاشوراء**»[٢].

٤ـ خديجة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام؛ «**وممّا يدلّ على وجودها في كربلاء، وأنّها خرجت مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام، هو أنّها كانت متزوّجة من عبد الرحمن بن عقيل ابن أبي طالب الذي خرج مع سيّد الشهداء، وكان ممّن استُشهدوا يوم عاشوراء، قتله عمر بن خالد بن أسد الجهني (لعنه الله)**»[٣].

٥ـ أُمّ هانئ بنت علي بن أبي طالب عليه السلام: ولقد كانت متواجدة مع زوجها في واقعة الطف، وزوجها هو عبد الله بن عقيل بن أبي طالب الذي سالت دماؤه دفاعاً عن حرمة آل رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول الريشهري: «**أُمّ هانئ: تزوّجها عبد الله الأكبر بن عقيل الذي قُتل مع الحسين عليه السلام بكربلاء مع ابنه محمّد**»[٤].

٦ـ أُمّ الحسن بنت علي بن أبي طالب عليه السلام: «**ذكر البلاذري وابن حبيب وغيرهما أنّها كانت عند جعدة بن هبيرة، ثمّ تزوّجها جعفر بن عقيل بن أبي طالب عليهما السلام الذي استُشهد يوم الطف؛ ممّا يدلّ على وجودها معه**»[٥].

---

(١) أُنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٨٤.

(٢) الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١١٥.

(٣) المصدر السابق: ص١١٤ـ ١١٥.

(٤) الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ: ج١، ص٩٠.

(٥) الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١١٥ـ ١١٦. أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص١٩٣.

٧ـ رملة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام: وكانت متزوّجة من عبد الله بن أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب، وكان من شهداء الطف، ولقد اشتُهر زوجها بأشعاره الولائية لعترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، ومن أجمل ما قال:

وكـــان وليّ الله بعد محمدٍ ... عـلي وفي كلّ المواطـن صاحبـه

وصيّ رسول الله حقّاً وجاره ... وأوّل مَن صلّى ومَن لانَ جانبه[١]

٨ ـ زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب عليه السلام: أُمّها أُمّ ولد، وقد ذهب كثيرٌ من النسّابة والمؤرّخين إلى أنّها كانت متزوّجة من محمد بن عقيل بن أبي طالب، وقد ولدت زينب: القاسم، وعبد الله، وجعفر، وحميدة[٢].

ب ـ أزواج الإمام الحسين عليه السلام اللاتي خرجنَ معه

لقد كانت لزوجات الإمام الحسين عليه السلام مواقف مشرّفة في واقعة الطف، من ناحية مؤازرة الإمام عليه السلام في رحلته الطويلة، وعدم التذمّر والشكوى من سوء ما ألمّ بهنّ كسبايا على أيدي عبيد الله وزمرته، ومن بينهنّ:

١ـ ليلى بنت أبي مرّة: وهي ليلى بنت أبي مرّة بن عرق بن مسعود الثقفي، وتُكنّى بأُمّ شيبة، وهي أُمّ علي الأكبر الذي استُشهد في كربلاء[٣].

٢ـ الرباب بنت امرئ القيس: «**وقد ولدت الرباب للإمام الحسين عليه السلام: سكينة، وعبد الله الرضيع الذي استُشهد في يوم الطف**»[٤].

٣ـ أُمّ إسحاق بنت طلحة، وأولادها: عبد الله وفاطمة[٥].

---

(١) أُنظر: الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١١٦.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص١١٨.
(٣) أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٥٢.
(٤) الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص ١٢٨. أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق: ج٦٩، ص١٢٠.
(٥) أُنظر: الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١٣٠.

ج ـ بنات الإمام الحسين عليه السلام اللاتي اصطحبهنّ إلى العراق

لم تتّفق المصادر التاريخية على رأي واحد في تحديد العدد الذي ينصّ على بنات الإمام الحسين عليه السلام اللاتي اصطحبهنّ معه إلى العراق، ولكنّ أغلبها تتّفق على هذه الأسماء:

١ـ سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام: وكانت من بناته المقرّبات والمحبّبات إلى نفسه، وأثناء وداعه لها أنشد يقول:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحِمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام منّي الروح في جثماني
وإذا قُتلت فأنتِ أَوْلى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوانِ[1]

٢ـ فاطمة الكبرى[2].

٣ـ فاطمة الصغرى[3].

٤ـ رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام: «**وهي صاحبة المصيبة العظيمة التي تلازمت مع مصائب الرأس الشريف، فماتت عنده لِما ألمّ بها من المصاب في خربة الشام، حيث ضريحها الآن شامخ...**»[4].

٥ـ عاتكة بنت الحسين عليه السلام[5].

د ـ الصبيان والأطفال الرضّع الذين استُشهدوا يوم الطف وبعده

إنّ حروف العقيدة التي خطّتها دماء أطفال كربلاء ستبقى صرخة مدوّية في آذان جميع الأجيال، لتقف إجلالاً واحتراماً لهذه البراعم الندية التي ذبلت في العشق الإلهي، لتردّد يوم الحشر: «**بأيّ ذنبٍ قُتلت**»، ومن بينهم:

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ص٧٥٢.
(٢) أُنظر: الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١٣٤.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ١٣٥.
(٤) المصدر السابق: ص١٣٩.
(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص١٤٠.

١ـ القاسم بن الإمام الحسن عليه السلام: وأُمّه رملة، وتُدعى نفيلة، وقد أنشد يوم الطف قائلاً:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن ... سبط النبيّ المصطفى المؤتمن

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أُناس لا سقوا صوب المزن[1]

٢ـ عبد الله الرضيع: وأُمّه الرباب بنت امرئ القيس.

٣ـ أولاد مسلم بن عقيل: محمد وإبراهيم.

٤ـ خولة بنت الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

٥ـ المحسن السقط بن الإمام الحسين عليه السلام.

٦ـ رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام: وأُمّها أُمّ إسحاق، وكان عمرها آنذاك ثلاث سنوات[2].

هـ ـ نساء الأنصار

لم يكن معسكر الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء قد اقتصر على بنات الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وبنات الإمام الحسين عليه السلام وزوجاته، بل ضمّ كذلك بعض نساء الأنصار، وكانت لهنّ مواقف مشرّفة في يوم عاشوراء، ومن بينهنّ:

١ـ أُمّ وهب

وهي زوجة عبد الله بن عمير الكلبي من بني عليم، أخبرها زوجها بعزمه على المسير إلى الإمام الحسين عليه السلام، فقالت له: أصبت أصاب الله بك، أرشد أُمورك، افعل وأخرجني معك.

ولمّا شارك زوجها في القتال وقتل رجلين من جند عمر بن سعد، أخذت أُمّ وهب عموداً، ثمّ أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأُمّي، قاتل دون الطيبين ذرّية

(١) أُنظر: الموسوي، جبار محمد هاشم، والحسيني، أمل سهيل عبد، دماء الطفولة وأثرها في إحياء أهداف الثورة الحسينية، مجلّة دراسات إسلامية معاصرة: العدد ٨، ص٣٥٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٣٥٦ـ٣٦٢.

محمد. فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثمّ قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الإمام عليه السلام: جُزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي ـ رحمك الله ـ إلى النساء، فاجلسي معهنّ، فإنّه ليس على النساء قتال. فامتثلت لقول الإمام الكريم ورجعت إلى النسوة[1].

٢ـ أُمّ عمرو بن جنادة الأنصاري

جاء ولدها يستأذن الإمام الحسين عليه السلام للخروج إلى القتال بعد مقتل والده، فأبى الإمام عليه السلام، فجاء ردّ الإمام عليه السلام على طلبه: هذا قُتل أبوه في الحملة الأُولى، ولعلّ أُمّه تكره ذلك. قال الغلام: إنّ أُمّي أمرتني. فأذن له الإمام عليه السلام، وعندما قُتل الغلام أخذت أُمّه رأسه تمسح الدم عنه، وضربت به رجلاً قريباً فمات، وعادت بعدها إلى مخيّم النساء[2].

٣ـ أُمّ عبد الله بن عمير الكلبي

تُوفّي ولدها بعد أن قتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، وشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكر بن بجير ساقه، وأُخذ أسيراً ثمّ قُتل[3].

ومن نافلة القول التكلّم عن محور النسوة الرائدات من السبايا، ألا وهي عقيلة الطالبيين زينب عليها السلام، فقد كان خروجها مع أخيها الحسين عليه السلام «**باختيارها وبكلّ إرادتها، وقد دخلت المعركة وهي عالمة بكل ما سيؤول إليه حالها، وهي عقيلة الطالبيين، والمعوّل عليها حمل العبء المتبقّي من طريق الرسالة الحسينية، وكيفية تأديتها بأروع صور الجهاد والصبر والبطولة العقائدية التي لو لم تكن عقيدتها بتلك القوّة لما استطاعت الصمود التأريخي في كربلاء، ولما استطاعت المثول أمام جبابرة عصرها**»[4]. وقد تميّزت

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٧٦.
(٢) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٥٣.
(٣) أُنظر: الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١٤٣.
(٤) السعيدي، باسمة، صبر وشجاعة زينب عليها السلام، مدوّنات باسمة السعيدي، (٢٣/ ١٠/ ٢٠١٢م).

العقيلة بدورها الرائد في الواقعة وما بعدها؛ لأنّها كانت الكبرى من بين أخواتها، وأنّ الإمام عليه السلام أوكل إليها مهمّة حفظ العيال، وأنّها تتمتّع بمرتبة عالية من الفهم والوعي والإدراك لتحمّل الخطوب التي ستنهال عليها.

«كان أمام الإمام عليه السلام خياران بالنسبة لأُسرته: فهو إمّا أن يحمل عياله ونساءه معه، وإمّا أن يُبقي الجميع ويخرج بمفرده مع إخوته وأولاده وباقي الأنصار من بني هاشم.

فإذا كان الأمر بأن يتركهم في مكانهم ويهاجر بنفسه؛ فلا شكّ أنّ السلطات الأُموية ستحاول الاستفادة منهم كورقة ضاغطة على الإمام نفسه؛ كي يسلّم نفسه، كما فعل الأُمويون مع عمرو بن حمق الخزاعي، حيث أسروا زوجته لمّا فرّ من أيدي السلطات الأُموية الحاقدة، وأيضاً حصلت هذه الحالة مع زوجة المختار التي اعتُقلت هي الأُخرى لإرغام زوجها على الإذعان للسلطة الأُموية الحاكمة...

لكنّ الإمام عليه السلام حمل نساء آل البيت عليهم السلام وحرائرهم، وهو يعلم بما سيعانيه الجميع من مشكلات الطريق الطويل، والأوضاع الطارئة، والتشنّجات التي سيتعرّض لها الجميع لا محالة؛ لأنّ هناك تخطيطاً مستقبلياً للثورة؛ إذ لا يمكن للإمام عليه السلام أن يكون قد خطّط لأوان الثورة ـ والتي تُقدّر بسويعات محدودة في عمر الزمن ـ ويترك ما بعدها، فالمهم نتائج الثورة، وما ستفرزه من أحداث ووقائع على أرض الواقع»[1].

المبحث الثاني: سياسة الإرهاب الأُموية ضدّ أهل البيت عليهم السلام والسبايا

الإرهاب في اللغة العربية يأتي من الرهبة، وهي الخوف، والرهبة مصدر للفعل الثلاثي (رهب)، وتُعتبر كلمة الإرهاب مشتقّة من الفعل المزيد (أرهب)، ويُقال: أرهب فلاناً، أي: خوّفه وأفزعه، وهو المعنى الذي يدلّ على الفعل المضعّف (رهّب).

أما الفعل المجرّد من المادة نفسها وهو رهب يرهب رهبةً رهباناً، فيعني: خاف، فيُقال: رهب الشيء رهباً ورهبةً، أي: خافه. والرهبة: الخوف والفزع[2].

(١) الحداد، كفاح، نساء الطفوف: ص٦١ـ٦٢.

(٢) اُنظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج١، ص١٤٠.

لا يوجد مصطلح من المصطلحات أكثر استثارة للخلاف مثل مصطلح الإرهاب، حيث اختلفت فيه وجهات النظر وتباينت، متأثّرة بالمصالح الوطنية أو القومية والاعتبارات السياسية، فيُعرّف عند بعض الباحثين بأنّه:

- استخدام أو تهديد باستخدام العنف ضدّ أفراد، ويعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهديد الحرّيات الأساسية للأفراد لأغراض سياسية، يهدف التأثير على موقف أو سلوك مجموعة مستهدفة بغضّ النظر عن الضحايا المباشرين[١].
- الأعمال التي من طبيعتها أن تُثير لدى شخصٍ ما الإحساس بالخوف من خطرٍ ما بأيّ صورة[٢].
- هو الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معيّنة[٣].
- هو كلّ عمل يخالف الأخلاق الاجتماعية، ويشكّل اغتصاباً لكرامة الإنسان[٤].
- «**كلّ فعل من أفعال العنف أو التهديد ـ أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه ـ يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم، بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة...**»[٥].

---

(١) أُنظر: دعبس، محمد يسري إبراهيم، الإرهاب بين التجريم والمرض: ص١٥٣.

(٢) أُنظر: محمد هاشم آغا، رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرّف الفكري في المجتمع الفلسطيني بمحافظات غزّة، مجلة جامعة الأزهر بغزّة: المجلد١٢، العدد٢، ص٧٨٨.

(٣) القاضي، د. منصور بن علي، القانون الدولي الإنساني في مكافحة الارهاب: https://www.al-tagheer.com/art27064.html.

(٤) أُنظر: دعبس، محمد يسري إبراهيم، الإرهاب بين التجريم والمرض: ص١٥٩.

(٥) أبو عفيفة، د. طلال، أُصول علمَي الإجرام والعقاب وآخر الجهود الدولية والعربية لمكافحة الجريمة عبر الحدود الوطنية: ص٤١٨.

شكّل الإرهاب مظهراً من مظاهر العنف الذي يمارسه الإنسان داخل المجتمع، وهذه الممارسة لم تكن وليدة اليوم، فهي منحدرة في تاريخه، فقد «**ابتُليت الأُمّة الإسلامية بآفة الإرهاب، الذي عُدّ في فكر البعض من ذاتيات الدين الإسلامي، بيد أنّ الأُمّة الإسلامية هي المتضرّر من هذا النهج الغريب الذي وُلد بين ظهرانيه** [1] **نتيجة لعوامل عديدة، منها: غياب الوعي الحقيقي بالرسالة المحمدية، وعدم الانقطاع التام عن الجاهلية وعادات ما قبل الإسلام، وخاصة بعد أن جاء الإسلام بديلاً متكاملاً لإرادة الحياة في مختلف الجوانب، ومنها العلاقات الخارجية ببعض الجهات التي أرادت للإسلام أن ينتهي في جزيرة العرب كما بدأ منها، ومنها ـ وهي أهمّها ـ عزل أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم يمثّلون الامتداد الطبيعي للرسول محمد صلى الله عليه وآله، الذين يحملون روح الإسلام وجوهره**»[2].

ولعلّ حقد البيت الأُموي وبغضهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يعطينا مثلاً واضحاً لذلك، فقد عُذّب كلّ مَن يوالي أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وشُرِّدوا، ومُثّل بجثثهم، فهذا زياد بن أبيه قد تجاسرَ على الإمام الحسن عليه السلام عندما آوى أحدَ شيعته، فكتب للإمام عليه السلام: «**من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أمّا بعدُ، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان، وأنت سوقة، كتبت إليّ في فاسق لا يؤويه إلّا مثله، وشرٌّ من ذلك تولّيه أباك وإيّاك، وقد علمتُ أنّك قد آويته، إقامةً منك على سوء الرأي ورضاً منك بذلك، وأيم الله، لا تسبقني به ولو كان بين لحمك وجلدك، وإن نلت بعضك غير رفيق بك، ولا مرع عليك، فإنّ أحبّ لحم إليّ أكله للّحم الذي**

(١) هكذا جاءت الكلمة في المصدر المنقول عنه، ويبدو أنّها تعرّضت لخطأ طباعي، والصحيح فيها: ظهرانيها؛ لعود الضمير إلى الأُمّة الإسلامية.

(٢) الموسوي، شهيد طالب، مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأُموي (قراءة في الآليات والنتائج)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ١٠، ص١١٧.

أنت منه، فأسلمه بجريرته إلى مَن هو أَوْلى به منك، فإن عفوتُ عنه لم أكن شفّعتُك فيه، وإن قتلتُه لم أقتله إلّا بحبّه إيّاك»[1].

هذا فضلاً عن سعايته بحجر بن عدي وأصحابه (رضوان الله عليهم)، حيث أرسلهم مكبّلين بالحديد من الكوفة إلى معاوية، وأبقاهم في قرية يقال لها: مرج عذراء، على بُعد فرسخين من دمشق، وقتلهم؛ لأنّهم لم يتبرّأوا من أمير المؤمنين عليه السلام[2].

وإمعاناً في القتل والتعذيب، قام زياد بدفن عبد الرحمن بن حسان بن محدوج العنزي الكوفي حيّاً؛ لمحبّته لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو من التابعين ممّن قدم مع حجر ابن عدي إلى عذراء، وعندما قُتل حجر بن عدي حمل إلى معاوية وكلّمه بكلام أغلظ له فيه، فبعثه إلى زياد وأمره بمعاقبته، فدفنه حيّاً بقس الناطف، وهو موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات[3].

«وكتب زياد بن أبيه إلى معاوية في حقّ الحضرميين أنّهم على دين علي وعلى رأيه، فكتب إليه معاوية: أُقتل كلّ مَن كان على دين علي ورأيه. فقتلهم، ومثّل بهم»[4].

أمّا الدور الإرهابي لابنه عبيد الله بن زياد وأتباعه في واقعة الطف، فقد تجرّد من كلّ القيم والمشاعر الإنسانية التي تربطهم ببني جلدتهم، «**فأمسوا لا يعرفون سوى رؤية الدم وهو يصبغ الأديم، ولا تأنس آذانهم إلّا بآهات النساء الوالهات، وصراخ الأطفال الوجلين**»[5]، ومن أبرز الصور والأساليب الإرهابية البشعة التي ارتُكبت بحقّ أهل البيت عليهم السلام ثلاث صور:

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٩، ص١٩٨.
(٢) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص١٨٧.
(٣) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٤، ص٣٠١.
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٢٦.
(٥) الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١٤٨.

أوّلاً: رضُّ جسد الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده

ويصوّر لنا هذا الموقف مدى الوحشية التي وصل إليها عبيد الله؛ إذ أمر أن يُوطأ الصدر الطاهر للإمام الحسين عليه السلام وظهره ووجهه وجنبه، فأُجريت الخيل عليه، وعبيد الله يعلم أنّ الجسد ليس له أثر مادي بعد سلب الحياة منه، إلّا أنّه وبإقدامه على توجيه هكذا أمر أراد أن يحقّق عدّة أهداف:

الهدف الأوّل: أراد أن يبثّ الرعب والخوف في نفوس كلّ مَن كان حاضراً آنذاك، أو مَن يسمع بذلك، فلا يسمح لنفسه أن تحدّثه بشيء يعارض سياسة بني أُميّة، وهي من الأساليب الإعلامية للإرهاب في إظهار القسوة والوحشية؛ ليزلزل ثبات خصومه، وخاصّةً الذين ليس لهم نيّة حقيقية في المواجهة، أو المتردّدين في ذلك.

الهدف الثاني: أراد عبيد الله أن ينفّذ الأوامر الصادرة إليه من يزيد، وهذا ظاهر من قوله: «**فإن قُتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره... وليس دهري في هذا أن يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليَّ قول لو قد قتلته فعلت هذا به**»[1].

الهدف الثالث: أراد كلّ من عبيد الله ويزيد بهذا الفعل أن يُمحى أثر الجسد الشريف نهائياً، فلا يبقى له رسم بعد أن قُطع رأسه؛ خوفاً من أن يُقام له معلم، وأن يكون مناراً للثائرين على الحكم الأُموي، أو يكون رمزاً إسلامياً في بيان الحق من الباطل، وغير ذلك من الأُمور المحتملة التي تحقّقت بإرادة الله تعالى، على الرغم ممّا فعلوه بالجسد الطاهر، وها هو قبره ومرقده أصبح معلماً ورمزاً ومشهداً مقدساً، تهوي إليه قلوب المؤمنين من كلّ حدبٍ وصوب؛ لينهلوا من معينه، ويستقوا من رحيقه معاني الإيمان الحقيقي بالله تعالى، والتمسّك بدينه الحنيف[2].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣١٤.

(٢) أُنظر: الموسوي، شهيد طالب، مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأُموي (قراءة في الآليات والنتائج)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ١٠، ص١٢٩ـ١٣٠.

ثانياً: إرهاب الأطفال

«وللأطفال في واقعة الطف نصيب من القسوة والوحشية والشرور على يد المعسكر الأُموي، ابتداءً بأشدّها وحشية، وهي حادثة قتل الطفل الرضيع عبد الله بن الإمام الحسين عليه السلام»[1]؛ وهذا دليلٌ ساطع على صور الهمجية والوحشية التي اتصف بها عبيد الله وأتباعه، و«تاريخ بني أُميّة حافلٌ ببعض المظاهر الشبيهة بهذه الواقعة؛ فهذا بسر بن أرطأة الذي وجّهه معاوية ليُغِير على أهل اليمن، فوصلت وحشيته إلى حدّ قتله لأولاد عبيد الله بن العباس عندما كان عامل الإمام علي عليه السلام على اليمن، وهما طفلان صغيران، إذ ورد: وأخذ ابنين لعبيد الله بن العباس صغيرين، هما: عبد الرحمن، وقثم، وقتلهما، وكانا عند رجل من كنانة بالبادية، فلمّا أراد قتلهما قال له الكناني: لِمَ تقتل هذين ولا ذنب لهما؟! فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما. فقتله وقتلهما بعده[2]. إلّا أنّ هدف بسر حينذاك هو إلحاق الأذى النفسي بأعدائه، وهي من أساليب الإرهاب بشكلٍ عام.

إلّا أنّ الحال في واقعة الطف، وقتل الطفل الرضيع يختلف عنه في الحالات الأُخرى؛ إذ كان في حقيقته استهدافاً لوجود عترة النبي محمد صلى الله عليه وآله والقضاء عليهم، وأن لا يبقوا لهم باقية، فأرادوا من قتل الرضيع التأسيس والتأصيل لفكرة إرهابية فحواها: لزوم إبادة كلّ مَن وقف في وجه الظالمين، واعترض على تصرّفاتهم المُشينة، ولعلّ أمر الإمام الحسين عليه السلام أُخته زينب أن تحبس الإمام زين العابدين عليه السلام كان الغرض منه إبطال مخطّطهم وكيدهم الشيطاني؛ إذ ورد في مصادر واقعة الطف: فخرج علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وكان مريضاً لا يقدر أن يقلّ سيفه، وأُمّ كلثوم تنادي خلفه: يا بُني، ارجع. فقال: يا عمّتاه، ذريني أُقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال الإمام الحسين عليه السلام: يا أُمّ كلثوم، خذيه لئلّا تبقى الأرض خاليةً من نسل آل محمد صلى الله عليه وآله[3].

---

(١) المصدر السابق: ص١٣٠ـ١٣١.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٧٣٢ـ٧٣٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.

وما زاد من هول هذه الواقعة بالتحديد هو سبب خروج الحسين عليه السلام بطفله، فعلى ما في بعض الروايات أنّه خرج به ليطلب له الماء بعد أن جفّ صدر أُمّه من اللبن، بعد حصار معسكر بني أُميّة ومنعهم الماء على الحسين عليه السلام ومَن كان معه حتّى النساء والأطفال، فدعا بولده الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله، وأُمّه الرباب، فأجلسه في حجره يقبّله، ويقول: بعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى صلى الله عليه وآله خصمهم. ثمّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه[1]»[2].

وهنا تتجلّى لنا صورة من صور الإرهاب الأُموي، تتميز بـ:

١ـ افتقار عبيد الله وأتباعه لأبسط معاني الإنسانية والرحمة التي فُطر عليها الإنسان، فهم قد أنكروا على أنفسهم انتماءهم إلى النوع الإنساني، فباتوا لا يملكون من معنى الإنسانية سوى الأجساد الخالية من الرحمة والعقل[3].

٢ـ انعدام الضمير الحي، فهم يستطيعون أن يظلموا ويؤذوا ويفتروا ويخدعوا، ويمكن أن يضحّوا بأيّ شيء من أجل إيذاء الآخرين، دون أن يحسّوا بالخجل.

٣ـ إنّهم سيّئون للغاية، لا يراعون أيّ شيء، ولا يهتمّون بأيّ أحد، ويفعلون ما يريدون أن يفعلوه بأساليب عدوانية مهما كانت النتائج.

٤ـ البحث عن المثير، فلأجل أن يكتسب ابن زياد شرعية للحكم، أخذ يبحث عن الإثارة من حوله، حيث كان سبي أهل البيت عليهم السلام من أكثر الأُمور إثارةً في تلك المرحلة من التاريخ الإسلامي[4].

---

(١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص٢٧٨.

(٢) الموسوي، شهيد طالب، مظاهر الإرهاب الفكري في المعسكر الأُموي (قراءة في الآليات والنتائج)، مجلّة الإصلاح الحسيني: العدد ١٠، ص١٣٠ـ١٣٢.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص١٣٢.

(٤) أُنظر: مصطفى فهمي، علم النفس الإكلينيكي.

٥ـ الافتقاد إلى الروابط العاطفية، أي: إنّ علاقتهم بالناس الآخرين تتميّز بالضحالة، وتفتقر إلى الحبّ والإخلاص، ويتصرّفون بقسوة[١].

ثالثاً: حرق الخيام

تعدّى أُسلوب المعسكر الأُموي في واقعة الطف ومنهجهم اللاعقلاني إلى الاستهداف المباشر للأطفال والنساء والذراري، وهذه الحالة بدأت عندما أمر عمر ابن سعد بحرق الخيام بعد أن رأى أصحابه يدخلون الخيام لينهبوها، فيقتلهم أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، «**فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك، فقال: احرقوها بالنار ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوّضوه، فجاؤوا بالنار فأخذوا يحرقون، فقال حسين: دعوهم فليحرقوها، فإنّهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها. وكان ذلك كذلك**»[٢].

وكانت هذه أوّل محاولة لإلحاق الأذى بالأطفال والنساء، وعلى ما يبدو من سياق هذه الرواية أنّ الإمام عليه السلام جمع العيال في مكان واحد أو متقارب، وأفرغ باقي الخيام؛ لأنّه لم يمنع من حرق الخيام، وكانت لهم حصناً من الأعداء من جهة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ شمر بن ذي الجوشن أراد أن يحرق الخيام بنفسه لولا رفض بعضهم لهذا الفعل كحميد بن مسلم، وشبث بن ربعي... ولم يكن هذا الاعتراض والرفض للرحمة، بل لأنّه لا يليق بالشمر؛ لأنّه قائدٌ من قوّاد المعسكر الأُموي، كما يظهر من قول حميد لشمر، وإلّا فما الذي أخّر هؤلاء من أن يمنعوا الجيش من حرق الخيام بعد استشهاد الإمام عليه السلام، حيث أصبحت السيطرة بالنسبة لقادة المعسكر الأُموي أكثر ممّا كانت عليه، والحال أنّ النساء والعيال بعد استشهاد ذويهم أو فقدهم أصبحوا أكثر ضعفاً، وبأمسّ الحاجة إلى الرحمة بحالهم، وهذا ما لا نجده من هؤلاء وغيرهم،

(١) أُنظر: شقير، زينب، الشخصية السويّة والمضطربة (نظريات الشخصية والمشكلات السلوكية): ص١٨٦ـ١٨٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٣٨.

يقول الشيخ ابن نما: «**وخرج بنات سيّد الأنبياء وقرّة عين الزهراء حاسرات، مبديات للنياحة والعويل، يندبنَ على الكهول والشباب، وأُضرمت النار في الفسطاط، فخرجنَ هاربات، وهنَّ كما قال الشاعر:**

فترى اليتامى صارخين بعولةٍ ... تحثو الـتراب لفقد خيرِ إمامِ
وتقمنَ ربّات الخدور حواسراً ... يمسحنَ عرض ذوائبِ الأيتامِ
وترى النساء أراملاً وثواكلاً ... تبكينَ كلّ مهذّبٍ وهمـامِ»[1]

وفي هذا الإطار يمكن القول: إنّ عبيد الله وأتباعه أظهروا صور الرعب والقسوة لإرهاب المناوئين؛ وذلك لإخفاء هزيمتهم معنوياً، فنراهم يُقدمون على أفعال لا جدوى منها عموماً، فهم يريدون أن يُظهروا صور نصرهم وغلبتهم بأيّ شكلٍ كان؛ ليُبعدوا أنفسهم وأتباعهم عن التفكير في خسارتهم المعنوية.

المبحث الثالث: سياسة الاضطهاد الجسدي الأُمويّة ضدّ السبايا

الاضطهاد: «**هو استخدام القوّة والسلطة لتدعيم مجموعة على حساب تضعيف وتهميش مجموعة أُخرى**»[2].

وذكرت بعض المعاجم الحديثة أنّ كلمة (اضطهاد) اسمٌ، وجمعه اضطهادات، وهو مصدر اضطهد، وهو تجاوز الحدّ في السلطة ومعاملة قهرية تعسّفية[3].

لمّا قُتل الإمام عليه السلام «**أقبل القوم على سلبه، فأخذ إسحاق بن حوية قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد عمامته، وأخذ الأسود بن خالد نعليه، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي ويقال: رجل من بني تميم اسمه الأسود بن حنظلة، وجاء بجدل فرأى الخاتم في إصبعه والدماء عليه، فقطع إصبعه وأخذ الخاتم، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته... وانتهبوا ما في الخيام، وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول** صلى الله عليه وآله،

(١) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص٧٧.
(٢) https://ar.wikipedia.org/wiki.
(٣) أُنظر: http://www.almougem.com/mougem/search.

ففررنَ بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلّبات باكيات، وإنّ المرأة لتُسلب مقنعتها من رأسها، وخاتمها من إصبعها، وقرطها من أُذنها، والخلخال من رجلها، أخذ رجل قرطين لأُمّ كلثوم وخرم أُذنها، وجاء آخر إلى فاطمة ابنة الحسين فانتزع خلخالها، وهو يبكي، قالت له: ما لك؟ فقال: كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟! قالت له: دعني. قال: أخاف أن يأخذه غيري»[1].

يقول العلّامة المجلسي: «رأيت في بعض الكتب أنّ فاطمة الصغرى قالت: كنت واقفة بباب الخيمة، وأنا أنظر إلى أبي وأصحابي[2] مجزّرين كالأضاحي على الرمال، والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أُفكّر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أُميّة، أيقتلوننا أو يأسروننا؟ فإذا برجل على ظهر جواده، يسوق النساء بكعب رمحه، وهنّ يلذن بعضهن ببعض، وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة، وهنّ يصحن: وا جدّاه، وا أبتاه، وا علياه، وا قلّة ناصراه، وا حسناه، أما من مجير يجيرنا؟ أما من ذائدٍ يذود عنّا؟ قالت: فطار فؤادي، وارتعدت فرائصي، فجعلت أُجيل بطرفي يميناً وشمالاً على عمّتي أُمّ كلثوم خشية منه أن يأتيني، فبينا أنا على هذه الحالة، وإذا به قد قصدني، ففررت منهزمة، وأنا أظنّ أنّي أسلم منه، وإذا به قد تبعني، فذهلت خشية منه، وإذا بكعب الرمح بين كتفي، فسقطت على وجهي، فخرم أُذني، وأخذ قرطي ومقنعتي، وترك الدماء تسيل على خدّي، ورأسي تصهره الشمس، وولّى راجعاً إلى الخيم، وأنا مغشي عليّ، وإذا أنا بعمّتي عندي تبكي، وهي تقول: قومي نمضي، ما أعلم ما جرى على البنات وأخيك العليل...»[3].

«وبعد الزوال ارتحل [أي: عمر بن سعد] إلى الكوفة، ومعه نساء الحسين وصبيته وجواريه وعيالات الأصحاب، وكنّ عشرين امرأة، وسيّروهنّ على أقتاب الجمال بغير وطاء... وهنّ ودائع خير الأنبياء، ومعهنّ السجاد علي بن الحسين، وعمره ثلاث

(١) الحسني، نبيل، سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله: ص١٤٨ـ ١٤٩.
(٢) هكذا جاءت هذه الكلمة في البحار، ولعل الصحيح فيها هو: أصحابه.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦٠ـ٦١.

وعشرون سنة، وهو على بعير ظالع بغير وطاء، وقد أنهكته العلّة، ومعه ولده الباقر، وله سنتان وشهور... وأتاهنّ زجر بن قيس وصاح بهنّ، فلم يقمنَ، فأخذ يضربهنّ بالسوط، واجتمع عليهنّ الناس حتّى أركبوهنّ على الجمال»[1].

«وفي اليوم الحادي عشر من المحرّم قام الجيش الأُموي بمواراة جثث قتلاهم، بينما تركوا الأجساد الطاهرة للإمام الحسين وأصحابه على صعيد كربلاء، تسفي عليهم الرياح دون مواراة، وساروا بنساء الحسين وأطفاله سبايا كأسارى إلى الكوفة تتقدّمهم رؤوس الحسين وأصحابه معلّقة على رؤوس الرماح، وكان عدد السبايا عشرين امرأة عدا الصبية، وقد سيّروهنّ على الجمال بغير وطاء، وساقوهنّ بكلّ عنف وشدة، وأدخلوا السبايا إلى الكوفة في اليوم الثاني عشر وسط مظاهر الفرح والبهجة بانتصار الظالمين على أهل البيت، وبعد أن بقيت السبايا أياماً في الكوفة يعانين الإذلال والآلام سيّروهنّ إلى الشام مع رؤوس الشهداء، فكانت رحلة مضنية مرهقة لتلك النساء المفجوعات، والصبايا اليتيمات... ولقين في الشام ضروب الشماتة والإهانة، وخاصة في مجلس الطاغية يزيد بن معاوية»[2].

«لقد فضح الأُمويون أنفسهم حينما دفعهم حقدهم على أهل البيت عليهم السلام وحماقتهم إلى تسيير نساء الحسين وعيالاته سبايا بتلك الحالة الفظيعة، فموكب السبايا كان تظاهرةً إعلامية تؤجّج المشاعر وتُلهب العواطف ضدّ السلطة الظالمة، والعقيلة زينب لم تترك فرصةً ولا مناسبةً... إلّا واستثمرتها في إعلان مظلوميتهم، وتبيين عمق المأساة التي حلّت بهم، وحتّى في مجلس يزيد بن معاوية والذي قد خطّط ليكون دخول السبايا إلى مجلسه مهرجاناً يحتفل فيه بانتصاره على الحسين، فأحضر كبار قادة جيشه وزعماء الشام، وأحاط نفسه بأجواء من الهيبة المصطنعة، ولكنّ العقيلة أفسدت عليه كلّ ما صنع، وأفشلت مهرجانه الضخم، حين نظرت إلى رأس أخيها بين يدي يزيد، فانتصبت قائمةً

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٠٥ـ٣٠٩.

(٢) الصفار، حسن موسى، المرأة العظيمة.. قراءة في حياة السيّدة زينب بنت علي عليهما السلام: ص١٦٦.

وأجهشت بالبكاء... ونادَت بصوتٍ حزين يقرح القلوب: يا حسيناه! يا حبيب رسول الله، يابن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يابن بنت المصطفى. قال الراوي: فأبكت والله كلّ مَن كان في المجلس، ويزيد ساكت»[1]، «فلم تكد زينب تخرج من عند يزيد حتّى أحسّ بأنّ سروره بمقتل الإمام الحسين عليه السلام قد شابَه كَدَرٌ خفيّ»[2].

«ومع أنّ دمشق كانت عاصمة الأُمويين، وأجواءها كانت معبّأة ضدّ أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّ مأساة السبايا، وأخبار كربلاء، وخطابات الإمام زين العابدين والسيّدة زينب وأُمّ كلثوم، كلّ ذلك ترك أثراً في جمهور الشام، وخلّفا تياراً من الإنكار والرفض لسياسات يزيد بن معاوية، وخوفاً من تنامي ذلك التيار أمر يزيد بإعادة السبايا إلى المدينة المنورة... وهكذا عادت قافلة السبايا إلى المدينة، تشكو إلى رسول الله ما أصابهم من ظلم وضيم واضطهاد لا شبيه له في التاريخ»[3].

وتسير قافلة السبايا في طريق طويل يبتدئ من كربلاء إلى الكوفة، ثمّ إلى الشام، ثمّ العودة من الشام إلى كربلاء، ومن ثمّ إلى المدينة المنوّرة، في مسيرة طويلة تقدّر بشهرين.

«وقد انتهت بالسيّدة زينب عليها السلام رحلة الألم والعناء إلى المدينة المنوّرة، مسقط رأسها، وربوع صباها، ودار أهلها، بعد فراق وغياب جاوز السبعة أشهر، حيث خرجت من المدينة مع أخيها الحسين أواخر شهر رجب، وعادت بعد انتهاء شهر صفر. وفرقٌ كبير بين موكب خروجها المهيب من المدينة ـ يحيط بها إخوتها وأبناؤها وأبناء إخوتها ورجالات عشيرتها ـ وبين قافلة الأسر التي عادت ضمنها، تلوذ بها الأرملات المثكولات، والصبايا اليتيمات المفجوعات»[4].

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٥.

(٢) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، السيّدة زينب عقيلة بني هاشم: ص١٥٨.

(٣) الصفار، حسن موسى، المرأة العظيمة.. قراءة في حياة السيّدة زينب بنت علي عليها السلام: ص١٦٦ـ١٦٧.

(٤) المصدر السابق: ص١٨٦.

وأخذت زينب تؤلّب الناس ضدّ يزيد، وتحثّهم على القيام بأخذ ثأر أخيها، «فكتب والي المدينة عمرو بن سعيد الأشدق إلى يزيد يعلمه بالخبر، فكتب إليه يزيد أن فرِّق بينها وبين الناس، فأمرها الوالي بالخروج من المدينة.

لقد أشعلت السيّدة زينب الثورة، وفجّرتها في المدينة ضدّ الحكم الأُموي، فكان لها دور المحرّك للثورة التي عمّت المدينة المنورة سنة (٦٣هـ)، حيث تمرّد أهل المدينة على الحكم الأُموي، وطردوا واليه وجميع بني أُميّة، وبايعوا عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، فبعث يزيد إلى المدينة جيشاً ضخماً يبلغ (١٢ألفاً) بقيادة مسلم بن عقبة، فقضى على التمرّد، وسيطر على المدينة، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً لجيشه، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال، ودعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد... على أنّهم خول ـ أي: عبيد ـ له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم مَن شاء، فمَن امتنع من ذلك قتله»[1].

إنّ السبايا «كنّ قد عشنَ كلّ مظاهر القسوة والعنف التي مُورست ضدّ أهل البيت عليهم السلام، فقد رأينَ الأحبّة صرعى، مجزّرين على أرض المعركة، شاهدوا عطش الأطفال، ذبح الرضيع، وحصار القوم، وقتل الأنصار، ومقتل علي الأكبر والعباس بشكلٍ مأساوي مؤلم للغاية، إضافةً إلى قطع الرؤوس، وتعليقها على الرماح أمام موكب السبايا طوال المسيرة الطويلة...»[2]، بينما كان عبيد الله وزمرته يُظهرون كلّ مظاهر البهجة والسرور بلا خجل.

«ولم يكن السفر من الكوفة إلى الشام بالسهل اليسير، فقد عرف الطريق الوعورة والمصاعب، ولم يكد السائر فيه يبلغ الشام حتّى يقطع من عمره أكثر من شهر على الإبل الصابرة المجدّة، ولكنّ ابن زياد أراد أن يكون الطريق أقلّ بكثير من هذه المدّة؛ ليضرب عصفورين بحجر واحد:

(١) المصدر السابق: ص١٨٦ـ١٨٧.
(٢) الحداد، كفاح، نساء الطفوف: ص١٦٥.

أولاً: الإمعان في إجهاد السبايا وإذلالهم.

وثانياً: تفادياً لكلّ الاحتمالات التي تنشأ من تنقّل الموكب حسب طبيعته في القرى والمدن التي يمرّ بها، وخشية ردود الفعل فيها»[1].

لقد كانت رحلةً طويلة قاسية صعبة، محزنة ومفجعة وثقيلة بكلّ ما فيها من ضغوطات نفسية وبدنية، «**لقد كانت مسيرة الطريق شهراً للإبل ذوات الصبر والقوّة، ولكن الحداة الغلاظ أرهقوا قدرتها، وأوجعوا صبرها، فقطعت الإبل في عشرة أيّام أو دونها ما كان عليها أن تقطعه في شهر أو أكثر، وكأنّما سالت أمام الإبل عثرات الطريق، لتحطّ عن قريب بعض أوزار القوم، ولولا أنّها كانت تحمل عفافاً وطهراً ليس مثله في الأرض عفاف وطهر لألقت بأحمالها حين كانت تفزعها أصوات الحداة، وكأنّها أحسّت بما تحمل، وحنّت لرنّة الحزن من فوقها، فسارت وأسرعت، كأنّها لم تسمع من قبل برنّة حزن كما سمعت في هذا البكاء»**[2].

«**وسِير بالسبايا في اعتساف وإرهاق ليل نهار، وسِير بهنّ من خلف الرؤوس كما كان يُسار بالسبايا من الحروب، وكان سير شمر بن ذي الجوشن أميراً لهذا الركب سبباً في أن يصوم أهل البيت عن الكلام... وكان أذا حدّث أحدٌ نفسه بالكلام، أو علا صوته بالبكاء قرعه الفرسان بالرماح... وطالما مال الركب عن الطريق التي تسلكها الإبل، وخاصّةً البرية والرمال؛ خوفاً من غضب الناس إذا علموا فثاروا، فإذا خرج ابن ذي الجوشن من بلد وقرية ليلاً أصبح يتفقّد أثواب الركب؛ فلعلّ أهل البلد جاؤوا بشيء زائد فيأخذه منهم»**[3].

النساء الثكالى المرهقات كان من الممكن أن يُصَبنَ بانهيار، أو يتملكهنّ خوف

(١) المصدر السابق: ص١٦٥ـ١٦٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٦٦.

(٣) المصدر السابق. نقلاً عن: بحر العلوم، محمد، في رحاب السيّدة زينب: ج٣، ص١٧٤.

ورعب، لكنّ الأمر كان عكس ذلك تماماً، فقد أبدين قدرة عظيمة في أداء الدور الإعلامي بشكل أدهش السابقين، وسيدهش اللاحقين، وذلك يعود إلى التمسّك بالمبادئ، والثبات على الدين، والإيمان العظيم بالقضاء والقدر، والقدرة على تحمل الشدائد والصعاب، والثقة بالقضية.

لقد تعرّضت نساء الطفوف لأقسى أشكال العنف والاضطهاد، واتخذ هذا العنف صوراً عديدة من بينها:

- الشتم والسب والضرب.
- حمل رؤوس الشهداء على الرماح أمام السبايا.
- قتل الأهل والأحبّة والتمثيل بهم.
- مطاردة الأنصار والتنكيل بهم.
- قتل الصغار والرضّع.
- قطع الماء.
- حرق الخيام.
- كشف الوجوه.
- الانهيار النفسي بسبب إعلان الفرح والزينة في الكوفة والشام.
- مرافقة الأعداء القتلة للعترة الشريفة الطاهرة[1].

ومن أهمّ الآليات التي اتبعتها السبايا في مواجهة الضغوطات النفسية والاجتماعية، هي:

أوّلاً: المسؤولية والصبر والقوّة التي تمتّعت بها السيّدة زينب عليها السلام في ذودها عن الإمام السجاد عليه السلام وعن العيال في مرحلة المسير من كربلاء إلى الشام، والتصدّي ليزيد من خلال خطبتها المعروفة في مجلسه.

(١) أُنظر: الحدّاد، كفاح، نساء الطفوف: ص١٨٠.

ثانياً: التصدّي للمشاكل التي واجهت النساء، كما حصل مع سهل الذي دنا من سكينة بنت الحسين، وقال: ألكِ حاجة؟ فأمرته أن يدفع المال لحامل الرؤوس ليجعل الرؤوس أمام النساء؛ كي ينشغل الناس بالنظر إلى الرؤوس عن النظر إلى أُسارى آل محمد، ففعل ذلك.

ثالثاً: الإسناد الجماعي الذي قدّمته السيّدة زينب عليها السلام إلى باقي النساء، وإلى الإمام السجاد عليه السلام؛ حيث كانت تداري الكلّ، وتُخفّف عنهم المعاناة، فقد حرصت على رعاية أُسر الشهداء والثكالى ومتابعة شؤونهم[1].

المبحث الرابع: الدور الرسالي للسبايا في حرب الطف

«المعروف أنّ دور الرجل يتوزّع على مسؤوليات عديدة مختلفة في الحياة، ودور المرأة لا ينقص عن دائرة الرجل في تعدّد المسؤوليات الشرعية والإنسانية والاقتصادية في الحدود التي يُجيزها الشرع والعقل والعلم، ولكن هناك دور تُفضّل فيه المرأة على الرجل، وهو أخطر شيء في حياة المجتمع الإسلامي، ألا وهو تنشئة الجيل وفق الرؤى الإسلامية، وإعداده إعداداً مؤهّلاً كي يديم الحياة، ويُساهم في تطويره نحو الأحسن؛ لذلك أكّد رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله على حُسن التبعّل، قال: اختاروا لنطفكم؛ فإنّ العرق دسّاس... وكانت نساء الطف اللاتي شاركن الحسين بثورته من أرفع النساء وأشرفهن تاريخاً»[2]، فانتصرت المرأة مرّتين:

المرّة الأُولى: انتصرت للحق؛ لأنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام كان موقف الحقّ ضدّ الباطل.

المرّة الثانية: انتصرت للإنسانية؛ لأنّ رسالة الإمام عليه السلام كانت من أجل الإنسانية.

---

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٨١ـ١٨٢.

(٢) الأسدي، مروة، النساء في واقعة الطف (مواقف مبدئية قهرت الظلم والطغاة)، شبكة النبأ المعلوماتية: https://annabaa.org/arabic/ashuraa/12635

وشاركت المرأة في الثورة «**وقد جاوزت في ذلك طبيعتها المعتادة ـ في الحرص على سلامة أبنائها وأزواجها، وتمنّي دفع الغوائل عنهم ـ إلى الحالة الأسمى في التضحية، بدفع الأبناء والأزواج معاً إلى سوح الوغى، وحثّهم على الصمود والبسالة فيها، وتقبّل استشهادهم فيها بالرضا والاطمئنان**»[1].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّه يمكننا أن نستبين من خلال مسيرة السبايا من الكوفة إلى الشام أنّ النساء جاهدنَ في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس، فإنّهنّ لم يحملن السلاح، ولكن حملن حبّ الإمام عليه السلام، وروح الخلاص من الطغاة، بقلوبهنّ الطاهرة الشريفة، ويتّضح لنا ذلك في خمسة مشاهد، هي:

أوّلاً: مشهد الصبر والاحتساب.

ثانياً: مشهد القيادة.

ثالثاً: مشهد النصرة والفداء.

رابعاً: مشهد التحدّي.

خامساً: مشهد الجرأة والشجاعة.

كان نصيب المرأة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام وافراً، ومسؤوليتها كبرى، وجهادها عظيماً ومتشعّباً؛ حيث أدّت أدواراً مختلفة في مراحل متعدّدة، سبق بعضها أحداث الثورة، وكان بعضها الآخر في خضمّ الثورة وتفاصيل وقائعها، وامتدّ دور المرأة إلى زمن ما بعد الثورة، بعد أن أدّى الرجال رسالتهم، فصُرعوا إلى جانب الإمام عليه السلام في أرض كربلاء.

وقد ابتدأت زينب عليها السلام مواقفها البطولية بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام، وهي تُلقي درساً بليغاً؛ لتُعلّم الجميع أهداف الإمام عليه السلام ونهضته وعظمة شهادته، حينما وضعت

(١) السماك، زينب شاكر، الرباب الأُمّ الحسينية (نموذج التضحية والإيثار)، شبكة النبأ المعلوماتية: https://annabaa.org/arabic/ashuraa/12636.

يديها تحت الجثمان الطاهر قائلة: «**إلهي تقبّل منّا هذا القربان**»[1]. فالقربان هو التقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، وهي عليها السلام بكلمتها هذه تقصد أنه لا يوجد شيء في الدنيا ومتاعها يقرّبها إلى الله سبحانه وتعالى غير هذا القربان المقدّس عندها وعند ربّها.

وهذا خير دليل على قوّة صبرها وشجاعتها، فهي بهذه الحالة لم تنسَ تكليفها الشرعي، رغم عظم الموقف، وحرق الخيام أمامها، وسبي العيال، وهذا هو إخلاص الإيمان وجوهره؛ إذ إنّ من الضروري الاهتمام بالإخلاص في قضايا الإمام عليه السلام، وهذا دليل تحلّيها بالتقوى الإلهية، وقربها من خالقها؛ فإنّ الله (سبحانه وتعالى) يتقبّل عمل المتّقين، كما قال (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ولا يغيب عن بالنا موقف جدّها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، فقد قدّم قربانه العظيم، ابنه إسماعيل عليه السلام، عندما قال له: إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3].

وهذا القربان كان له الأثر في موقف السيّدة زينب عليها السلام في يوم عاشوراء، فكيف تنسى زينب موقفاً أعظم من ذلك؛ إذ إنّ عمل إبراهيم عليه السلام كان منبثقاً من الإخلاص، وإذا لم يكن كذلك لم يكن له أجر[4].

الخاتمة والاستنتاجات

إنّ واقعة الطف كانت بحاجة إلى وجود العنصر النسوي كي تنجح الثورة، وبحاجة إلى حضور نسائي متميّز لا يجزي عنه الرجل أبداً، ولقد انبثقت رغبة الإمام

(١) البحراني، عبد الله بن نوح، عوالم العلوم: ج١١، ص٩٥٨.
(٢) المائدة: آية٢٧.
(٣) الصافات: آية١٠٢.
(٤) أُنظر: زينب رمز البطولة والصبر، مجلّة رفقاً بالقوارير: العدد١٣، ص٨ ـ ٩.

الحسين عليه السلام في اصطحاب النساء عن تخطيط مستقبلي للثورة فيما يمكن أن تؤدّيه النساء من أدوار تدور ضمن مصلحة الإسلام الكبرى، والإيمان بمبادئ الإمام عليه السلام في الإصلاح والتغيير.

ولقد نجحت المرأة متمثّلة بشخصية السيّدة زينب عليها السلام ومَن معها في التبليغ والإعلام الموجّه، «**فهؤلاء النساء قدّمن الغالي والنفيس، بل ضحين بالولد والأخ والزوج لنصرة الثورة، في زمن تقاعس فيه الأشاوس من الرجال عن نصرة الإمام الذي كانوا يسمعون استغاثته، وبهذا تحوّلت الأدوار التقليدية التي تضجر منها المرأة المعاصرة إلى أدوار رسالية ومحطّات انطلاق لرسم هوية ثائرة للمرأة المسلمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[1].

أمّا أهمّ الاستنتاجات التي توصّل إليها البحث، فهي:

١ـ «**أدّت المرأة في المجتمع الإسلامي دوراً رائعاً بفضل إيمانها بالعقيدة الإلهية التي صاغت منها وجوداً طاهراً وفاعلاً، فإنّ نموذج المرأة التي اشتركت في واقعة الطف كانت قد بلغت القمة في ذلك الدور، وتألّقت في آفاق الإنسانية لتخلد بخلود الموقف، وأصبحت بعد هذه الملحمة البطولية المثل النسوي الذي جسّد المبادئ الإسلامية**»[2].

٢ـ انبعثت الروح الجهادية في الأُمّة الإسلامية، وقد تمثّلت في ثورة أهل المدينة، وثورة ابن الزبير، وثورة التوابين، وثورة المختار.

٣ـ إنّ صمود سبايا الطف وصبرهنّ كان صرخة بوجه الطغاة والعتاة الأُمويين، حيث تمكّنت من تحقيق مبادئ الإمام الحسين عليه السلام في الإصلاح والتغيير.

٤ـ تركت لنا سيرة السبايا ومواقف السيّدة زينب عليها السلام إرثاً علمياً وفكرياً وتبليغياً

(١) الحداد، كفاح، لماذا حمل الإمام الحسين عليه السلام نساءه وعياله إلى كربلاء؟ (مقال منشور على موقع مكتبة العتبة الحسينية المقدسة): http://imamhussain-lib.blogspot.com/2013/09/119.html.

(٢) الأسدي، مروة، النساء في واقعة الطف (مواقف مبدئية قهرت الظلم والطغاة)، شبكة النبأ المعلوماتية: https://annabaa.org/arabic/ashuraa/12635.

ثقيلاً، يصلح أن يكون مرجعاً يستفاد منه لبناء المجتمع العالمي، مثلما كانت مرجعية الإمام الثورية للمسلمين وغير المسلمين.

التوصيات

خرج البحث بعدّة توصيات، من أهمّها:

- ارتبطت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بمبادئ العدل والحقّ والقيم المثلى؛ وهذا ما يجب أن يدفعنا إلى التلاحم والتكاتف، والتعامل مع التحدّيات الداخلية والخارجية التي تعصف بالعالم الإسلامي من منظور أخلاق الإمام عليه السلام، وبميزان العدل الإلهي؛ للتصدّي لقوى الشر والإرهاب.
- الاستفادة من المنابر الحسينية للوعظ والإرشاد؛ للسير على خطّ العقيلة عليها السلام في إبراز صورة الإسلام المشرقة، وجوهره الذي دعا إليه أهل البيت الأطهار عليهم السلام من خلال سيرتهم العطرة، والاستفادة منها أيضاً في مقام مواجهة الإرهاب كما واجهه أئمّتنا العظام عليهم السلام بنفس العزيمة والثبات، مهما كان شكله وعنوانه.
- أن نتّخذ من تضحيات السبايا في واقعة الطف اللبنات الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي الأصيل، ذلك المجتمع الصالح الذي طالما نادى به أهل البيت عليهم السلام؛ لتعيش الأجيال القادمة آمنة مطمئنّة من جبابرة العصر والطغيان.
- التصدّي لكلّ الانحرافات الفكرية والدينية التي تنادي بها بعض الجماعات المتأسلمة، وذلك من خلال:

١ـ التركيز على تطوير المناهج الدراسية.

٢ـ زرع ثقافة الحوار بين الطلبة.

٣ـ قبول الرأي الآخر.

٤ـ الإيمان بالوسطية ونبذ التعصّب.

٥ـ الابتعاد عن كلّ أشكال العنف بما فيه العنف اللفظي.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أولاً: المصادر العربية والمترجمة

١ ـ إبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد بن طاهر السماوي (ت١٣٧٠هـ)، دار سلوني ومؤسّسة البلاغة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.

٢ ـ الإرهاب بين التجريم والمرض، محمد يسري إبراهيم دعبس، مصر، ١٩٩٤م.

٣ ـ أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين (ت١٣٧١هـ)، دار التعارف للمطبوعات والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

٤ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، بيروت، ١٩٧٧م.

٥ ـ أنصار الحسين عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين (ت١٤٢١هـ)، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٥م.

٦ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

٧ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، بيروت،١٩٦٧م.

٨ ـ تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

٩ ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام، باقر شريف القرشي (ت١٤٣٣هـ)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٠ ـ سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله (دراسة في تاريخ سبي النساء وعلّة إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء)، السيّد نبيل الحسني، كربلاء، ٢٠١١م.

١١ ـ السيّدة زينب عقيلة بني هاشم رضي الله عنها، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (ت١٤١٩هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٢ ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، ٢٠٠١م.

١٣ ـ الشخصية السويّة والمضطربة، زينب شقير، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٤ ـ علم النفس الإكلينيكي، مصطفى فهمي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٥ ـ عوالم العلوم، عبد الله بن نوح البحراني، تحقيق: مؤسّسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، عطر عترت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٢هـ.

١٦ ـ في رحاب السيّدة زينب (السيرة والتاريخ)، السيّد محمد بحر العلوم، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٧ ـ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم (ابن الأثير) (ت٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

١٨ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٤هـ.

١٩ ـ مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن نما الحلّي (ت٦٨٠هـ)، دار العلوم للنشر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٢٠ ـ المجدي في أنساب الطالبيين، علي بن محمد العلوي العمري (من أعلام القرن الخامس الهجري)، تحقيق: أحمد المهدوي، قم المقدّسة،١٤٢٢هـ.

٢١ ـ مختار الصحاح، محمد عبد القادر بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ.

٢٢ ـ المرأة العظيمة (قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي عليها السلام)، الشيخ حسن الصفار، مؤسّسة الانتشار العربي، ٢٠٠٠م.

٢٣ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، بيروت، ١٩٦٥م.

٢٤ ـ مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبدالرزاق المقرّم (ت١٣٩١هـ)، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٢٥ ـ مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، مركز الأبحاث العقائدية، قم المقدّسة، ١٤٢١هـ.

٢٦ ـ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنّة والتاريخ، محمد الريشهري، مركز بحوث دار الحديث، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

٢٧ ـ الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأُولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٨ ـ موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٩ ـ نساء الطفوف، كفاح الحداد، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

٣٠ ـ النهاية في غريب الحديث، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م.

ثانياً: الصحف والمجلّات

٣١ ـ أبو عفيفة، د. طلال، أُصول علمي الإجرام والعقاب وآخر الجهود الدولية والعربية لمكافحة الجريمة عبر الحدود الوطنية، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، الطبعة الأُولى، ٢٠١٣م.

٣٢ ـ إدارة الأزمة في فكر السيّدة زينب عليها السلام، علي عبد الحسين الفضل، مجلّة مركز دراسات الكوفة، العدد٢١، ٢٠١١م.

٣٣ ـ ادرسوا زينب في حجم قضية المرأة، محمد حسين فضل الله، مجلّة فكر وثقافة، العدد٢٦٧، ٢٠٠٢م.

٣٤ ـ دور التربيـة والتعليـم في تحصـين عقـول الناشـئة من التطـرّف والإرهـاب، نسرين حمزة السـلطاني، مجلّة كلية التربية الأساسـية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد٢٣، تشرين الأوّل، ٢٠١٥م.

٣٥ ـ رؤية تربوية للخروج من أزمة التطرّف الفكري في المجتمع الفلسـطيني بمحافظات غزّة، محمد هاشم آغا، مجلّة جامعة الأزهر بغزّة، المجلد١٢، العدد٢، ٢٠١٠م.

٣٦ ـ مجلة رفقاً بالقوارير، الوحدة النسـوية في قسـم الشـؤون الفكريـة والثقافية في العتبة الحسينية المقدّسة، العدد:١٣، آذار، ٢٠١٤م، والعدد:٢٠ ، تشرين الثاني، ٢٠١٤م.

٣٧ ـ مظاهـر الإرهاب الفكري في المعسـكر الأُموي (قراءة في الآليات والنتائج)، شـهيد طالب الموسوي، مجلّة الإصلاح الحسيني، السنة الثالثة، العدد:١٠، ٢٠١٥م.

٣٨ ـ الموسـوي، جبار محمد هاشـم، والحسيني، أمل سـهيل عبد، دماء الطفولة وأثرها في إحيـاء أهـداف الثورة الحسـينية، مجلة دراسـات إسـلامية معاصرة، العدد: ٨، السـنة الرابعة، ٢٠١٣م.

ثالثاً: شبكة المعلومات الدولية الإنترنت

٣٩ ـ السـماك، زينب شاكر، الرباب الأُمّ الحسينية (نموذج التضحية والإيثار)، شبكة النبأ المعلوماتية: *https://annabaa.org/arabic/ashuraa/12636*.

٤٠ ـ صـبر وشـجاعة زينـب عليها السلام، باسـمة السـعيدي، مدوّنـات باسـمة السـعيدي، ٢٣/ ١٠/ ٢٠١٢م.

٤١ ـ القانـون الدولي الإنسـاني في مكافحة الارهـاب، د. منصور بن عـلي القاضي، موقع التغيير الإخباري: *https://www.al-tagheer.com/art27064.html*.

٤٢ ـ المـرأة ودورهـا في حـرب الطفـوف، صحيفـة الصبـاح الجديـد، ١٢/ كانـون الأوّل/ ٢٠١٤م.

بين مدرسة علي ونهضة الحسين عليهما السلام
تتألّق المرأة شجاعة وإباء

أ. م. د. كفاية طارش*

مقدّمة

سُئِل الإمام الحسين عليه السلام عن سبب تسمية كلّ أولاده بعلي، فقال: لأنّي أُحبّه، وكذا الحال بالنسبة لإمامنا السجّاد عليه السلام[1]، وكيف لا وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وآله قسيم الجنّة والنار[2]، ومقياس إيمان الفرد أو نفاقه؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «**يا علي، لا يُحبّك إلّا مؤمن، ولا يُبغضك إلّا منافق**»[3].

واعترض عبد الله بن أحمد بن حنبل على الرافضة أيام العبّاسيين، لمّا سمعهم يردّدون حديث النبي صلى الله عليه وآله: «**يا علي، أنت قسيم الجنّة والنار**»، فجاء إلى أبيه مندهشاً، فردّ عليه والده إمام الحنابلة: «**وما الذي أنكرته من حديثهم؟! أليس تعرف أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي، لا يُحبّك إلّا مؤمن، ولا يُبغضك إلّا منافق؟!. قال: بلى. فأجابه: فالمؤمن إلى أين؟ فقال: إلى الجنّة. فقال أحمد بن حنبل: والمنافق إلى أين؟ قال: إلى النار. فقال: إذاً؛ عليٌّ قسيم الجنّة والنار**»[4]، فعجباً لدواعش اليوم لإنكارهم حتّى أقوال أئمّتهم.

فلا عجب إذاً، إذا ذاب المؤمنون ـ لا سيّما أصحاب علي عليه السلام ـ عشقاً وحبّاً بشخصيته، وضحّوا بأنفسهم من أجله، إيماناً منهم بأنّه عليه السلام خيرة الله من خلقه، وأنّه

---

* كلّية التربية للبنات/ جامعة البصرة/ العراق.

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام: ص٩٦.

(٢) أُنظر: ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة: ج١، ص٣٢٠.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢، ص٢٨٠ـ ٢٨٥.

(٤) ابن أبي يعلى، محمد، طبقات الحنابلة: ج١، ص٣٢٠.

صفيّ النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيه، وقد ذكرت كتب التاريخ الكثير من الشخصيات الذين قُتِلوا واستُشهدوا من أجل مبادئ مدرسة علي عليه السلام.

والذي يستوقفنا في هذا البحث، هو وجود نساء لا تقلّ شجاعتهن عن شجاعة إخوانهنّ الرجال في أحياء المبادئ العلوية الحسينية، فهي مدرسة واحدة، وما مبادئ الحسين عليه السلام إلّا امتداد لمدرسة علي عليه السلام؛ لهذا آثرنا ذكر شواهد من تاريخ نساء تشرّبت مبادئ علي عليه السلام في عروقهنّ، فدافعن عنها بجوارحهنّ، بل قُتلن في سبيلها، كما هو الحال في نساء الطفّ وما بعده؛ لنؤكّد امتداد ذلك النضال ضدّ مبادئ الشرّ، منذ زمن معاوية بن أبي سفيان وحتّى زمن ولده يزيد (لعنه الله).

نساء من مدرسة علي عليه السلام

آمنة بنت الشريد زوجة عمرو بن الحمق الخزاعي

تُعدّ آمنة بنت الشريد واحدة من أشجع النساء، فما كانت تقلّ شجاعة وإباءً عن زوجها عمرو بن الحمق الخزاعي، ذلك الرجل الذي قتله معاوية، وكان رأسه أوّل رأس يُحمل ويُطاف به البلدان، فاختارت أن تُكمل مسيرته بالحجّة البالغة التي أفحمت معاوية، فنفاها عن الشام ولم يقتلها؛ لأنّ المشيئة الإلهية تتدخل فتحول دون تنفيذ الطغاة ما يعزمون عليه، كما هو الحال مع التابعي الجليل ميثم التمّار وغيره.

وكانت (آمنة) امرأة فصيحة من أهل الكوفة، سجنها معاوية بعد أن جدّ في طلب زوجها، ومكثت محبوسة حتّى قُتِل زوجها وقُطِع رأسه، وجيء به إليها وهي في السجن، وأُلقي في حجرها؛ رغبة من معاوية في ترويعها، فأطالت النظر إليه، ثمّ وضعت يدها على رأسها، وقالت: «**وا حزنا! لصغره في دار هوان... نفيتموه عنّي طويلاً، واهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمَن كنت له غير قالية، وأنا له اليوم غير ناسية، ارجع به أيّها الرسول إلى معاوية، فقل له ولا تطوه دونه: أيتم الله ولدك، وأوحش منك أهلك، ولا غفر لك ذنبك. فرجع الرسول إلى معاوية فأخبره بما قالت، فأرسل إليها، فأتته... فقال لها معاوية: أأنتِ يا عدوّة الله، صاحبة الكلام الذي بلغني؟ قالت:**

نعم، غير نازعة عنه، ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري، لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد، وأنّ الحقّ لَـمِن وراء العباد، وما بلغت شيئاً من جزائك، وأنّ الله بالنقمة من ورائك. فأعرض عنها معاوية... ثمّ قال: لله درّك، اُخرجي ثمّ لا أسمع بك في شيء من الشّام »[1].

إنّ إعراض معاوية عن قتلها ليس رأفةً بها، ولكنّه كان داهية، فعرف أنّ قتلها يؤلِّب عليه الرأي العام، سيّما رجالات الشام والعراق، فيبدو لهم أنّه عديم المروءة لقتله امرأه، فآثر الحلّ الثاني وهو نفيها عن الشام، لكنّنا نرى أنّ ذلك لم يكن عنه شخصياً، وإنّما العناية الإلهية هي التي جعلته يتصرّف هكذا، فعُمي عن التعرّض لعدّة من أصحاب علي عليه السلام.

الزرقاء بنت عدي الهمدانية

كانت الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية لا تقلّ عن سابقتها منطقاً وبلاغة وفصاحة وشجاعة، بل اشتُهرت بين نساء عصرها ببلاغة منطقها، ومواقفها الجريئة ضدّ حكّام بني أُميّة، لا سيّما معاوية بن أبي سفيان، وولائها لخليفتها الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فشهدت معه معاركه الثلاث ضدّ معاوية، فما كان من الأخير بعد استلامه الحكم إلّا أن يُرسل إلى والي الكوفة رسالة يأمره فيها أن يحمل الزرقاء إليه مع مَن كان يطلب من وجوه الشيعة رجالاً ونساء، فلمّا أُدخلت عليه قال لها: «**هل تعلمين لِـمَ بعثت إليك؟ قالت: سبحان الله، أنّى لي بعلم ما لم أعلم، وهل يعلم ما في القلوب إلّا الله. قال: بعثت إليك أن أسألك: ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفّين بين الصفّين، توقدين الحرب، وتحضّين على القتال... قالت: يا أمير المؤمنين، إنّه قد مات الرأس، وبتر الذنب، والدهر ذو غير، ومَن تفكّر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر**»[2].

---

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٥٩ـ٦٠.

(٢) المصدر السابق: ص٣٣. وأُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٣، ص٨٦. ابن عساكر، علي ابن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١٦٥ـ١٦٦.

ثمّ طلبوا منها أن تُعيد أقوالها في التحريض على قتالهم فرفضت، فما كان من أحد الحاضرين إلّا أن تلاه على أهل الشام، ليتملّكهم الغضب والغيض عليها، فقال لها معاوية: «**والله، يا زرقاء، لقد شركت علياً في كلّ دم سفكه. فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين... فقال معاوية: والله، لَوفاؤكم له بعد موته أحبّ من حُبّكم له في حياته**»[1]. ثمّ أمر أن تُرجع للكوفة.

أُمّ الخير بنت الحريش

أُمّ الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية، وهي شخصية تشرّبت بمبادئ مدرسة علي عليه السلام الحقّة، في الدين والزهد والحقّ والصلاح والبلاغة، وتُعدّ إحدى سيّدات المجتمع الكوفي في عهد علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن ذوات الذكاء والبلاغة والفصاحة؛ لهذا كان معاوية يخشاهنّ كخشيته من رجال علي عليه السلام المخلصين والموالين، فقد كنّ أصواتاً إعلامية لمدرسته، وإذاعاتٍ ناطقة بمبادئه السامية، سواء في حياته أم بعد استشهاده عليه السلام، فلمّا استُشهد أمير المؤمنين عليه السلام طلبها معاوية كما طلب غيرها، وأرسل إلى والي الكوفة أن يبعث بها إليه[2].

ثمّ طلب منها معاوية أن تُعيد عليه ما قالته من مديح بحقّ الإمام علي عليه السلام، فرفضت، فطلب من الحاضرين ممّن كان يحفظ أقوالها أن يُسمعه ذلك، فقام أحد أصحابه، فقال له: «**أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد**»[3].

---

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٣٤. وأُنظر: ابن حمدون، محمد بن الحسن، التذكرة الحمدونية: ج٥، ص١٨٥. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ج١، ص٢٩٩. الدمشقي، محمد بن أحمد، جواهر المطالب: ج٢، ص٢٣٣. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة: ج١، ص٣٧٣.

(٢) أُنظر: ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٣٦. الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٣، ص٤٧٦.

(٣) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٣٧.

كان حديثها إشارة إلى فضائل عليعليه السلام وذمّ معاوية، ومنها ما كانت تُحمِّس به الجيش بقولها: «**هلمّوا ـ رحمكم الله ـ إلى الإمام العادل، والوصي الوفي، والصدّيق الأكبر، إنّها إحنٌ بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أُحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة؛ ليدرك بها ثارات بني عبد شمس**»[1].

وبما أنّها من مدرسة عليعليه السلام فلا بدّ أن يكون منطقها منطق القرآن؛ لذلك عضدت خطبتها بقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[2]. فقال معاوية: «**والله، يا أُمّ الخير، ما أردتِ بهذا القوال إلّا قتلي، والله، لو قتلتك ما حرجت في ذلك. قالت: والله، ما يسؤني يابن هند أن يجري الله ذلك على يدَي مَن يُسعدني الله بشقائه**»[3]. وبعد أن شتمها وعنّفها أُعيدت إلى الكوفة.

سودة بنت عمارة الهمدانية اليمنية

وهي امرأة شاعرة، شهدت معركة صفّين مع أمير المؤمنين عليعليه السلام، ومن ذوات الفصاحة والبيان، ورثت حبّ عليعليه السلام من آبائها، ووفدت على معاوية بعد استشهاد الإمام عليعليه السلام لتشتكي جور رجاله وعمّاله بسلب الأموال وقتل الرجال، فذكّرها بتحريضها عليه في صفّين، فسألها: «**ألستِ القائلة يوم صفّين:**

شمّر كفعل أبيك يابن عمارة	**يـوم الطعـان وملتقـى الأقـران**
وانصـر عليّاً والحسين ورهطه	**واقصـد لهنـد وابنهـا بهـوان**
إنّ الإمـام أخـو النبي محمد	**علم الهـدى ومـنـارة الإيـمان**
فَقِهِ الحتوف وسر أمام لوائه	**قدماً بأبيض صـارم وسنان**

(١) المصدر السابق: ص٣٨. وأُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٧٠، ص٢٣٣.

(٢) التوبة: آية١٢.

(٣) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٣٩. وأُنظر: النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب: ج٧، ص٢٤١.

قالت: إي والله، ما مثلي مَن رغب عن الحقّ أو اعتذر بالكذب»[1]. فللّه درّها، وهي تربط الحسين بعلي عليهما السلام، وتُذكّر الجيشين بذلك، ولله درّها وهي تواجه الباغي، فلا تأخذها في قول الحقّ لومة لائم.

هكذا هنّ نساء مدرسة علي عليه السلام، جُبِلن على قول الحقّ والتصدّي للطغاة والظالمين، وتربّين على مبادئه. فالمبادئ التي ضحّى لأجلها علي وولده الحسين بل جميع أولاده المعصومين عليهم السلام، لم تكن يوماً شعارات صدحت بها حناجرهم الطاهرة دون فعل وتمثيل على أرض الواقع، وهل بعد تضحية الحسين عليه السلام تضحية؟!

نساء من مدرسة الحسين عليه السلام

وقد خرّجت هذه المدرسة نساءً بنفس المنطق والجرأة والشجاعة، ولكن بعد مرور عشرين عاماً، في عصرٍ خلا من علي والحسن عليهما السلام، وصار الحسين عليه السلام يقود أُمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، مدافعاً عن دين الله، ضدّ طاغٍ خلّفه معاوية، ألا وهو يزيد الفاجر، في زمن بيعت فيه الضمائر، واشتُرِيت الذمم والدين، فانبرى للتصدّي لذلك مع الحسين عليه السلام ثلّة طاهرة راضية بقضاء الله، مرضية منه دنيا وآخرة، وكان من بين تلك الثلّة نساء ما جادت الدهور بمثلهنّ، بعضهنّ برزن يوم الطفوف، وأُخريات بعد ذلك.

مواقف نساء بني هاشم

ولا بدّ لنا أن نستفتح تلك الأدوار النضالية والريادية للمرأة ووقوفها بوجه الظالم بالسيّدة زينب عليها السلام، لكن ليس بالتفاصيل الدقيقة، فكانت عليها السلام نتاج المدرستين ـ مدرسة علي والحسين عليهما السلام ـ وعصارة مدرسة علي عليه السلام ديناً وعلماً وحجّة ومنطقاً،

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء: ص٣٠. وأُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص٢٢٤. الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ص١٨١.

وقد أعدّها أمير المؤمنين عليه السلام لتحمّل مهامّها يوم عاشوراء؛ وتُكمل مسيرة أخيها الحسين عليه السلام في نهضته الرائدة، فصانت الأمانة وحفظت المهمّة، وكانت أهمّ صوتٍ إعلامي دوّى في دواوين الطغاة.

فهذا ابن زياد في الكوفة، قد وقفت أمامه بكلّ صبر وشجاعة، والأكثر من ذلك وقوفها بوجه يزيد في الشام[1]، لدرجة أنّهم خافوا على ملك بني أُميّة من الزوال بعد أن صارت الشام تغلي كالمرجِل، وخشي اللعين يزيد من انقلاب الحكم وثورة أهل الشام عليه، بعدما عرّفته وعرّفت كلّ أهل الشام بماهيّتهم ومكانتهم وما فعله هؤلاء الطغاة بعترة المصطفى صلى الله عليه وآله. فالأمر أعظم وأكبر من أن تُحيط بمكانتها ودورها وأثرها في النهضة الحسينية هذه الوريقات.

زيادة على دور الحوراء زينب عليها السلام في واقعة الطف وبعدها، فإنّ نساء أهل البيت عليهم السلام الأُخريات ـ لا سيّما بنات الحسين عليه السلام ـ كان لهنّ وقع أيضاً يصمّ الآذان وينمّ عن استيعابهن للمهمّة الإلهية التي اختارها الله لهنّ مع صغر سنهنّ، وسنقتبس من ذلك شواهد أو عبارات صدحت حناجرهنّ بها، تؤكّد شجاعتهنّ وعفّتهنّ ورفضهنّ للظلم والجبروت.

وعلى سبيل المثال: طلبت السيّدة سكينة عليها السلام من أحد السائرين معهنّ من جيش ابن سعد (لعنه الله) أن يقدّم رأس والدها الحسين عليه السلام عند دخولهم الشام؛ لينشغل الناس برؤيته عن كثرة النظر إليهنّ.

أمّا السيّدة أُمّ كلثوم فقد طلبت من شمر بن ذي الجوشن أن يسيروا بهنّ في طريق قليل النظارة؛ لنفس السبب، فما كان من اللعناء إلّا أن قاموا بالعكس؛ ليجعلوهنّ عرضة لنظر الشريف والوضيع[2].

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤٥٧، وص٤٥٨، وص٤٦١، وص٤٦٢. الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٧١ـ٧٢.

(٢) أُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٨. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠١ـ١٠٢.

أو كما قالت السيّدة زينب عليها السلام ليزيد بن معاوية: «**أَمِن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، قد هتكت ستورهنّ، وأبديت وجوههن، تحدوا بهنّ من بلد إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدني والشريف؟!**»[1].

فللّه درّكِ سيدتي، وأنت تهزّين عروش الظالمين، تارة عند ابن زياد وأُخرى عند يزيد، تنطقين عن لسان والدك أمير المؤمنين عليه السلام، ووالدتك الزهراء عليها السلام لمّا هزّت عروش المغتصبين للحقّ الإلهي، بصرف أهل بيت النبوّة عن مراتبهم التي رتّبها الله لهم، وها هي تسجّل أروع البطولات الكلامية في إكمال مسيرة نهضة آبائها الطاهرين وأخيها أبي الأحرار؛ من أجل استقامة دين النبي محمد صلى الله عليه وآله، وإصلاح المجتمعات البشرية.

وكذا الحال بالنسبة لمنطق السيّدة أُمّ كلثوم وفاطمة بنت الحسين وأُختها سكينة (عليهنّ السلام)[2]، فهو منطق يستغربه مَن لا يعرف أهل البيت عليهم السلام، فقد تربّوا في مدرسة علي عليه السلام، وهي عينها مدرسة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله.

أمّا الرباب بنت امرئ القيس، فهي زوج الإمام الحسين عليه السلام، وأُمّ سكينة وعبد الله الرضيع عليهما السلام، ويقال: لمّا استُشهد الإمام الحسين عليه السلام أقامت عليه حولاً، ثمّ أنشدت:

إلى الحول ثمّ اسم السلام عليكما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر[3]

والحقيقة، نحن لسنا مع هذه الرواية، إذ لا يُعقل أن يتركها الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء وينتقل إلى الكوفة والشام بدونها، فضلاً عن استحالة حصول ذلك أيضاً من الجيش الأُموي؛ لأنّهم مأمورون بحمل جميع النساء؛ لذا نرجّح الراوية القائلة: بأنّها كانت مع سبايا البيت الهاشمي في مسيرهم من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، ثمّ العودة إلى المدينة.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٦.
(٢) أُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٨. والمصدر السابق: ص١٠١ـ١٠٢.
(٣) الثقفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٦١٨.

وقد خطبها الأشراف من قريش فرفضتهم جميعاً، وقالت: «**ما كنت لأتّخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم تزوّج، وعاشت بعده سنة، لم يظلّها سقف بيت حتّى بليت وماتت كمداً**»[1]. ولا عجب أن تفعل بنفسها ذلك وقد كان الحسين عليه السلام يحبّها كثيراً[2].

مواقف نساء الأنصار

وكان للمرأة غير الهاشمية دور كبير في نصرة الإسلام والمسلمين والنهضة الحسينية، ولما مُنِعت المرأة من المشاركة في الجهاد والحروب أمرها النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بالجهاد الأكبر، ألا وهو حُسن التبعّل، وإعانة زوجها على التمسّك بالمبادئ والقيم الأخلاقية، وأخذ المواقف الحاسمة، وبذل نفسه في نصرة الدين والأئمة الطاهرين عليهم السلام، كما حصل مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وزوجاتهم.

ورغم ذلك، فقد شاء الله تعالى أن يرزق بعضهنّ الشهادة، فقاتلن إلى جانب أزواجهنّ في الطفوف، كما حصل مع أُمّ وهب زوجة عبد الله بن عمير الكلبي، وزوجة جنادة الأنصاري، أمّا اللواتي لم يحضرن الواقعة، فقد شجّعنَ أزواجهن على الالتحاق بركب الحسين عليه السلام؛ لنصرة النهضة الحسينية، ونيل الشهادة في الدنيا، والسعادة في الآخرة، كما هو الحال مع دلهم زوجة زهير بن القين.

إنّ من أهمّ أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية: محاربة الظلم، ونشر الإصلاح، وصيانة المرأة المسلمة والمحافظة على مكانتها، ورغم أنّه كان بحاجة إلى كلّ ساعدٍ لمحاربة جيش عمر بن سعد، وقد سقط كلّ أصحابه شهداء، لكنّه حاول أن يصون النساء ويحميهنّ، فوضعهنّ في الصفوف الخلفية، وأحاط خيامهن

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩، ص١٢٠.
(٢) أُنظر: البغدادي، محمد بن حبيب، المحبر: ص٣٩٧. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٢، ص٩٦. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣٢. أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٥٩.

بخندق تضطرم فيه النيران[1]؛ لكي لا يباغتوهم فيتعرّضوا لنسائهم وحرمهم؛ لهذا لا نستغرب من أولئك النسوة دفاعهنّ عن مبادئ الثورة الحسينية، حبّاً بإمامهنّ المفترض الطاعة، وهنا نستعرض أدوار أولئك النسوة من غير الهاشميات:

دلهم زوجة زهير بن القين

تلك المرأة التي نصرت زوجها، ودفعته إلى الاشتراك في معركة الطف والالتحاق بالحسين عليه السلام، وبعد أن طلب منها زوجها الالتحاق بأهلها، امتثلت لطلبه؛ ولهذا لم تحضر واقعة الطف، وكانت ـ قبل ذلك ـ مع زوجها زهير في مكّة لحجّ بيت الله الحرام، ثمّ عادا إلى الكوفة، فالتحقا بالحسين عليه السلام في منطقة زرود، فدعا عليه السلام زهيراً لنصرته، فوافق زهير وطلّق امرأته؛ لأنّه لا يحبّ أن يصيبها من القوم أذىً، فودّعته وقالت له: «**كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدِّ الحسين عليه السلام**»[2]؛ وهذا دليل على استئناس هذه المرأة بفعل زوجها لنصرة محمد وآل محمد عليهم السلام.

أُمّ وهب زوجة عبد اللّه بن عمير الكلبي

حضرت أُمّ وهب واقعة الطف، وكان موقفها مشابهاً لزوجة زهير بن القين، فلـمّا أعلمها زوجها بنيّته للخروج والالتحاق بالحسين عليه السلام، أجابته بقولها: «**أصبت أصاب الله بك، أرشد أُمورك، افعل وأخرجني معك**»[3]. فلمّا برز أبو وهب لقتال يسار ـ مولى زياد بن عبيد ـ «**أخذت أُمّ وهب امرأته عموداً، ثمّ أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأُمّي، قاتِل دون الطيّبين ذرية محمّد. فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثمّ قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك. فناداها حسين، فقال: جزيتم من أهل بيت خيراً، ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهنّ، فإنّه ليس على النساء**

(١) أُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج١، ص٣٥٢.
(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٥. أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٩٨.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٢٦.

قتال. فانصرفت إليهنّ»[1]، فرجعت امتثالاً لأمر أبي عبد الله عليه السلام لكنّ عينيها تراقب زوجها، فلمّا رأته قد صُرِع خرجت تمشي إليه، وجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه، وتقول: «**هنيئاً لك الجنّة**»، «**فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يُسمّى رستم: اضرب رأسها بالعمود. فضرب رأسها فشدخه، فماتت مكانها**»[2].

بحرية بنت مسعود الخزرجية

وهي زوجة جنادة بن كعب بن الحارث الأنصاري، وقد صحبت زوجها وولدها عمرو ـ الذي كان عمره أحد عشر أو ثلاثة عشر عاماً ـ في واقعة الطف، فلمّا استُشهد زوجها طلبت من ابنها أن يقوم وينصر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يأذن له الحسين عليه السلام في المرّة الأُولى؛ لصغر سنّه أوّلاً، ولأنّ والده قُتِل بالحملة الأُولى، وبعد أن أذن له الإمام في المرّة الثانية، خرج للحرب وقاتل قتال الأبطال واستُشهد، فرمى الأعداء رأسه نحو الخيام، فأخذته أُمّه ومسحت التراب عن وجهه، وقالت: «**أحسنت يا بُني، يا قرّة عيني وسرور قلبي، ثمّ رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمة، وحملت على القوم... فضربت رجلين فقتلتهما، فأمر الحسين عليه السلام بصرفها، ودعا لها**»[3].

جارية مسلم بن عوسجة الأسدي

لمّا استُشهد مسلم بن عوسجة الذي تأثّر لمصرعه الحسين عليه السلام صاحت هذه الجارية: «**يابن عوسجتاه! يا سيداه!**»[4]. ويُحتمل أن تكون أُسرة مسلم كلّها قد حضرت معه في المعركة وليست جاريته فقط.

---

(١) المصدر السابق: ص٣٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص٣٣٣ـ٣٣٤.

(٣) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٢٦. وأُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٢٧.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص١٩٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٣٢.

تلك هي النسوة اللواتي تألّقن شجاعة وإباءً وتضحية؛ من أجل إحياء مبادئ الحسين عليه السلام، فسرن مع الركب الحسيني، وحضرن المعركة.

وإذا كنّا لا نتعجّب من تلك الصيحات والوقفات البطولية من نساء مؤمنات تشرّبت مبادئ النهضة الحسينية في نفوسهن ونهلن من بحرها، فقد نتعجّب من تلك الشجاعة والثبات على المبادئ من امرأة خارجية، من قبيلة بكر بن وائل، فقد أثّرت في هذه المرأة رؤيتها لبنات الرسالة والقوم يقتحمون عليهنّ فسطاطهنّ ويسلبونهنّ دون أدنى مروءة، ودون أيّ وازع ديني أو عربي يحرِّك وجدانهم، فقد جاء أنّها لمّا: «**رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام فسطاطهنّ وهم يسلبونهنّ، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط، وقالت: يا آل بكر بن وائل، أتُسلَب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟! لا حكم إلّا لله، يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله. فأخذها زوجها وردّها إلى رحله**»[1]. فهل بعد ذلك شجاعة؟!

مواقف النساء قبل واقعة الطفّ وبعدها

وهناك أدوار قامت بها بعض النساء قبل واقعة الطفّ وبعدها، وهي لا تقلّ أهمّية عن أدوار النساء اللاتي حضرن المعركة، ولعلّ أولهنّ (طوعة)، تلك المرأة المؤمنة التي آوت مسلم بن عقيل عليه السلام، وخبّأته عن الأعداء لحين سكوت الطلب، ولكنّ ولدها اللعين أفشى سرّها وأخبر عبيد الله بن زياد، فأرسل كتيبة بقيادة محمد بن الأشعث، فتمكّنوا من القبض على مسلم عليه السلام، وكانت طوعة تُحمِّسه وتُشجعه على القتال[2]، بلا خشية ولا خوف من السلطان.

وهناك أدوار مشرِّفة لنساء أُخر بعد معركة الطف، كنّ أكثر صلابة وشجاعة من

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٧٨.
(٢) أُنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج١، ص٢٩٨ـ٢٩٩.

رجال كُثر، بل رسمن للأجيال صورة قلّ نظيرها في الإيمان بمبادئ رسالة النبيّ محمدﷺ ونهضة ولده الحسينعليه السلام، والوقوف بوجه أراذل القوم وشرارهم، فضلاً عمّا تمخّض عن وقوفهن بشجاعة من قوّة منطق وبلاغة وفصاحة، ومن ذلك موقف ابنة الصحابي المكفوف عبد الله بن عفيف الأزدي، الذي انتفض في مجلس ابن زياد لمّا سمعه ينعت الحسين ووالده أمير المؤمنين بالكذّاب ابن الكذّاب ـ وحاشاه من ذلك ـ فأفحمه بكلامه المعروف الذي تناقلته المصادر التاريخية، والذي كان كوقع السياط على جسد ابن زياد، فطلب من جلاوزته قتله، فتصدّت لهم قبيلته الأزد وخلّصوه منهم، وأرسلوه إلى بيته، لكنّ ابن زياد لم يتركه وشأنه، فباغته جنده وهو في بيته، فما كان من ابنته الشجاعة إلّا مساعدة والدها على التصدّي لهؤلاء الطغاة، فناولت والدها سيفه، وكانت تدلّه على الجهات التي يأتيه القوم منها؛ لينقضّ عليهم بسيفه، حتّى تمكّنوا من قتله[1].

ولعلّ آخر موقف شجاع كان لزينب بنت عقيل بن أبي طالب، وذلك لمّا وصل ركب السبايا إلى المدينة، وعلمت بخبر استشهاد العترة الطاهرة من أهلها وذويها وبني عمومتها وأصحابهم، فخرجت ـ وكانت شاعرة ـ ترثيهم بأبيات شعرية يسمعها القوم، وقد سارت على ألسن الناس حتّى دوّنتها المصادر، فقالت:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أُسارى ومنهم ضُرِّجوا بدم[2]

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم، والملوك: ج٥، ص٤٥٨ـ٤٥٩. الخوارزمي، الموفق ابن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص٦٠. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٩٧.

(٢) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين: ج٢، ص١٧، لكنّه ذكر أنّ قائلها هو علي بن الحسينعليه السلام. ابن شهرآشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٦٢. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٩٩.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٣ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤ ـ بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة.

٥ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

٦ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ.

٧ ـ التذكرة الحمدونية، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي (ت٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.

٨ ـ ثورة الحسين عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين.

٩ ـ جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٢م.

١٠ ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٩٩٥م.

١١ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
١٢ ـ طبقات الحنابلة، أبو الحسين محمد بن محمد بن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
١٣ ـ الغارات، أحمد بن إبراهيم الثقفي الكوفي (ت٢٨٣هـ)، تحقيق: السيّد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.
١٤ ـ الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ.
١٥ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بابن طاووس (ت٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم ـ إيران، مطبعة مهر، الطبعة الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٦ ـ المحبر، محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، مطبعة الدائرة، ١٣٦١هـ.ش.
١٧ ـ مطالب الشمول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ماجد أحمد العظمة، بيروت، د.ت.
١٨ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: كاظم المظفّر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
١٩ ـ مقتل الحسين عليه السلام، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: محمد السماوي، أنوار الهدى، قم ـ إيران، مطبعة مهر، الطبعة الأُولى، ١٤١٨هـ.
٢٠ ـ مناقب آل أبي طالب، محمّد بن علي بن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.
٢١ ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ورقة عمل بعنوان
مقام الإخلاص والوفاء عند السيّدة زينب بنت علي عليهما السلام

د. زهراء رؤوف الموسوي*

مقدّمة

إنّ أهمّ شيء يحتاج إليه خَدَمة أهل البيت عليهم السلام وخَدَمة الحسين عليه السلام على وجه الخصوص ـ سواء كانوا خدّام المنابر أو خَدَمة العتبات المقدّسة ـ هو النيّة الخالصة لله تعالى في مقام العمل.

فالخدمة منزلة ومرتبة ومقام كمقام السيف، يحارب من خلالها خادم الحسين عليه السلام أعداء الله من شياطين الجنّ والإنس، وهي بنفس الوقت ـ إذا لم تُرعَ حرمتها ـ تقطعه كالسيف، أي: إنّه بالحسين عليه السلام يرتفع الإنسان، وبالحسين عليه السلام يمكن أن يهبط ـ والعياذ بالله ـ إذا أخلّ بواجبه تجاه هذا المقام ولم يُخلص له.

فالخادم يُحترم تبعاً لمخدومه، وكذلك العبد يخضع لمكانة مولاه، وبقدر الطاعة والإخلاص والوفاء تكون درجة القرب من المولى وارتفاع المقام عند السيّد.

وهذا ما وُجد في شخصية السيّدة العظيمة زينب الكبرى عليها السلام وعلاقتها بإمام زمانها، فقد عاشت هذه السيّدة عليها السلام أوّل سنواتها في كنف جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان هو إمامها على الرغم من صغر سنّها آنذاك، كما أنّه صلى الله عليه وآله أوّل مَن سمّاها كما سمّى أخويها من قبل، وكذلك إمامة والدها أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كانت حاكمة على حياة السيّدة زينب عليها السلام، وكانت ترى وفاء أُمّها الزهراء عليها السلام وإخلاصها لبعلها

---

* الجامعة المستنصرية/ كلّية التربية الأساسية/ بغداد/ العراق.

وإمام زمانها أمير المؤمنين عليه السلام، وتقف إلى جانبها لتُساعدها في كلّ ما مرّ به آل البيت عليهم السلام من أحداثٍ بعد النبي صلى الله عليه وآله، فكانت عليها السلام تخرج مع أُمّها وهي تطوف على بيوت المهاجرين والأنصار؛ تستنهضهم للوقوف بوجه مغتصبي الخلافة، وتُرافقها كذلك عند خروجها للوقوف بوجه الظالمين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، حينما ألقَت خطبتها المشهورة، ثمّ عند وصيّتها الأخيرة.

أمّا فيما يتعلّق بإخلاصها عليها السلام لأبيها ووفائها له، فقد كان لها مواقف متعدّدة، فهي المضمّدة لجراحاته الخارجية في جسمه الشريف، ولجراحات قلبه وأحاسيسه المرهفة عليه السلام، وهكذا كانت رائدة الإخلاص والوفاء مع أخويها الحسن والحسين عليهما السلام في كلّ مراحل حياتهما الشريفة، وما مواقف الإباء في نهضة الحسين عليه السلام الصادرة من السيّدة الطاهرة عقلية الهاشميين، من أوّل خروجها معه من المدينة إلى مكّة ومنها إلى العراق، إلّا تجسيداً واضحاً لهذا الإخلاص والوفاء.

وبعد هذه المقدّمة الموجزة سنحاول الحديث بصورة أكثر شموليّة عن نشأة هاتين الخصوصيّتين البارزتين في حياة السيّدة زينب عليها السلام وانعكاساتهما الخارجية، وذلك من خلال النقاط التالية:

النقطة الأُولى: النشأة الفريدة

نشأت العقيلة زينب عليها السلام ضمن عائلةٍ نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله، وتربّت في أجواءٍ رسالية، ما كان يدور فيها غير الاهتمامات القِيَمية الأُصولية، فجدّها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قاد بنفسه ما يقارب (٢٨ غزوة ومعركة)، ووالدها الإمام علي عليه السلام رافق الرسول صلى الله عليه وآله في جميع تلك المعارك، عدا واحدة وهي (غزوة تبوك)؛ وذلك بأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله، كما قاد الإمام بنفسه العديد من السرايا والمعارك.

وبالتالي، فإنّ زينب عليها السلام وعائلتها كانوا يعيشون ظروف الجهاد في أغلب فترات حياتهم، فحينما يغادرهم الجدّ أو الأب إلى ساحة المعركة تكون نفوسهم منشدّة

ومرتبطة بما يدور في ساحات القتال، ولا يقتصر الأمر على تفاعل الأُسرة مع قضايا الحرب والجهاد، بل إنّها كانت معنية بكلّ أوضاع المجتمع.

وهكذا عاشت السيّدة زينب عليها السلام فترة طفولتها في بيتٍ تتموّج فيه هموم مجتمعها، وفي أجواءٍ مُفعمةٍ بالمسؤولية والتضحية والوفاء والإخلاص.

النقطة الثانية: مقام الإخلاص عند السيّدة زينب عليها السلام

الإخلاص في العمل هو: تنزيه العمل عن أن يكون لغير الله فيه نصيب. وفي الحديث الوارد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إن لكلّ حقّ حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى لا يُحبّ أن يُحمد على شيء مِن عمل لله**»(١).

وأمّا الإخلاص لله فهو غاية الدين، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الإخلاص غاية الدّين**»(٢)، وهو أفضل العبادات، بل هو روح العبودية لله وجوهرها، كما أخبر عن ذلك إمامنا الجواد عليه السلام: «**أفضل العبادة الإخلاص**»(٣). فحقيقة الإخلاص: تخليص نيّة الإنسان وعمله من شائبة غير الله تعالى، وهو لا يتحقّق إلّا عند مَن كان محبّاً لله عزّ وجلّ، بحيث لا يبقى لحبّ الدنيا وشهواتها وملذّاتها وسمعتها وجاهها ومناصبها في قلبه قرار، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**لا يكون العبد عابداً لله حقّ عبادته حتّى ينقطع عن الخلق كلّهم إليه، فحينئذ يقول هذا خالص لي، فيقبله بكرمه**»(٤). وبالتالي فإنّ المخلص هو الذي لا يطلب من وراء أيّ عملٍ يقوم به سوى الله تعالى، ولا يكون له مقصدٌ أو دافعٌ سوى رضاه، والتقرّب إليه، ونيل الزّلفى لديه، بحيث تكون نيّته متوجّهةً دائماً إلى الله، فلا يطلب من خلالها إلّا رضاه ووجهه الكريم، حبّاً به، وطمعاً في فضله وإحسانه؛ لأنّ العمل الخالص هو الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحدٌ سوى الله تعالى.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٣٠٤.
(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج١، ص٧٥٤.
(٣) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٢٩.
(٤) المصدر السابق: ص٣٢٨.

هذا، وأنّ أعمال الناس مرهونةٌ بالنيّات، فإذا لم تكن النوايا خالصة، فهذا يعني أنّه يشوبها الشّرك، والله تعالى لا يغفر أن يُشرك به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...﴾[1]؛ وذلك لأن الشّرك ظلمٌ عظيمٌ، والله تعالى لم يأمر إلّا بالإخلاص.

أمّا فيما يتعلّق بمعرفة مقامات الإخلاص عند السيّدة زينب عليها السلام، فسننطلق من كلامها الذي أطلقته عندما خطبت في الشام بوجه اللعين يزيد بن معاوية، والذي قالت فيه: «**فكِد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا...**»[2]. حيث نتعرّف من خلال هذا الكلام البليغ على أهمّية الدور الذي كان موكلاً بالسيّدة زينب عليها السلام، ونكتشف بعض الأسرار الكامنة وراء مرافقتها للإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، حيث كان مجيئها عليها السلام ومعها كلّ هؤلاء النساء والأطفال هو بإذن إلهي، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم علم اليقين بأنّ ثورة كربلاء وما سيجري فيها ـ إذا لم يكن هناك إعلام موجّه وتبليغ هادف ـ لن يصل صداها إلى أيّ مكان، وسيبقى في كربلاء، ويُدفن مع الشهداء، وتُطمس الحقائق، وكأنّ شيئاً لم يكن.

فثورةٌ بهذا الحجم وهذه التضحيات وهذه الدماء تحتاج إلى إنسانٍ مخلص لنقل رسالتها، ومَن غير العقيلة زينب عليها السلام ـ بقوّة شخصيتها ورباطة جأشها ـ يستطيع أن يؤدّي هذه الرسالة بكلّ إخلاص وشجاعة؟! وبالتالي، فإنّ مجيئها إلى كربلاء برفقة الإمام الحسين عليه السلام ـ مع علمها بكلّ ما سيجري ـ له الدور الأكبر في نشر فاجعة الطفّ وتعريف الناس بهذه المظلومية، فكانت عليها السلام تعلم ـ عندما خاطبت يزيد ـ بأنّ ذكرهم سيبقى خالداً، وأنّ يزيد الظالم سيكون هو ومَن والاه في مجاهل النسيان.

(١) النساء: آية١١٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٥.

النقطة الثالثة: مقام الوفاء عند السيّدة زينب عليها السلام

الوفاء معناه التمسّك بالعهد، والثبات على الميثاق، والعمل بالواجب الإنساني والإسلامي، إزاء شخص آخر جدير بذلك، وبما أنّ الأُسرة بمثابة المدرسة الأُولى للطفل، فعلى الوالدين حينئذٍ أن يهيّئا الظروف المناسبة في المحيط الأُسري، من أجل تعويد الأبناء على هذه الفضيلة الأخلاقية؛ ولهذا السبب جاءت الروايات الإسلامية تؤكّد المسؤولية العظمى على الوالدين في تربية الأطفال، وتسدي لهما النصائح المفيدة في هذا المجال، ومن هذه الروايات:

١ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أحبّوا الصّبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنّهم لا يرون إلّا أنّكم ترزقونهم**»[1].

٢ـ عن كليب الصيداوي قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «**إذا وعدتم الصّبيان ففوا لهم، فإنّهم يرون أنّكم الّذين ترزقونهم، إنّ الله عزّ وجلّ ليس يغضب لشيءٍ كغضبه للنّساء والصّبيان**»[2].

وبعد هذه المقدّمة البسيطة حول هذه الفضيلة الأخلاقية لا بدّ من التطرّق إلى موقف من مواقف الوفاء للعقيلة زينب عليها السلام، والذي وصل ذروته في ثورة عاشوراء العظيمة، فهي الشخصية الثانية على مسرح هذه الثورة بعد شخصية أخيها الحسين عليه السلام، كما أنّها قادت مسيرة الثورة بعد استشهاد أخيها الحسين عليه السلام، وأكملت ذلك الدور العظيم بكلّ جدارة.

فحينما حدثت الفاجعة الكبرى بمقتل أخيها الحسين عليه السلام بعد قتل أهل بيته وأنصاره، خرجت السيّدة زينب عليها السلام تعدو نحو ساحة المعركة، تبحث عن جسد أخيها الحسين عليه السلام بين القتلى، غير عابئةٍ بالأعداء المدجّجين بالسلاح، ولمّا وقفت

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٨٣.
(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٦، ص٥٠.

على جثمانه الطاهر الذي مزّقته سيوف الحاقدين وجعلته مقطّعاً إرباً إرباً، كان الكلّ يتصوّر أنّها سوف تبكي وتصرخ، أو تنهار، أو يُغمى عليها، أو تموت لهول المصيبة التي ألّمت بها، لكنّ ما حدث هزّ أعماق الناظرين، فأمام تلك الجموع الشاخصة بأبصارها إليها جعلت تُطيل النظر إليه، ثمّ وضعت يديها تحت جسده الطاهر المقطّع ورفعته نحو السماء، وهي تدعو بمرارة قائلة: «**اللّهم تقبّل منّا هذا القربان**»(١).

وقولها هذا عند مقتل أخيهاعليه السلام يُعدّ وفاءً له حتّى بعد موته ورحيله عن الدنيا؛ إذ قدّمت حزنها عليه وهي راضية بما قسم الله لهم من هذا الابتلاء، فكان وفاءً لجسده الشريف ولروحه الطاهرة ودمه الطاهر، فهو جاد بنفسه وروحه، وهي بعده تجعل جسده، بل كلّ كيان الحسينعليه السلام، فداءً وقرباناً عظيماً لربٍّ عظيم يحفظه ويرعاه في جنّة الخلد.

وهناك مصداق آخر من مصاديق الوفاء وهو: ›**حينما هجم الفجرة الجفاة على الإمام زين العابدين**عليه السلام، **وكان مريضاً قد أنهكته العلّة، ومزّق الأسى قلبه، فأراد الخبيث الأبرص شمر بن ذي الجوشن أن يقتله، فنهره حميد بن مسلم، قائلاً له: سبحان الله! أتقتل الصبيان؟! إنّما هو مريض، فلم يُعنَ به الوغد، وبادرت إليه عمّته العقيلة زينب**عليها السلام **فتعلّقت به، وقالت: لا يُقتل حتّى أُقتل دونه. فكفّ اللّئام عنه، وقد نجا منهم بأُعجوبة**‹(٢).

كما توجد مواقف أُخرى كثيرة ـ تتعلّق بنفس الموضوع ـ لا يمكن إحصاؤها في هذه الأوراق، منها: حينما جزع الإمام زين العابدينعليه السلام كأشدّ ما يكون الجزع، وذلك عند رؤيته جثمان أبيه الحسينعليه السلام، وجثث أهل بيته وأصحابه، منبوذة بالعراء، والتي لم ينبرِ أحدٌ إلى مواراتها، فعندما بصرت به عمّته زينبعليها السلام وهو على تلك الحال، بادرت إليه مسلّيةً بقولها: «**ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وإخوتي؟**

(١) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسينعليه السلام: ج٢، ص٣٠١.
(٢) عاشور، علي، موسوعة زينب الكبرى: ج٥، ص١٧٣.

فوالله، إنّ هذا لعهدٌ من الله إلى جدِّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة، والجسوم المضرّجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطفّ عَلَماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدرس أثره، ولا يُمحى رسمه، على كرور الليالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلّا علوّاً»[1].

فقد أزالت حفيدة الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الموقف ما ألمّ بالإمام زين العابدين من الحزن العميق بسبب عدم مواراة أبيه، فقد أخبرته بما سمعته من أبيها وأخيها، وما هو إلّا صورة من صور الوفاء لأخيها الإمام الحسين عليه السلام، لحفظ فلذة كبده من الحزن والألم، وما ألمّ به من قساوة واقعة الطفّ ومرارتها.

ومن هنا، ووفاءً لسيرة زينب عليها السلام العطرة، كان لزاماً على خدمة الحسين عليه السلام ـ سواء كانوا مقيمي الشعائر أم خدمة العتبات المقدّسة ـ الاقتداء بوفاء عقيلة الهاشميين وإخلاصها لربّها وأئمّتها، والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل الدين، وأن يؤثروا مصلحة الخدمة على مصالحهم الشخصية، ويتخلّقوا بأخلاق العقيلة زينب عليها السلام، ويسعوا إلى التحلّي بصبرها الذي يدمغ الصعاب، ويدمّر كيان الشيطان، فإنّه لا نزاع ـ مع مراعاة هذه الأخلاق العظيمة والسامية ـ بين الإخوة، بل تضحية وأخلاق حميدة، ومراعاة للقيم الإسلامية، وتحمّل الأذى في سبيل بقاء شعائر الحسين عليه السلام؛ لأنّ فيها بقاء الدين والإسلام، بل ببقائها تعجيلٌ لفرج المولى وسرورٌ لقلبه، وما ذاك إلّا للاقتداء بسيرة عمّته الصابرة العالمة أُمّ الأحزان.

النتيجة

ممّا تقدّم يظهر بأنّ مقامي الإخلاص والوفاء من المقامات البارزة في حياة السيّدة زينب عليها السلام، وقد كان لهما تجلّيات كبيرة في جميع مراحل حياتها، وخصوصاً ما انعكس

(١) المصدر السابق: ص١٧٤.

على مواقفها يوم الطفّ وفاجعة عاشوراء الأليمة، فقد أدّت عليها السلام دورها بنيّة خالصة إلى ربّها عزّ وجلّ، وكذلك قامت بأفعال متعدّدة، أبرزت فيها وفاءها بعهدها تجاه إمام زمانها الحسين عليه السلام؛ ممّا جعلها بنظر الباحث قدوة ينبغي أن يُحتذى بها من قِبل كلّ مَن يسعى إلى الدخول في قافلة الخدمة الحسينية بشتّى أنواعها وتجلّياتها.

المقترحات

١ـ إقامة ندوات للمبلِّغات المنتسبات، ولكلّ المتصدّيات للعمل الإسلامي داخل العتبات المقدّسة، تطرح فكرَ السيّدة زينب عليها السلام، وتُبيّن رسالتها التي بعثتها للعالم من خلال الثورة الحسينية.

٢ـ أن تتبنّى العتبات طباعة كُتيّبات تضمّ في طيّاتها فضائل هذه السيّدة الجليلة، وتوزّع على المنتسبات.

٣ـ تثقيف المنتسبات بثقافة زينب عليها السلام وفكرها، وبكلّ ما تحمله هذه السيّدة الجليلة من قيم ومبادئ، وتوطيد العلاقة الروحية بينهنّ وبين السيّدة زينب عليها السلام.

التوصيات

١ـ إنّ أهمّ عمل يحتاجه خَدَمة أهل البيت عليهم السلام بشكل عام، وخَدَمة الحسين عليه السلام بشكل خاص، هو النية الخالصة، والوفاء بما خصّهم الله تعالى من منزلة الخدمة، سواء كانوا خدّام المنابر أم خدمة العتبات المقدّسة.

٢ـ إنّ النساء يبحثنَ دائماً عن القدوة في التاريخ، وكذلك القدوة في الحاضر؛ لذا وجب على المرأة المسلمة المبلِّغة، أو المنتسبة، أو خادمة المنبر، أن تجعل من السيّدة زينب عليها السلام قدوةً لها في عفّتها وحيائها، وفي وفائها وإخلاصها، وأن تسير على خطاها.

هذا وألتمس العذر من سيّدتي ومولاتي لتقصيري في الكتابة لها، ومن الله التوفيق.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ بحار الأنوار الجامعة لأخبار الأئمة الأطهار، محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

٢ ـ التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٣ ـ حياة الإمام الحسين عليه السلام، باقر شريف القرشي، النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤ ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥ ـ موسوعة زينب الكبرى، السيّد علي عاشور، دار نظير عبّود، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٩م.

٦ ـ ميزان الحكمة، محمّد الريشهري، دار الحديث، الطبعة الأُولى.

٧ ـ وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأُولى، ١٤١٢هـ.

الأميرة الأسيرة وانطلاقة العلم من الحجاب

م. رنا الخويلدي*

مقدّمة

إنّ السيّدة زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب عليها السلام، قدوة في الرسوخ، وقمّة في الشموخ، وقلمي أضعف من أن يتسلّق جميع مناقبها، وأقصر من أن يصل إلى كنهها، وهذا ليس مجرّد نسق كلام، بل أنّى لي أن أبلغ معناها والله يُعطيها بغير حساب، حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، ويصلّي عليها من غير ذكر عدد، فيقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[2]، كما أنّها قدوة في الصبر والاسترجاع اللذَين ذُكرا في الآيتين؛ ولذلك تعمّدت أن أحصر بحثي في جانبين من مناقبها، وهما: حجابها وعلمها، وعمدت إلى أن يكون الطرح طرحاً تحليلياً واستنتاجياً لبعض مواقف السيّدة زينب عليها السلام وكلماتها، لا طرحاً تاريخياً يسرد الأحداث فقط.

وقد ضمّناه ثلاثة مباحث، وفي كلّ مبحث ثلاثة مطالب، تحدّثنا في المبحث الأول عن شيء من حياتها، وفي المبحث الثاني عن حجابها، وفي المبحث الثالث عن علمها، سائلين الله عزّ وجلّ أن يضيف هذا البحث شيئاً جديداً لتراث آل محمد صلى الله عليه وآله.

---

* العتبة العلوية المقدّسة/ النجف الأشرف/ العراق.

(١) الزمر: آية ١٠.

(٢) البقرة: آية ١٥٦ـ١٥٧.

المبحث الأوّل: لمحات من سيرة السيّدة زينب عليها السلام

المطلب الأول: ولادتها واسمها

هي: «زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية، سبطة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، أُمّها فاطمة الزهراء»[1]، وقد «أدركت النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ووُلِدت في حياته... وكانت زينب امرأة عاقلة لبيبة جَزلَة... وكانت مع أخيها الحُسَين ـ رضي الله عنه ـ لما قُتل، وحُمِلت إلى دمشق، وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها ليزيد ـ حين طلب الشامي أُختها فاطمة بنت علي من يزيد ـ مشهور مذكور في التواريخ، وهو يدلّ على عقل وقوّة جَنان»[2].

واختُلف في تاريخ ولادتها، فـ«قيل: في غرّة شعبان في السنة السادسة»[3]، وقيل: كانت ولادتها في السنة الخامسة أو السادسة للهجرة، في الخامس من جمادى الأُولى[4]، لكنّ الأرجح هو أنّ ولادتها في الخامس من جمادى الأُولى، في السنة الخامسة للهجرة، في المدينة المنوّرة[5].

و«لما وُلِدت السيّدة زينب، مضى عليها عدّة أيام ولم يُعيّن لها اسم، فسألت السيّدة فاطمة من الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام عن سبب التأخير في التسمية؟ فأجاب الإمام: إنّه ينتظر أن يختار النبي الكريم لها اسماً. فأقبلت السيّدة فاطمة ببنتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وأخبرته بذلك، فهبط الأمين جبرئيل وقال: يا رسول الله، إنّ ربّك يُقرؤك السلام، ويقول: يا

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج٨، ص١٦٦.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٦، ص١٣٢ـ١٣٣. أُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد ابن علي، الإصابة: ج٨، ص١٦٦، ونقل السيّد علي عاشور تعليقاً على كلام ابن الأثير، فقال: «قيل: وقد سَهَا؛ فإنّ فاطمة التي طلبها الشامي بنت الحسين، لا بنت علي عليه السلام». عاشور، علي، موسوعة زينب الكبرى: ج١، ص١٦.

(٣) عاشور، علي، موسوعة زينب الكبرى: ج١، ص٣٣.

(٤) أُنظر: المصدر السابق.

(٥) أُنظر: المصدر السابق: ص١١. القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٦.

حبيبي، اجعل اسمها زينب. ثمّ بكى جبرئيل، فسأله النبيّ عن سبب بكائه؟ فقال: إنّ حياة هذه البنت سوف تكون مقرونة بالمصائب والمتاعب، من بداية عمرها إلى وفاتها»[1].

إنّ تأخّر تسمية السيّدة زينب عليها السلام كاشف عن مدى احترام الإمام علي والسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام لمقام النبي صلى الله عليه وآله، فلم يسبقاه في تسميتها، في حين أنّ والدة مريم العذراء ـ مع ما لها من القدر والإيمان ـ لم تنتظر نبي الله زكريا عليه السلام في تسمية ابنتها مريم، قال تعالى ـ حكاية عن قولها ـ: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[2]، ولا يُمكن أن نتوقّع بأنّ نبي الله عمران هو الذي أوصى زوجته بذلك؛ لأنّها ـ إلى حين ولادتها ـ كانت تظنّ أنّها ستنجب ذكراً. إذاً؛ هناك فارق كبير بينها وبين السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في احترام مقام النبوّة.

ومن معاني اسم زينب في اللغة: «**شجر حسن المنظر، طيّب الرائحة، وبه سُمّيت المرأة زينب بهذه الشجرة**»[3]. «**وفي كتاب لاروس: الزَينب: نبات عشبي بصلي معمّر، من فصيلة النرجسيات، أزهاره جميلة بيضاء اللون فوّاحة العَرف**»[4]. «**أو أصلها: (زين أب) حُذفت الألف لكثرة الاستعمال، وزنبة وزينب كلتاهما امرأة**»[5].

ونعتقد أنّ السيّدة زينب سُمّيت بهذا الاسم لسببين، هما:

أولاً: لكونها أشبه بالشجرة الحسنة المنظر، الطيّبة الرائحة، المعمّرة؛ لما كان في حياتها ومماتها من الذكر الحسن والسمعة الطيّبة، ولما امتازت به من الخدر والصبر والجزالة والعلم والفصاحة، حتّى أنّ نسلها نُسب إليها، فيقال لذريتها: (زينبيون)، وهم يرون في هذا النسب شرفاً لهم لما لها من الشرف.

ثانياً: «**باعتقادنا قد تكون سُمّيت بهذا الاسم لأنّ أباها زين أب، لم يُسبق في سابقة في**

---

(١) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٦ (الهامش)، نقلاً عن ناسخ التواريخ.

(٢) آل عمران: آية٣٦.

(٣) الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج١٣، ص٢٣٠.

(٤) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٧ (الهامش).

(٥) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج٣، ص٢٦.

رحم، أو بسابقة في دين، تشهد له آية التطهير»[1]، وآية المباهلة[2]، وآية الولاية[3]، وغير ذلك من الآيات والسور التي فيها خصوصية للإمام دون الصحابة.

وبكلا المعنيين، فإنّ اسم السيّدة زينب دالٌ على شيء جيد ومنتج، فهو مع السيّدة زينب عليها السلام اسمٌ على مسمّى.

المطلب الثاني: كُناها وألقابها

إنّ كنية السيّدة زينب، هي: أُمّ الحسن وأُم كلثوم، ولُقّبت بأُمّ الحسن؛ لأنّها ورثت عن أُمّها ـ فاطمة الزهراء عليها السلام أُمّ الحسن ـ صفاتها، من خُلقٍ وعلم وعمل، وأمّا لقب أُمّ كلثوم، فقد ذكر السيّد علي عاشور حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّهُ قال: «**أوصي الشاهد والغائب من أُمتي، وأخبروهم أن يكرموا هذه الصبية؛ لأنّها تشبه خالتها أُمّ كلثوم**»[4]، وبرأيي أنّه لا بدّ لهذا الحديث من تكملة، إلّا أنّها لم تُذكر؛ لأنّه منذ متى كان الإكرام على الشبه فقط؟! وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[5]، فلم يأمر النبي صلى الله عليه وآله بإكرام هذه الصبية إلّا لأنّها ذات تقوى وسموّ نفسي، ثمّ ليس هناك ما يؤكّد أنّ النبي صلى الله عليه وآله يقصد بهذا الحديث السيّدة زينب الكبرى، فلربّما يقصد أُختها الصغرى التي تُلقّب أيضاً بـأُمّ كلثوم، كما أنّها أيضاً وُلدَت في حياة النبي صلى الله عليه وآله، وقد قال السيّد محمد كاظم القزويني في كتابه: (زينب الكبرى من المهد إلى اللحد) ما نصّه: «**يوجد ـ في كتب التراجم ـ اضطراب شديد حول هذا الاسم وهذه الكنية،**

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٧، ص١٣٠. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج٢، ص٤١٩ وغيرهما.

(٢) أُنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٠. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي: ج٥، ص١٢٢ وغيرهم.

(٣) أُنظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ج٦، ص٢١٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور: ج٥، ص٣٦٠. ابن عجيبة، أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج٢، ص٥٢.

(٤) عاشور، علي، موسوعة زينب الكبرى: ج٢، ص٦٢.

(٥) الحجرات: آية١٣.

فالمشهور أنّ السيدتين: زينب وأُمّ كلثوم، بنتان للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام»[1].

وقد علّق ولده مصطفى القزويني على ذلك بقوله: «لقد جاء التعبير عن السيّدة زينب الكبرى ـ في بعض كتب الحديث والتاريخ ـ بكلمة (أُمّ كلثوم)، وهنا عدّة احتمالات:

الاحتمال الأول: أنّ هذا التعبير هو كنية لها.

الاحتمال الثاني: أنّه اسم ثانٍ لها.

الاحتمال الثالث: أنّه اشتباه وخطأ من بعض المؤرّخين؛ حيث إنّهم عبّروا عنها باسم أُختها، أو بكنية أُختها.

الاحتمال الرابع: وجود سبب آخر خفي علينا، بسبب ظلم التاريخ لترجمة حياة أهل البيت رجالاً ونساءً.

ولكلّ واحدة من هذه الاحتمالات الأربعة قرائن وشواهد تاريخية، يطول الكلام بذكرها، لكنّ الذي يتبادر إلى الذهن بعد الدراسة الموضوعية ـ والله العالم ـ هو أنّ أقوى الاحتمالات هو الاحتمال الأول، خاصّة وأنّ شخصية البنت الثانية للإمام أمير المؤمنين أُحيطت بسحاب كثيف من الغموض والإبهام والتشويش، إلى درجة أنّ بعض المعاصرين أعطى لنفسه الجرأة في أن يُنكر وجود بنت ثانية للإمام من زوجته السيّدة فاطمة الزهراء.. يكون اسمها أُمّ كلثوم!

وعلى كل حال، فقد كان السيّد المؤلّف [يقصد والدَه] يَطمئن، بل ويقطع بأنّ المقصود من (أُمّ كلثوم) ـ في كثير من كتب الحديث والتاريخ ـ هي السيّدة زينب الكبرى، وهذا ما نلاحظه حين الاستماع إلى مجالسه ومحاضراته المسجّلة على أشرطة الكاسيت، ونلاحظه ـ أيضاً ـ حين التدقيق في فصل (حياة السيّدة زينب في عهد والدها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)، ففي كثير من الفقرات التاريخية المرتبطة بفاجعة مقتل الإمام

(١) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٨.

علي أمير المؤمنين، يوجد التعبير بجملة: (تقول أُمّ كلثوم)، وقد فهم المؤلّف أنّ المقصود ـ في أكثر تلك المقطوعات ـ هي السيّدة زينب الكبرى، فذكر الكلام ونسبه إلى السيّدة زينب سلام الله عليها»[1].

وكما هو ملحوظ أنّ السيّد مصطفى يؤكّد أنّ هناك بنتاً أُخرى للإمام علي عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام، تُدعى أُمّ كلثوم، لكنّ أُمّ كلثوم المذكورة في مقتل الإمام علي عليه السلام يؤكّد بأنّها السيّدة زينب عليها السلام، وعلى كلّ حال، باعتقادي أنّ هناك بنتاً أُخرى لعلي والزهراء عليهما السلام، تُكنّى بأُم كلثوم، خطبها عمر، وألَحّ في خطبتها حتّى أنّه هدّد على ذلك؛ ما جعل الإمام علي عليه السلام يحجبها عن الأنظار، فكان ذلك سبباً لعدم روايتها الحديث[2]، والإبهام والتشويش على شخصيتها، وانتقال كنيتها لأُختها زينب الكبرى.

أمّا ألقاب السيّدة زينب عليها السلام فهي: «**الصدّيقة الصغرى، العقيلة، عقيلة بني هاشم، عقيلة الطالبيين، العارفة، العالمة، الفاضلة، الكاملة، عابدة آل علي**»[3].

المطلب الثالث: حياتها

إنّ السيّدة زينب عليها السلام «**أدركت النبي صلى الله عليه وآله وولدت في حياته**»[4]، وقد أُخبر النبي صلى الله عليه وآله من قِبَل جبرئيل عليه السلام بأنّ حياتها ستكون مليئة بالمصائب والمآسي، فقال: إنّ حياة هذه البنت ستكون مقرونة بالمصائب والمتاعب، من بداية عمرها إلى وفاتها[5]. وقد رُوي

(١) المصدر السابق: ص٣٨ـ ٣٩ (الهامش).

(٢) ذكرها ابن سعد في طبقاته ضمن النساء اللاتي لم يروين الحديث. أُنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج٨، ص٤٦٣.

(٣) عاشور، علي، موسوعة زينب الكبرى: ج١، ص١١.

(٤) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٦، ص١٣٢ـ١٣٣. أُنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة: ج٨، ص١٦٦، نقلاً عن ابن الأثير.

(٥) أُنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٦ (الهامش)، نقلاً عن ناسخ التواريخ.

أنّ السيّدة زينب عليها السلام رأت في عمر الطفولة رؤيا مهولة، فقصّتها على جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله بقولها: «**يا جداه، رأيتُ البارحة أنّ ريحاً عاصفة قد انبعثت، فأظلمت الدنيا وما فيها، وأظلمت السماء، وحركتني الرياح من جانب إلى جانب، فرأيتُ شجرةً عظيمة فتمسكتُ بها؛ لكي أسلم من شدّة الريح العاصفة، وإذا بالرياح قد قلعت الشجرة من مكانها وألقتها على الأرض، ثمّ تمسكتُ بغصنٍ قوي من أغصان تلك الشجرة، فكسرتها الرياح، فتعلّقتُ بغصنٍ آخر فكسرته الريح العاصفة، ثمّ تمسكتُ بغصنٍ آخر وغصن رابع حتّى استيقظتُ من نومي. وحينما سمع رسول الله منها هذه الرؤيا بكى، وقال: فأمّا الشجرة فهو جدّك، وأمّا الغصنان الكبيران فهما أُمّك وأباك**[1]، **والغصنان الآخران فأخواكِ الحسنان تسودّ الدنيا لفقدهم، وتلبسين لباس المصيبة والحداد في رزيتهم**»[2].

وفعلاً هذا الذي حصل، فقد «**عاصرت السيّدة زينب عليها السلام الحوادث المؤلمة التي عَصفت بأُمّها البتول بعد وفاة أبيها الرسول، وما تعرّضت له من الضرب والأذى**»[3]، حينما غصبوا إرثها، وكذلك هبتها (فدك)[4]، وهجموا على دارها[5]، وأسقطوا جنينها[6]، حتّى ماتت وهي غاضبة عليهم[7]. فلم تكن السيّدة زينب عليها السلام بمعزل عن هذه المآسي، فهي التي «**رافقت أُمّها الزهراء عليها السلام إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله حين إلقاء الخطبة**»[8]، وقد كان عمرها آنذاك خمس سنوات.

---

(١) هكذا في المصدر، والصحيح: (أبوك).

(٢) المصدر السابق: ص٥٢، نقلاً ـ بتصرّف ـ عن كتاب زينب الكبرى للنقدي.

(٣) المصدر السابق: ص٤٩.

(٤) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٥، ص٢٥. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى: ج٢، ص٢٩٧.

(٥) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٣٠، ص١٨. الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج٣، ص١١٧ـ١١٨.

(٦) أُنظر: الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات: ج٦، ص١٥. الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج١، ص١٣٩.

(٧) أُنظر: البخاري والبيهقي بالأرقام المتقدمة، وغيرهما من أصحاب السنن والصحاح.

(٨) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٥٢.

والذي لفت نظرنا هو أنّ السيّدة زينب عليها السلام في أغلب أيام حياتها لم تفارق أئمة زمانها أبداً، فحريّ بها أن تكون بهذا المستوى من السموّ النفسي بشتّى المناقب التي لم تسبقها إليها غيرها عدا أُمّها الزهراء عليها السلام، فهي بعد شهادة أُمّها عليها السلام بقيت في كنف أبيها علي أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى «**زوّجها أبوها علي من عَبد الله ابن أخيه جعفر، فولدت له عليّاً، وعوناً الأكبر، وعبّاساً، ومحمّداً، وأُمّ كُلثُوم**»(١)، إلاّ أنّ السيّدة زينب عليها السلام لم تبتعد كثيراً عن أبيها علي عليه السلام بهذا الزواج، بل بقيت قريبة منه، ولمّا انتقلت الخلافة الظاهرية إليه «**ووصل من البصرة إلى الكوفة واستقرّ به المكان، التحقت بهِ العوائل من المدينة إلى الكوفة، ومن جملة السيدات اللواتي هاجرن من المدينة إلى الكوفة، هي السيّدة زينب عليها السلام، وقد سبقها زوجها عبد الله بن جعفر، حيث كان في جيش الإمام لدى وصوله للبصرة**»(٢)، فعاشت هي وزوجها في بيت أبيها الإمام علي عليه السلام، إذ «**كان كلٌّ من البنات والأولاد المتزوّجين يسكنون في حجرة من تلك الحجرات، والسيّدة زينب عليها السلام كانت تسكن مع زوجها في حجرة أو غرفة من غرف دار الإمارة**»(٣).

فالسيّدة زينب عليها السلام «**عاصرت بل عاشت الاضطرابات والأحداث الداخلية التي حدثت من واقعة صفين إلى النهروان، إلى الغارات التي شنّها عملاء معاوية على بلاد أمير المؤمنين عليه السلام**»(٤)، «**حتى فُجِعَت بهذا الوالد الحنون، وقد رأته مضرّجاً بالدماء بسيف ابن ملجم المرادي، وكان قد بات عندها ليلة استشهاده، وقد نعى نفسه أمامها، إذ ذكر السيّد مصطفى القزويني بأنّ المقصودة بكنية أُمّ كلثوم في تلك القصة هي السيّدة زينب**»(٥).

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أُسد الغابة: ج٦، ص١٣٣.
(٢) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٥٣.
(٣) المصدر السابق: ص٥٤.
(٤) المصدر السابق: ص٥٥.
(٥) المصدر السابق: ص٣٩ (الهامش).

ولم تزل السيّدة زينب عليها السلام من معاناة إلى معاناة، مروراً بالظروف القاسية التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام، حتّى قضى مسموماً بأمر مِن معاوية [1]؛ لأنّها ـ أيضاً ـ كانت معه في الكوفة، ولمّا انتقل إلى المدينة عليه السلام انتقلت معه.

ورُوِيَ أنّه لما استُشهد الإمام الحسن عليه السلام: «**صاحت زينب وا أخاه، وا حسناه، وا قلّة ناصراه، يا أخي مَن ألوذ به بعدك؟! وحزني عليك لا ينقطع طول عمري. ثمّ إنَّها بكت على أخيها وهي تلثم خديه وتتمرّغ عليه، وتبكي عليه طويلاً**»[2]، وقد استظهرنا أنّ قولها عليها السلام لأخيها الإمام الحسن عليه السلام: «**مَن ألوذ به بعدك**»، لا يعني أنّها لا تعتبر زوجها عبد الله أو أخاها الإمام الحسين عليه السلام ملاذاً، بل قصدها أنّ الجميع ـ وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام ـ صاروا مفجوعين بمصاب الإمام الحسن عليه السلام، فبمَن تلوذ بهذه المصيبة والكلّ مفجوع، أو أنّ قصدها ـ أيضاً ـ وجود خصوصية للإمام الحسن عليه السلام لا يعوضها غيره، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء**»[3]، «**هذا وهو فقيه كغيره من الفقهاء يخلفه المئات من أهل الفقه، فكيف إذا كان إماماً، بالتأكيد ستكون له خلّة، حتّى وإن كان يخلفه إمام بعده، فالخصوصية له محفوظة، كما أنّ للإمام الذي يخلفه خصوصية أُخرى خاصّة به، كخصوصية الإمام علي عليه السلام بولادته في الكعبة، وكخصوصية الزهراء عليها السلام التي هي حجّة على الأئمة عليهم السلام بتكوينها من ثمر الجنة، ولم تنتقل من صلب إلى صلب، وإلّا فالسيّدة زينب عليها السلام كانت متعلقة بالإمام الحسين عليه السلام إلى درجةٍ وصفته في خطبتها في الكوفة بهذه الصفة: (يا شقيق فؤادي)**»[4].

---

(١) أُنظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال: ج٦، ص٢٥٣. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٢٧٤.

(٢) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٦٨، نقلاً عن: معالي السبطين للمازندراني: ج١، المجلس التاسع.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج١، ص٢٢٠.

(٤) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٣٣٦.

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يكنّ لها كلّ المحبة والاحترام، حتّى روي: «**أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن الكريم ذات يوم، فدخلت السيّدة زينب عليها السلام، فقام من مكانه والقرآن بيده، كلّ ذلك احتراماً لها**».

كما أنّنا نرى أنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت برفقة زوجها عندما أراد الالتحاق بأبيها الإمام علي عليه السلام حين استقراره في الكوفة، وكذلك حين مكوثها مع الإمام الحسن عليه السلام في الكوفة، ورجوعها حين رجع إلى المدينة، لكن مع الإمام الحسين عليه السلام نجدها تركت زوجها عبد الله في المدينة؛ إذ لم يخرج مع الإمام الحسين عليه السلام؛ لأسباب يذكرها المحققون، ورافقت أخاها الإمام الحسين عليه السلام هي وأولادها إلى كربلاء، وهنا تتجلّى أهمّية دور السيّدة زينب عليها السلام في كربلاء، بمعنى أنّ السيّدة زينب عليها السلام لو كان زوجها معها في رحلتها إلى كربلاء مع قافلة الإمام الحسين عليه السلام لَظن البعض أنّ مجيء زوجها هو الذي دفعها لمرافقة أخيها الإمام الحسين عليه السلام، لكن لمّا لم يخرج زوجها مع الإمام الحسين عليه السلام تجلّت بكلّ وضوح أهمّية دورها إلى حدٍّ تترك زوجها في المدينة، وتذهب برفقة ولدَيها وبنتها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام؛ لِنفهم أنّ دورها لم يكن عشوائياً في كفالة العيال بعد شهادة إخوتها، وفضح بني أُمية بمواقفها وخُطَبِها، إنّما هذا الدور جاء عن تخطيطٍ إلهي سابق، حتّى وجدنا الإمام علي عليه السلام يختبرها كيف تُلقي الخطبة، كما ويزوّدها بالعلوم الغيبية والمستقبلية؛ كي ترد بها على أعداء الله، كما سنذكر لاحقاً.

بل رويَ أنّها كانت موصاة بهذا الدور العظيم لحكمةٍ بالغة؛ من خلال رواية طويلة سأذكر منها ما نصّه: «**والحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى أُخته زينب بنت علي في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علم يُنسب إلى زينب، ستراً على علي ابن الحسين عليه السلام**»[1].

بل إنّ السيّدة زينب عليها السلام كأنّها وُلدت لأجل كربلاء ونصرة القضية الحسينية، فبمجرد أن انتهت واقعة الطف، وأدّت ما عليها من كفالة العيال، وفضح بني أُمية،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٦، ص٢٠.

وتهييج الدمعة على مصاب أبي عبد الله في الكوفة والشام والمدينة، رحلت عن هذه الدنيا وهي صابرة محتسبة، وقد «**قيل: إنّها توفّيت بعد ورود المدينة بثمانين يوماً، وفي كتاب السيّدة زينب: أنّها توفّيت في يوم الأحد، (١٥) شهر رجب، سنة (٦٢) من الهجرة... فهي أصغر من أخيها الحسين عليه السلام بعامين، فلمّا توفّيت كان لها (٥٦) سنة**»[١]. وهنالك اختلاف في مكان قبرها، قيل: إنّه في المدينة، وقيل: في الشام، وقيل: في مصر[٢].

المبحث الثاني: الحجاب في فكر السيّدة زينب عليها السلام وكلماتها

المطلب الأول: حجاب السيّدة زينب عليها السلام

إنّ السيّدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام، هي المصداق الأعظم للمرأة المحجوبة، «**فالحجاب الستر... وامرأة محجوبةٌ قد سُتِرت بسترٍ وحجاب**»[٣].

والحجاب ينقسم إلى قسمين: حجابٌ ظاهري، وحجابٌ باطني، فأمّا الحجاب الظاهري، فهو الملموس المرئي، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[٤]، وأيضاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[٥]. أمّا الحجاب الباطني، فهو حجاب غير مرئي؛ لأنّه صفة تحجب الإنسان ـ سواء كان رجلاً أو امرأة ـ عن المعصية، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٦]. وكان العرب يُطلقون صفة التحجّب حتّى على الرجال، كقول عمر بن سعد (لعنه الله):

أوقــر ركــابي فضة وذهبا ... أنـا قتلت الملك المحجّبا[٧]

---

(١) عاشور، علي، موسوعة زينب الكبرى: ج١، ص١٧.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٢، ص٥٨ـ٦٠.
(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٢٩٨.
(٤) الأحزاب: آية٥٣.
(٥) الأحزاب: آية٥٩.
(٦) الأعراف: آية٢٩.
(٧) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٥٣٣.

وقصد بعبارة: (الملك المحجّب) الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ نفسه تحجّبت عن الذنب، سواء كان كبيراً أو صغيراً، وكان يُشير بذلك إلى الحجاب الباطني.

إنّ الحجاب الباطني أساسٌ للحجاب المادي، لكنّ الحجاب المادي دالٌ عليه، فلا يُقبل من المرأة أن تترك الحجاب المادي الظاهري تحت شعار: (إنّ الإيمان في القلب)، كما لا يُقبل منها أن تتحجّب بالحجاب الظاهري، وهي مبتذلة نفسياً، فلا تتورّع من النظرة الحرام والكلام المائع، وما شابه ذلك.

إنّ السيّدة زينب الكبرى عليها السلام كانت المصداق الأسمى لهذين الحجابين، فهي تمسّكت بالحجاب الباطن وهو التقوى، وبالحجاب الظاهر وهو الحجاب المادي، وهو البيت والخمار، وما شابه ذلك، وحتّى لمّا جرت المشيئة الإلهية بأن تُسبى وتَخرج من خدرها، ظلّت متمسّكة بالحجابين الظاهري والباطني، فأمّا حجابها الباطني في أسرها، فمن مصاديقه ما قاله بشير بن خزيم الأسدي عن خطبتها في الكوفة، حين قال: «**ونظرتُ إلى زينب بنت علي عليهما السلام يومئذٍ، فلم أرَ خفرة والله أنطق منها**»[1]. ومن المؤكّد قال ذلك؛ لأنّ عليها علامات المرأة الملتزمة، وكأنّي بها تتكلم وهي مطرقة إلى الأرض، أو تنظر إلى النساء دون الرجال؛ تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾[2]، أو تحاول أن تضع الستر على وجهها وهي تخطب، فوصفها إثر ذلك بالخفرة، كما أنّه وصفها بأنّها تُفرغ عن لسان أبيها، أي: إنّها في منطقها ذات صلابة وبلاغة تُذكّر بصلابة علي بن أبي طالب عليه السلام وبلاغته، أي: إنّ منطقها بليغ وليس فيه ميوعة، وهذا من التقوى، وهي الحجاب الباطن؛ لأنّ عكسه يكون الخضوع من قِبل المرأة، وقد قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[3].

(١) «والخفرة: المرأة الشديدة الحياء». القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٢٨.

(٢) النور: آية٣١.

(٣) الأحزاب: آية٣٢.

وأمّا حجابها المادي في الأسر، فمن مصاديقه قولها ليزيد في مجلسه: «**أَمِن العَدل يابن الطلقاء تَخديرك حرائرك وإماءك، وسَوقك بنات رسول الله، قد هتكت ستورهنَّ، وأبديت وجوههنَّ، تحدو بِهنَّ مِن بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمعاقل، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف؟!**»[1]. إنّ تركيز السيّدة زينب على إبراز وجوههنَّ يدلُّ على مدى لوعتها على هتك هذا الحجاب، ومدى أهمّيته عندها، كما يدلّ على أنّ الذي بدا منهنّ بالأسر هو الوجوه فقط، بمعنى أنهنَّ لم يُهتك منهنّ شيء ظاهري سوى الوجوه.

أمّا ما قاله ابن الأثير في تاريخه عن يوم الطف بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام ـ «**ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء، حتّى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها، فيؤخذ منها**»[2] ـ فبرأينا أنّ هذا أوشك أن يحدث، لكنّه من المؤكّد لم يحدث، أو المقصود به: أنّ ما سُلِبَ منهنّ هو النقاب أو الإزار، وليس الثوب الذي يستر بدنهنّ؛ لذلك نقول: إنّ الله تعالى صرف عنهن طمع الدناة من الجيش، كما صرف عن يوسف عليه السلام كيد النسوة، فقال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

ويؤكّد ذلك ما حدثَ في مجلس يزيد، حيث نصّ الرواية: «**قال رجل منهم أزرق أحمر، ونظر إلى وصيفة من بناتهم، فقال يا أمير المؤمنين: هب لي هذه. فقالت زينب: لا والله، ولا كرامة لك ولا له إلّا أن يخرج من دين الله**»[4]. أي: إنّه سوف لا يتيسرّ له بحكم دين الله والطبيعة التي خُلق الناس عليها، فكما أنّ الصدقات حُرّمت على آل محمد صلى الله عليه وآله، فقد صرف الله عنهم كيد الفاسقين، كما صرفه عن يوسف عليه السلام، أمّا الستور التي هُتِكَت والتي ذكرتها السيّدة زينب عليها السلام بقولها: «**وهتكت ستورهنّ**»، إنّما

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.
(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص١٨٣.
(٣) يوسف: آية ٣٤.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٩٣.

هي الخيام والهوادج والنُّقب، أو الأُزر التي تختفي خلفها وجوههنّ، ويتأكّد فيها سترهنَّ، ولو كان مقصدها بهتك الستور هو تجريدهنَّ من المَلبس، لما ذكرت السيّدة زينب إبداء الوجوه بعد ذلك؛ لأنّ التجرّد يفي بالإبداء كلياً حتّى الوجوه، وعندها ستكون عبارتها التالية: «**وأبديت وجوههنّ**» زائدة؛ فمن هنا قد اتّضح أنّ قولها: «**وهتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ**»، بمعنى أنّك حرقت خيامهنّ، وأذهبت نقاب وجوههنّ، وسقتهنّ سبايا من غير هوادج، ويؤكّد هذا المعنى كذلك قولها:«**أَمِن العدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك؟!**» ليتأكّد أنّ لوعتها هي خروجها من الخِدر وانكشاف وجهها، أي: المساكن التي تسترها، وليس كما ذكر ابن الأثير من تجريدهنّ الثوب الذي يستر الجسد.

المطلب الثاني: سبب اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالحجاب

إنّ أهل البيت عليهم السلام اهتمّوا كثيراً بحجاب نسائِهم وخِدرهِنّ، وركّزوا على حجاب المرأة وخدرها، حتّى أنّ السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام حينما سُئلت:«**أيّ شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل**»[1]. كما ذكر الشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) أنّ السيّدة زينب كانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، تخرج ليلاً وتُطفئ القناديل؛ كي لا يُرى خيالها، ويكون الحسن عليه السلام عن يمينها والحسين عليه السلام عن شمالها. من هنا ينشأ السؤال التالي: لماذا كلّ هذا الاهتمام من قِبل أهل البيت عليهم السلام بحجاب المرأة؟

والجواب عن ذلك هو: أنّ أهل البيت عليهم السلام اهتمّوا كثيراً بالحجاب بالنسبة للمرأة؛ لأنّه يسمو بالمرأة نفسياً وفكرياً، وكلّما اهتمّت المرأة بالحجاب اهتماماً بالغاً كانت منتجة في مجال عملها، ولقد ثبت عقلاً ـ من خلال التجربة التي استنتجتها ـ أنّ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٢، ص٨٤. وذُكر هذا الحديث في بعض كتب أبناء العامة أيضاً بصيغ مختلفة.

الحجاب هو أمرٌ عقلي؛ إذ إنّ التجربة تقول: إنّ الأشياء ـ حتّى إذا كانت من جماليات الإنسان ـ إذا أُسرف في صرفها المادي، ستكون نتيجتها بالضدّ، فمثلاً: الإنسان اللبق إذا تكلّم مع أيّ أحد يراه في البيت أو الشارع، فلا يقال: إنّه بليغ، بل يُقال: إنّه ثرثار، والإنسان البشوش إذا ابتسم أو ضحك بوجه أيّ أحد كان في البيت أو الشارع، فعندها لا يُقال: إنّه بشوش، بل يقال: إنّه مجنون، والإنسان الغني إذا وزّع أمواله لأيّ أحد يلقاه في البيت أو الشارع، فسيقع في حرج مادي محتمل يؤدّي إلى افتقاره وعوزه، وكذلك المرأة إذا تبرّجت وأظهرت مفاتنها لأيٍّ أحد في البيت أو الشارع، سيُقال عنها: إنّها مبتذلة، وعندها ستتعرّض لكلمات الغزل والإعجاب من كثيرٍ من الرجال، والمرأة بطبيعتها تنجرّ مشاعرها للكلام المعسول، فعندها تفسد ويفسد بها المجتمع، فالمرأة كشعلة النار تُدفئ وتُنير وتُحرق في نفس الوقت، وذلك حسب مكانها الذي توضع فيه، وحسب استعمال مَن يستعملها، وهذا هو السرّ في اهتمام أهل البيت عليهم السلام بحجاب المرأة؛ لأنّه يحفظ لها كرامتها، ويجعلها ناجحة في حياتها.

ولعلّه يقول قائل في هذا السياق: إنّ النساء في المناطق الريفية أكثر التزاماً بالحجاب من النساء في المدن؛ إلّا أنّ النساء في المدينة أكثر نجاحاً من نساء الأرياف، كنجاحهنَّ بالدراسة، وإظهار المواهب، بالرغم من أنّهنّ أقلّ التزاماً بالحجاب. إذاً؛ أين صحّة القول: بأنّ المرأة كلّما التزمت بالحجاب أكثر نجحت أكثر؟

والجواب عن ذلك هو: أنّنا نجد أنّ المرأة الريفية ناجحة، وسرّ نجاحها هو في أُسرتها، فنجدها متحمّلة لأعباء المسؤولية والعمل في البيت أكثر من المرأة المدنية، وهي صبورة ومطيعة لزوجها أكثر من أغلب النساء المدنيات، وبهذا التحمّل للأعباء والصبر، نجدها تربّي جيلاً صالحاً، وهذا هو أصل النجاح؛ لأنّ دور المرأة الأساس هو في بيتها، بينما تجد بعض النساء المدنيات، ربّما هنّ ناجحات بالدراسة وإظهار الموهبة، إلّا أنّ لديهنّ فشل في الحياة الزوجية والأُسرية؛ لأنّ التمدّن لمّا قلّل من

التزامهنّ بقوانين الدين، ومن ضمنها الحجاب، قلّل أيضاً من تحمّلهنّ للمسؤولية، وطاعتهنّ للأزواج؛ ما جعل الطلاق يرتفع بدرجة عالية في المجتمعات المتمدّنة.

إذاً؛ فالحجاب هو سرّ نجاح المرأة أينما كانت؛ وهذا ما جعل السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها السيّدة زينب عليها السلام أكثر النساء إنجازاً؛ لأنهنّ أعظم النساء في الخدر والحجاب، وقد ركّز أهل البيت عليهم السلام على الحجاب من أجل ذلك، أي: من أجل إنجاح المرأة في دورها الأساس وهو البيت، وباقي الأدوار التي تُناط بها حسب موقعها في هذه الحياة، كدور نصرة الإمامة وأهدافها الذي أُنيط بالسيّدة فاطمة الزهراء والسيّدة زينب عليهما السلام، فكانت انطلاقتها من الحجاب انطلاقة عظيمة، بل أعظم انطلاقة؛ ليكون ذلك ردّاً على مَن يقول: إنّ الحجاب يقيّد المرأة عن التعليم وعن أداء دورها.

المطلب الثالث: يزيد وعدم غيرته

كما هو معروف أنّ يزيد بن معاوية هو رجل معدوم الغيرة إلى أعلى المستويات، وهذا وصف مفروغ منه، لكنْ ثمّة كلام في قول السيّدة زينب عليها السلام ليزيد عن هذا الموضوع في مجلسه، وذلك حينما قالت له: «**أَمِنَ العَدل يابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وأبديت وجوههنَّ، تحدو بِهنَّ الأعداء مِن بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد، والدني والشريف؟!**»[1].

فهذه العبارات ربّما يتصوّر من خلالها البعض أنّ يزيد كان صاحب غيرة على نسائه، إلّا أنّ هذا الأمر ليس صحيحاً، أي: إنّ يزيد كان معدوم الغيرة إلى أبعد الحدود، وبذلك فهو ليس أفضل ممّن يُظهرون نساءهم متزينات للرجال الأجانب، وسنشرح ذلك في ثلاثة موارد:

(١) المصدر السابق: ج٤٥، ص١٣٤.

المورد الأول

إنّ يزيد لم يحجب حرائره وإماءه لغيرتهِ عليهنَّ، بل لأنّه أراد بذلك صدع قلوب سبايا آل محمدﷺ؛ لأنّه كان يعاني من عقدة نفسية؛ للفارق الكبير بين البيت العلوي والبيت الأُموي، فهو كان يعلم بانحداره من بيت سيّئ الصيت برجاله ونسائه، بينما البيت العلوي معروف بشرف رجاله وخدر نسائه، فأمر يزيد بتخدير نسائه، وسوق بنات رسول الله سبايا؛ حسداً وتشفّياً. ويؤكّد هذا المعنى قول السيّدة زينبعليها السلام له: «**تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا...**»، وكأنّ تخدير حرائره وإماءه صار على يد يزيد، وليس على يد معاوية، أي: في أيام سوق العلويات سبايا، ومن قبلُ لم تكن نساؤه مخدّرات، أي: إنّ هذا الفعل مقصود لأذية السبايا من آل محمدﷺ، لا لغيرته على نسائه.

المورد الثاني

إنّ غيرة الرجل المحمودة لا بدّ أن تكون على كلّ امرأة، وأن لا تكون محصورة على النساء من خاصّته فقط؛ لذلك قال الإمام عليعليه السلام: «**ما زَنى غيورٌ قط**»[1]، أي: إنّ الغيور ـ لغيرته على جميع النساء ـ لا يزني، لأنّه يحسب كلّ امرأة هي من خاصّته؛ لذلك فهو لا يهتك حجاباً لأيّ امرأة غيرةً على كلّ النساء، وبذلك لو كان يزيد ذا غيرةٍ لهزّته الغيرة على بنات رسول اللهﷺ، ولما أبدى وجوههنّ وساقهنّ سبايا، يتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد، والدني والشريف، باعتبار أنّ الغيور هو الغيور على كلّ النساء كما أسلفنا.

المورد الثالث

إنّ تخدير يزيد لحرائره وإمائه، وسوقه بنات رسول اللهﷺ سبايا، لا يُعدّ غيرةً، بل هو فسق وضلالة؛ لأنّ مَن يُفضّل أهله وخاصّته على حساب دين الله ورسوله يكون

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص١١٦.

من أهل الفسق والضلالة، فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، وهذا ما فعله يزيد بن معاوية، فقد خدّر النساء من خاصّته، وساق بنات النبي صلى الله عليه وآله أُسارى، مستهيناً بدين الله ودين رسوله صلى الله عليه وآله، ليثبت عليه الفسق بذلك، بالإضافة إلى الأُمور التي ثبت فيها فسقه كشرب الخمر، وغير ذلك.

إذاً؛ من خلال كلّ هذا التوضيح يتبيّن أنّ قول السيّدة زينب عليها السلام ليزيد: «**أمِنَ العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقُك بنات رسول سبايا؟!**» إنّما هو ذمّ ليزيد، ووصفه بالفسق وعدم الغيرة، وبالظلم أيضاً، وهو عدم العدل الذي ذكرته السيّدة زينب عليها السلام أول كلامها، لمّا قالت: «**أمِنَ العدل يابن الطلقاء**».

المبحث الثالث: العلم الذي نطقت به السيّدة زينب عليها السلام في خُطَبها

المطلب الأول: انكشاف الغطاء عن عينيها

هنالك مَن يعتقد أنّ الحجاب يُقيّد المرأة عن التعليم وأداء دورها فيه، وينسون أنّ سيّدات النساء كنّ محجبات بأفضل وأكمل حجاب عند تعليم وأداء دورهنّ المنوط بهنّ، فلم يُقيّدهنّ الحجاب عن تحصيل علمٍ أو أداء دور، بل على العكس نجد أنّ المرأة إذا كانت ذات طُهر وعفاف وتديّن وصبر على المصاعب، ولها قابلية لطلب العلم وتحمّله؛ سيفتح الله تعالى لها آفاقاً غيبية من العلم والفيوضات، فالإسلام قد اهتمّ بالمرأة وحافظ على كرامتها عموماً بلا استثناء، وخصّ بعض النساء بالكرامات العلمية والأدبية وغيرها؛ لأنّهنّ وصلن إلى مراتب عليا في التقوى والالتزام والصبر

(١) التوبة: آية ٢٤.

الـذي يسـاعد عـلى دوام كلّ فضيلـة، وهـو مفتـاح للعطـاءات الإلهية، قـال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1].

ومن النساء اللّاتي برزنَ بالصبر والعفة والحجاب، هي السيّدة زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام، بل فاقت جميع النساء بصبرها.

ومن مواقف السيّدة زينب عليها السلام التي أذهلت العقول، لمّا قال لها ابن زياد: «**كيف رأيت صُنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً**»[2]، فهذه العبارة انبهرت بها الألباب، واقشعرّت لها الأبدان، فهي تدلّ على صبرها العظيم، إلى درجة أنّها رأت في مقتل أحبّتها الذين قُطّعوا تقطيعاً، الشيء الجميل؛ لأنّه كان في سبيل الله، وهذه هي حقيقة واضحة في عبارة السيّدة زينب عليها السلام، إلّا أنّه برأينا كما أنّ لهذه العبارة معنىً ظاهرياً، فإنّ لها معنىً باطنياً، فأمّا المعنى الظاهري، فهو المعنى السابق الذي قال به العلماء: بأنّها من كثرة تسليمها لأوامر الله تعالى، صارت ترى من مقتل إخوتها وأهل بيتها في سبيل دين الله أمراً جميلاً، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3]، فلمّا شاء الله تعالى أن يرى الحسين وأهل بيته مقتولين؛ لعلمه بأنّ الدين لا يستقيم إلّا بنهضة الإمام وشهادته، شاءت السيّدة زينب ذلك، ورأته جميلاً.

أمّا المعنى الباطني الذي استظهرناه من هذه العبارة ولعلّه الأرجح، فهو أنّ السيّدة زينب عليها السلام لمّا سألها ابن زياد: «**كيف رأيت صُنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً**»، فهو قد سألها عن رؤيتها بعينها الطبيعية لما جرى على إخوتها وأهل بيتها، أي: كرؤية الناس العاديين، فأجابته عن رؤيتها المكشوف عنها الغطاء، فقالت: ما رأيت إلّا جميلاً، تعني بذلك رؤيتها لما وراء الحجب، كأن تكون رأت من الملائكة مَن يظلّلهم، ومنهم مَن يحملهم، ومنهم مَن يستقبلهم، ورأت جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) الزمر: آية ١٠.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٥ـ١١٦.
(٣) الإنسان: آية ٣٠.

وأباها عليا عليه السلام، وأُمّها الزهراء عليها السلام، وأخاها الحسن عليه السلام، وهم يسقون الشهداء الماء، ويعدون الإمام الحسين عليه السلام بأنّ الله سيأخذ بثأره في آخر الزمان؛ لذلك قالت عن هذه الأحداث وما شابهها من الأحداث الغيبية: «**ما رأيت إلّا جميلاً**».

وبكلا المعنيين ـ الظاهري والباطني ـ قد اتّضح مقام السيّدة زينب عليها السلام، ومدى صبرها، إلّا أنّه في المعنى الثاني الباطني اتّضحت حقيقة أُخرى ـ كما أسلفنا ـ وهي أنّ السيّدة زينب كُشف عنها الغطاء يوم عاشوراء، ولعلّها استمدّت صبرها وتحمّلت الصعاب مما رأت وسمعت من الأُمور الغيبية التي هي مكمّلة لليقين بلا شك؛ إذ قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1].

المطلب الثاني: علمها بمراتب الموت والحياة

إنّ القرآن الكريم بظاهره الأنيق وباطنه العميق، يحتوي على جميع العلوم بمختلف أنواعها وأهدافها، قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾[2]، والسيّدة زينب عليها السلام هي بنت الإمام علي عليه السلام، وهي أعلم النساء بكتاب الله في زمانها؛ لأنّ القرآن الكريم نزل في بيوتهم، ولأنّ لها قابلية لتعلّم تأويل القرآن وتفسيره، بل وتعليمه أيضاً، حتّى أنّها كانت تعلّم نساء الكوفة القرآن[3].

ومن العلوم التي كانت السيّدة زينب عليها السلام تُحيط بها، هي مراتب الموت والحياة للإنسان، وقد لمسنا بعض ذلك من خلال خطبتها في مجلس يزيد حين قالت له: «**وتهتف بأشياخك، زعمتَ أنّك تناديهم**»[4]، فهي بهذا المقطع تُبيّن أنّ أشياخ يزيد لا يسمعون النداء ولا يشهدون مجلس يزيد؛ لأنّهم موتى، وهو بذلك زعم يناديهم.

(١) الأنعام: آية٧٥.
(٢) النحل: آية٨٩.
(٣) أُنظر: القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٥٤ (الهامش).
(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.

وهنا يرد إشكال، وهو: أنّ السيّدة زينب عليها السلام أشارت إلى أنّ الموتى لا يسمعون، وشبه هذا القول يقوله الوهابية ضدّنا ـ نحن الشيعة ـ بندائنا للأئمة عليهم السلام وبزيارتنا لقبورهم، فكيف نُفرّق بين قول السيّدة زينب عليها السلام، وبين بدعة الوهابية؟ طبعاً الجواب عن هذا الإشكال، هو: أنّ السيّدة زينب عليها السلام لمّا أشارت إلى أشياخ يزيد بأنّهم لا يسمعون نداءه، أو يشهدون حديثه؛ ذلك لأنّها تعلم بدرجات الموتى وصفات كلّ منهم، وهي كما يلي:

الصنف الأدنى: هم الكفّار والمنافقون، وهؤلاء لا يسمعون النداء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[2]، ويشمل ذلك: أنهّم لا تصل إليهم الصلاة، أو قراءة القرآن؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[3]، وأيضاً: لا يصلهم الاستغفار؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[4]؛ لذلك نرى أنّ هناك عدم دقّة في نقل هذا الحديث الذي نصّه: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث: إلّا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[5]؛ لأنّ كلمة (ابن آدم) وكلمة (إنسان) تشملان الكفار والمشركين والمنافقين، بينما الآيات الكريمة ـ كما استعرضناها ـ قد أكّدت بأنّ الكفار والمشركين والمنافقين لا يسمعون، ولا تصلهم أعمال البرّ.

---

(١) النمل: آية ٨٠.

(٢) فاطر: آية ٢٢.

(٣) التوبة: آية ٨٤.

(٤) التوبة: آية ٨٠.

(٥) أبو زكريا، يحيى بن شرف، خلاصة الأحكام: ج٢، ص١٠٣٧، ورواه مسلم بلفظ: «إذا مات الإنسان». النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٥، ص٧٣.

ثمّ إنّ هؤلاء إن كان لا ينفعهم استغفار النبي صلى الله عليه وآله وصلاته كما صرّحت الآيات، فهل ـ بعد ذلك ـ ينفعهم دعاء أولادهم إذا كانوا صلحاء؟! بل الأكثر من ذلك، إنّ أولادهم ممنوعون من الاستغفار لهم أصلاً، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[1]؛ لذلك فالحديث الأدقّ معنًى في هذا السياق، هو هذا الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا مات المؤمن انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[2]؛ لأنّ هذا الحديث يخصّ بذلك المؤمنين، دون غيرهم من الكافرين والمنافقين والمشركين، الذين لا يسمعون ولا تصلهم أعمال البرّ، والذين قصدتهم السيّدة زينب عليها السلام بقولها ليزيد: «**وهتفت بأشياخك، زعمت أنّك تناديهم**».

الصنف الأوسط: هم المؤمنون من أصحاب اليمين، أي: دون المقرّبين بالفضل، وهؤلاء إذا ماتوا سيسمعون، لكن سيكون لهم سمع محدود، كأن يسمعون قراءة القرآن والكلام عند قبورهم، كما أنّهم يصل لهم ثواب الفاتحة وأعمال البرّ من بعيد، بدلالة قوله تعالى فيهم: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[3]، فإرسال السلام من قِبل أهل اليمين للنبي صلى الله عليه وآله في حياته أثناء نزول الآية، دليلٌ على أنّ لهم صلة أو شيء من هذا القبيل مع سكّان الدنيا، كما وأنّ النبي صلى الله عليه وآله من المؤكّد سيردّ عليهم السلام، فيسمعونه أو يُبلَّغ لهم؛ لنعلم من خلال ذلك أنّ الدعاء والفاتحة وجميع أعمال البرّ المهداة إليهم تصلهم أيضاً، أي: إنّهم بعكس الصنف الأدنى الذين ذكرناهم، وهم الكفار والمنافقون الموتى، الذين قلنا: بأنّهم ممنوع عليهم الثواب من جميع أعمال البرّ.

(١) التوبة: آية١١٣ـ١١٤.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢، ص٢٢.
(٣) الواقعة: آية٩٠ـ٩١.

الصنف الأعلى: وهم الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله، فهؤلاء يسمعون النداء، ويشهدون الأحداث أو بعضها، كلّ حسب درجته، ويدلّ على ذلك ما يلي:

أولاً: إنّ الله تعالى أنزل آيات صريحة بأنّ هنالك أمواتاً من أبرز صفاتهم أنّهم لا يسمعون، ومنها الآيات المتقدّم ذكرها: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[2]، إلّا أنّ الشهداء نفى الله عنهم صفة الموت الروحي تماماً بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]، وهذا يعني أنّهم يسمعون.

ثانياً: إنّ الله تعالى قال عن حياة الشهداء الروحية: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[4]، فقد بيّن الله تعالى بأنّ حياة هؤلاء الشهداء الروحية قريبة منّا وفي عالمنا، إلّا أنّنا لا نشعر بها، ولو انكشف عن عيوننا الغطاء لشعرنا بها؛ بدلالة قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، ولا نعرف ما حدود هذه الحياة التي اختصّوا بها، هل هو السمع فقط؟ لكن على الأرجح أنّ من خواصّ هذه الحياة، هو اطّلاعهم على أهمّ الأحداث التي تخصّ الدين، وعلى رأسها سوح القتال في سبيل الله؛ بدليل قوله تعالى عن الشهداء: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5].

والجدير بالذكر أنّ هنالك شهداء مرتبتهم أعلى، وميزتهم ليس السمع فقط، بل إلقاء السمع، وهي مرتبة أعلى مما قبلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[6]، وإلقاء السمع هو الشهادة على أعمال الخَلق،

(١) فاطر: آية٢٢.
(٢) النمل: آية٨٠.
(٣) آل عمران: آية١٦٩.
(٤) البقرة: آية١٥٤.
(٥) آل عمران: آية١٧٠.
(٦) ق: آية٣٧.

بدلالة أنّ سبب تسمية الذين يُقتلون في سبيل الله بالشهداء، هو القتل في سبيل الله، وكأنّهم يكونون شهداء على الحدث الذي قُتلوا فيه، وهناك شهداء بدرجة أعلى تكون شهادتهم بسبب اطّلاعهم على الأعمال، والذي عبّرت عنه الآية بإلقاء السمع.

وهؤلاء الشهداء هم محمدﷺ والأئمة من أهل بيتهعليهم السلام، وهم أنفسهم الأُمّة الوسط، والشهداء الذين أشار إليهم المفسّرون في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]، وبيّنوا أنّ كلمة: (أُمّة) تُطلق على الفرد الفعّال، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[2]، وتُطلق على المجموعة الصغيرة من الناس أيضاً، ففي قوله تعالى عن موسىعليه السلام: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3]، وبالتالي فليس ضرورياً أن تكون الأُمّة الواردة في الآية المتقدّمة هي جميع الأمّة الإسلامية. وأضف إلى قول أُولئك المفسّرين: أنّ هذه الآية واضحة الدلالة بأنّها لا تقصد بكلمة الشهداء جميع أفراد الأُمة الإسلامية؛ في حين أنّ واحدهم لا يعلم بأعمال الآخر، فربُّ العزّة لا يُشهد أحداً على ما لا يعلم، فالأُمّة الشهداء على الناس هم الذين يُلقون السمع، المطّلعون على أعمال الناس، والمقصودون في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ وهم النبيﷺ والأئمة من أهل بيتهعليهم السلام.

ومن خلال كلّ هذا الشرح اتّضح أنّ السيّدة زينبعليها السلام لعلمها بأصناف الموتى، فقد نفت عن أشياخ يزيد أن يسمعوه أو يشهدوا مجلسه؛ إذ إنّهم من الصنف الأدنى من الموتى.

وبناءً على ما تقدّم؛ نعلم أنّ ما تقوله الوهابية من استنكارهم النداء للأئمة وزيارتهم، بعيد كلّ البُعد عمّا قالته السيّدة زينبعليها السلام. ومن هنا؛ يتجلّى لنا مدى

(١) البقرة: آية١٤٣.
(٢) النحل: آية١٢٠.
(٣) القصص: آية١٢٨.

أعلمية السيّدة زينب بكتاب الله الذي جعله الله تعالى تبياناً لكلّ شيء، وكيف أنّ المرأة المحجّبة والمخدّرة تستطيع أن تجعل من الحجاب أُفقاً يُحلّق به فكرها إلى كلّ رفعة وسموّ.

المطلب الثالث: السيّدة زينب عليها السلام والإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

كما هو معلوم أنّ الناس الإلهيين على قدر ما يؤمنون بيوم القيامة التي يأخذ فيها الصالح ثوابه، والظالم عقابه، أيضاً يتمنّون أن يأخذ الظالم عقابه في الدنيا، ويأخذ الصالح ثوابه فيها، فمثلاً: نوح عليه السلام دعا على قومه بالفناء عَدا المؤمنين منهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[1]، وكذلك موسى عليه السلام، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[2]، وهكذا الحال في كلّ رسول، أو أغلبية الرسل، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3].

والسيّدة زينب عليها السلام باعتبارها إنسانة إلهية، قد رأت أعظم المصائب وأقساها، كان لا بدّ أن تُروى لها أخبار الجزاء لآل محمد عليهم السلام، والعقاب لأعدائهم في الدنيا، والتي تتحقّق بقيام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، بل لا شك في أنّ أخبار الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف أشبه بالجُرَع التي تأخذها كي تتصبّر بها على مآسيها، وهذا ما رأيناه بيّناً جليّاً ومستتراً في

(١) نوح: آية٢٦ـ٢٨.
(٢) يونس: آية٨٨.
(٣) البقرة: آية٢١٤.

خطبها، فركّزت فيها على الجزاء لهم، والعقاب لعدوِّهم، ومن نماذج ذلك: قولها عن عذاب أهل الكوفة: «**أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تُنصرون**»[1]، وقولها لابن زياد، حاكية عن إخوتها وأهل بيتها: «**هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، ثكلتك أُمّك يابن مرجانة**»[2]، وقولها ليزيد: «**صدق الله سبحانه، كذلك يقول:** ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[3]، وقولها ليزيد أيضاً: «**وتهتفُ بأشياخك، زعمتَ أنّك تناديهم، فلتردنّ وشيكاً موردهم، ولتودنّ أنّك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت**»[4]، «**فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله:** ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾؟![5]»[6]، «**حَسبك بالله حاكماً، وبمحمدٍ خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضعف جُنداً ... ولئن اتّخذتنا مَغنماً، لَتجدنا وشيكاً مَغرماً، حين لا تجدُ إلّا ما قدَّمت، وما ربُّك بظلامٍ للعبيد**»[7]، «**ولَتردنّ على رسول الله بما تحمّلت مِن سَفك دماء ذريّته، وانتهكت مِن حرمته في عترته ولُحمته، حيث يجمع الله شملهم، ويلمّ شعثهم، ويأخذ بحقّهم،** ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[8]»[9]. ففي هذه العبارات نجد السيّدة زينب عليها السلام

(١) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٢٨٥.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١١٦.
(٣) المصدر السابق: ص١٥٧.
(٤) المصدر السابق: ص١٣٤.
(٥) آل عمران: آية١٧٨.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٥٨.
(٧) المصدر السابق: ص١٣٤ـ١٣٥.
(٨) آل عمران: آية١٦٩.
(٩) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.

تعد بالعقاب لأعداء آل محمد في الدنيا والآخرة، أمّا قولها عن القصاص الدنيوي، فهو إشارات وتلميحٌ، تؤكّد من خلاله قيام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف آخر الزمان، وسنشرح ذلك في ثلاثة موارد:

المورد الأول: إنّ السيّدة زينب كانت كأمّها الزهراء عليها السلام متألّة لِما لاقته الإمامة من غصبٍ وتهميشٍ، وقد لمسنا ذلك من خلال ما قالته ليزيد: «**وسيعلم مَن سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيُّكم شرٌّ مكاناً وأضعَف جُنداً**»[1]. كما كانت السيّدة زينب عليها السلام تتوّق إلى أن تكون الإمامة ذات خلافة وحاكمية على الناس؛ بحيث يتضح ذلك من خلال قولها ليزيد: «**وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا**»[2]، فهي بيّنت ليزيد أنّ الإمامة لا يمكن أن تصفو له، ولكن الذي صفا له هو ملك هذه الإمامة وسلطانها، وهي على حزن من ذلك، بِمعنى أنّ السيّدة زينب عليها السلام لم تكن نظرتها إلى السلطان والملك كنظرة أبي سفيان حينما قال للعباس بن عبد المطلب: «**لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً**. [فقال له العباس:] **ويحك إنّها النبوّة**»[3]، أو كنظرة يزيد حين قال:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[4]

فهذان المنافقان ينظران إلى الملك والسلطان بتجرّدٍ من النبوّة والإمامة، أي: برأيهما ليس هناك نبوّة ولا إمامة، إنّما هو ملك وسلطان فقط، بينما كان مراد السيّدة زينب عليها السلام ـ في المقام ـ هو كون الإمامة حاكمة كما كانت النبوّة لجدّها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مراد إلهي من خلال قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[5]، وقوله

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.
(٢) المصدر السابق: ص١٠٥.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص١٠٤.
(٤) النيسابوري، محمد بن الحسن، روضة الواعظين: ص٢٩١.
(٥) البقرة: آية٣٠.

تعالى لمّا حسد الناس آل محمد عليهم السلام: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1]، وطالما أنّ السيّدة زينب عليها السلام تحزّ في نفسها رؤية الإمامة مغصوباً حقّها وغير حاكمة، فكان لا بدّ من أحد يخفّف همّها بالوعد الإلهي، بأنّه سيأتي يوم من الأيام يحكم فيه الإمام الشرعي كلّ العالم، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وهذا الأمر ليس مفترضاً فقط، بل لَمسناه في عبارات تبيّن أنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت مطّلعة على أحداثٍ في الأزمنة اللاحقة، من ذلك قولها ليزيد: «**فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله، لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا تُدرك أمَدنا، ولا ترحض عنك عارها**»[2].

وفعلاً هذا الذي حصل، فإقبال يزيد على قتل الإمام الحسين عليه السلام، هي انتكاسة بني أُميّة على مرّ التأريخ، ولم يمت وحي النبي صلى الله عليه وآله، ولم يُمح ذكر آله عليهم السلام، وكان أمدهم مما لم يتوقّعه يزيد، كما أخبرت السيّدة زينب عليها السلام بذلك، وهو ما يؤكّد أنّها كانت تتلقّى علوم الأُمم اللاحقة من قِبل مَن عاصرها من الأئمة عليهم السلام، وأنّ قولها ليزيد: «**وجمعك إلّا بَدَد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين**»[3]، فلربّما تقصد بذلك ظهور الإمام المهدي عليه السلام؛ لأنّ أكبر معركة سيخوضها عجل الله فرجه الشريف هي مع السفياني، أي: من نسل آل أبي سفيان جدّ يزيد، وسينتصر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، فلعلّ السيّدة زينب خاطبت يزيد بهذا القول: «**وجمعك إلّا بدد**»؛ لأنّ السفياني من نسله وحامل فكره، فيزيد سيُهزم به، كما أنّ من الصيحات التي ستُسمع قُبيل الظهور هي هذه الصيحة: «**ألا لعنة الله على الظالمين**»[4]، فلعلّ النداء الذي ذكرته السيّدة زينب بقولها: «**يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين**»، كانت تقصد به هذه الصيحة قُبيل الظهور.

---

(١) النساء: آية ٥٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٣٤.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص١٠٧.

(٤) النعماني، محمد بن إبراهيم، الغيبة: ص١٨١.

المورد الثاني: ذكرت السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها في أهل الكوفة وتوبيخهم هاتين العبارتين: «**فإنّه لا تحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإنّ ربَّك لبالمرصاد**»[1]. وقد بيّن السيّد القزويني في كتابه (زينب الكبرى من المهد إلى اللحد) في شرحه للخطبة، بأنّ هذه العبارة تُشير إلى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ولكن لم يشرح سبب ذهابه إلى هذا التفسير، إلّا أنّ المعنى يكاد يكون واضحاً في هذه العبارة، فإنّ الثأر إنّما يُطلق على القصاص في الدنيا وليس في الآخرة. وأيضاً قالت ليزيد: «**ونسأل الله أن يُكمل لهم الثواب، ويُوجب لهم المزيد، ويُحسن علينا الخلافة**»[2]، فكلمة الخلافة أيضاً تُطلق على مَن في الأرض وليس على مَن في الجنّة، وأنّنا لم نجد لذلك جواباً سوى أنّ السيّدة زينب عليها السلام تُشير بذلك إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّه هو الذي سيأخذ لهم الثأر ويحسن لهم الخلافة، ولا يُمكن أن نقول: إنّها تقصد بالثأر ثورة المختار؛ لأنّ ثورة المختار لم تأخذ الثأر من بني أُميّة رأس الظلم، في حين أنّ السيّدة زينب قالت: «**لا يخاف فوت الثأر**»، أي: إنّها تُبشّر بمَن سيأخذ الثأر كاملاً، فهو إذاً ليس المختار، كما وأنّ حُسن الخلافة الذي ذكرته السيّدة زينب عليها السلام لم يتحقّق على مدى إمامة الأئمة بعد الإمام الحسين عليه السلام، فكلّهم مضوا مظلومين ومضطهدين؛ ليتجلّى بكلّ وضوح عندنا، أنّ السيّدة زينب عليها السلام بقولها تُشير إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّه سيأخذ الثأر كاملاً، حتّى قال الإمام الحسين عليه السلام لبني أُميّة: «**أَما والله، لا تذهب الدنيا حتّى يبعث الله منّي رجلاً، يقتل منكم ألفاً، ومع الألف ألفاً، ومع الألف ألفاً**»[3]. كما وأنّ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ستكون له الخلافة التي هي إحسان إلهي، أي: الخلافة التي تأخذ حقّها الشرعي في مقامي الحكم والملك، وبالتالي يكون الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الخلف الصالح لآبائه عليهم السلام، والذي ستكون إمامته خلافة على هذه الأرض.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٠٩.
(٢) المصدر السابق: ص١٣٥.
(٣) المصدر السابق: ج٥١، ص١٣٤.

إذاً؛ فالسيّدة زينب عليها السلام على بيّنة من أمرها فيما يخصّ هذا الإمام، حتّى أنّها في خطبتها في أهل الكوفة بمجرّد أن قالت: «**فإنّه لا تحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر**»، قال الإمام السجاد عليه السلام لها: «**يا عمّة، اسكتي... وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مفهّمة... إنّ البكاء والحنين لا يردّان مَن قد أباده الدهر**»[1]، ولعلّ الإمام لم يرِد أن تسترسل السيّدة زينب عليها السلام بالحديث عن الثأر ـ ثمّ أثبت بأنّها عالمة بهذا الأمر، فاهمة له ـ لأمرين:

الأمر الأول: كي لا يتّضح حديثها بأنّه عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيشتبه الناس بعد ذلك بأنّ المختار الثقفي هو المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، لكونه خرج أيضاً بشعار: «**يا لَثارات الحسين**»، بغض النظر عن نسبه، وهذا ما جعل السيّدة زينب عليها السلام تتكلّم فقط بالإشارات عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بعد ذلك في خطبتها في الشام.

الأمر الثاني: يُحتمل أن يكون مراد الإمام زين العابدين عليه السلام أنّ أهل الكوفة وإن ندموا على غدرهم بالحسين عليه السلام، وأرادوا أن يُصلحوا ذلك في معركة التوابين ضدّ يزيد، والتي قُتل فيها جميعهم، إلّا أنّ غدرهم بالإمام الحسين عليه السلام سوف يترتّب عليه الأثر الوضعي، وهو دخول السفياني إلى الكوفة قُبيل الظهور، والفتك بأهلها، فلم يرد الإمام أن تسترسل عمّته عليها السلام في ذلك فتذكره؛ لأنّ هذا الأمر يؤذي أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ في الكوفة ضريح علي بن أبي طالب عليه السلام، وأنّ أهل الكوفة في زمن الظهور سوف يكونون من الشيعة المخلصين لأهل البيت عليهم السلام، فكلّ ما يجري عليهم سيؤذي أهل البيت بلا شكّ.

أمّا العبارة المنسوبة للإمام السجاد عليه السلام في الرواية المتقدّمة، وهي قوله لعمته زينب عليها السلام: «**إنّ البكاء والحنين لا يردّان مَن أباده الدهر**»، فنحن نضعها في محلّ إشكال؛ لأنّ الإمام السجاد عليه السلام كيف يقول ذلك، وهو الذي لم تهدأ عبرته، وكان يعمل على تهييج الحسرة والعبرة على أبيه الحسين عليه السلام، فكيف يُنكر على السيّدة زينب بكاءها

(١) المصدر السابق: ج٤٥، ص١٦٤.

وأنينها؟! ثمّ إنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يُبده الدهر، بل قتله الناس ظلماً وعدواناً، وعبارة: «**قتله الناس**» هي عبارة الإمام السجاد عليه السلام لابن زياد؛ لرفع التشويش عن الأفكار، فكيف له أن يستسيغ ذلك بعبارة: «**أباده الدهر**»؛ لنفهم أنّ هذه العبارة دخيلة على الرواية.

إذاً؛ الإمام السجاد عليه السلام قال للسيّدة زينب عليها السلام: «**اسكتي... يا عمّة**»، إمّا خوفاً عليها من شرطة الوالي، كما قال السيّد القزويني، أو كي لا تسترسل في الكلام عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيضع الناس الكلام في غير موضعه، ويطبّقونه على المختار فيما بعد.

النتيجة

لقد أكملنا بحثنا بحمد الله، مع أملنا بأنّه قد ارتقى إلى مستوى الخدمة للسيّدة زينب عليها السلام، وقد وصلنا فيه إلى عدّة نتائج، أهمّها:

١ـ إنّ تأخّر تسمية السيّدة زينب عليها السلام، وانتظار الإمام علي والسيّدة الزهراء عليهما السلام لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فيها؛ يدلّ على مدى احترامها عليها السلام لمقام النبوّة، فأمّ مريم العذراء ـ على الرغم من إيمانها ـ لم تصل إلى هذه المرتبة في احترامها لمقام النبوة، فهي التي أسمت ابنتها مريم، وقالت: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، ولم تنتظر في تسميتها رأي نبي الله زكريا عليه السلام. كما ويدلّ خبر تأخّر تسميتها على أنّ الإمام علياً والسيّدة الزهراء عليهما السلام على علمٍ بأنّ ذريتهما كلّها طاهرة، فينتظرون في تسميتهم أمر النبي صلى الله عليه وآله، والنبي ـ كما أخبر تعالى ـ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

٢ـ إنّ من ألقاب السيّدة زينب الكبرى أُمّ الحسن، ولعلّها لُقّبت بهذا اللقب؛ لأنّها ورثت عن أُمّها فاطمة الزهراء أُم الحسن عليه السلام مكارمها وعلمها.

٣ـ إنّ البنت الثانية لعليّ والزهراء عليهما السلام، والتي تُلقّب بأُمّ كلثوم ـ والتي نعتقد أنّه لمّا حجبها الإمام علي عليه السلام عن الأنظار بشكلٍ طبيعي وغيبي ـ قد انتقل لقبها لأُختها السيّدة زينب الكبرى عليها السلام، فلمّا أظهرها الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عمر، أصبحتا مشتركتين بهذا اللقب.

٤ـ إنّ حديث النبيّ صلى الله عليه وآله: «**أوصي الشاهد والغائب من أُمّتي، وأخبروهم أن يُكرموا هذه الصبية؛ لأنّها تشبه خالتها أُمّ كلثوم**» ـ الذي لا نعلم أنّه صلى الله عليه وآله هل يقصد واحدة من بنات الزهراء عليها السلام، الكبرى أو الصغرى؟ ـ نرى أنّه بحاجة إلى تكملة لم تُذكر؛ لأنّ الإكرام في الإسلام مقياسه التقوى وليس الشبه، كما قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وبذلك فالنبي صلى الله عليه وآله إذا أمر بإكرامها فقد أمر بذلك لأجل تقواها وسموّها الذاتي، وليس للشبه فقط، وهذه هي العبارة المفقودة في الحديث على فرض صحّة السند.

٥ـ إنّ من خلال مرافقة السيّدة زينب عليها السلام لأخيها الإمام الحسين عليه السلام، من دون زوجها، يتّضح لنا مدى أهمّية دورها في قضية الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّها لو كان معها زوجها لقيل: إنّ الدافع من مجيئها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام، هو مرافقة زوجها، كما كانت مع الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام، لكن لمّا لم يرافق زوجها الإمام الحسين عليه السلام، ورافقته هي وأولادها، تجلّت بكلّ وضوح أهمّية دورها في كفالة العيال وقيادتهم، وفضح بني أُميّة، وتهييج العَبرة على الإمام الحسين عليه السلام، واتّضح أنّ دورها هذا لم يأتِ عشوائياً، بل جاء عن تخطيطٍ إلهي مسبق.

٦ـ إنّ السيّدة زينب عليها السلام كانت ملتزمة بالحجابين: الظاهري، وهو الملبس الساتر لجسدها، والباطني، وهو التقوى، ومن دلالات ذلك هو قول بشير بن خزيم الأسدي عن خطبتها في الكوفة: «**ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذٍ، فلم أرَ خفرة والله أنطق منها**». والخفرة: هي المرأة الشديدة الحياء، ومن المؤكّد قال ذلك؛ لأنّ عليها علامات المرأة المستحية، كأن تكون تتكلّم وهي مطرقة إلى الأرض، أو تنظر للنساء دون الرجال؛ تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾، أو تكون محاولة لوضع الستر على وجهها وهي تخطب، فوصفها إثر ذلك بالخفرة، كما أنّه وصفها بأنّها تُفرغ عن لسان أبيها، أي: إنّها في منطقها ذات صلابة وبلاغة تُذكّر بصلابة وبلاغة علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا من التقوى وهي الحجاب الباطن، لأنّ

عكسه يكون الخضوع من قبل المرأة، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

٧ـ إنّ ابن الأثير في (الكامل في التاريخ)، يتحدّث عن سلب النساء، قال: «**ونهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء، حتّى إن كانت المرأة لتنزع ثوبها من ظهرها، فيؤخذ منها**»، ولعلّه يقصد في ذلك: سلبهنّ الإزار والنقاب، وليس الثوب الذي يستر أبدانهنّ؛ لأنّ سمعة وكرامة بنات محمدﷺ لا تسمح بهذا الشيء، والذي يتقرّر أنّ الله تعالى صرف عن نساء آل محمد كيد الأنذال، ولم يعرَّضن للسوء والفحشاء، كما صرف عن يوسف كيد النسوة، فقال: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، وقال: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾.

٨ـ اهتمّ أهل البيت عليهم السلام بالحجاب؛ لأنّه انطلاقة المرأة نحو النجاح، سواء نجاحها في أُسرتها، أو في تحصيل العلم النافع، أو التعليم، فالالتزام بالحجاب سرّ من أسرار نجاحات السيّدة الزهراء عليها السلام، وفضلها على جميع نساء الأوّلين والآخرين، كما وأنّه من أسرار نجاحات السيّدة زينب عليها السلام، وفضلها على جميع نساء الأُمّة الإسلامية عدا أُمّها الزهراء عليها السلام.

٩ـ لقد استنتجنا أنّ الحجاب قد أثبتته التجربة؛ وذلك لأنّ الأشياء إذا أُسرف في صرفها المادي انقلبت إلى الضدّ، فمثلاً: الأنسان اللبق إذا تكلّم مع أيّ أحد يلقاه في البيت أو خارجه، فلا يقال عنه: إنّه لبق بعد ذلك، بل يقال عنه: إنّه ثرثار، والإنسان البشوش إذا تبسّم أو ضحك بوجه أيّ أحد يلقاه في البيت وخارجه، فلا يقال عنه: إنّه بشوش، بل يقال عنه: إنّه مجنون، وهكذا، وحتى المرأة إذا أظهرت مفاتنها لجميع مَن في البيت وخارجه، سيقال عنها: إنّها مبتذلة، وعندها تواجَه بالكلام المعسول ممّن في قلوبهم مرض، فتفسد ويفسد بها المجتمع، وهذا من أسباب تركيز أهل البيت عليهم السلام على الحجاب.

١٠ـ إنّ السيّدة زينب الكبرى لما قالت ليزيد في مجلسه: «**أمِنَ العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقكَ بنات رسول الله سبايا؟!**»، لا يعني ذلك أنّ يزيد ذو غيرة على نسائه، بل ـ وكما أثبتنا بالدليل ـ أنّه:

أولاً: حجب نساءه وخدّرهن؛ ليغيض الإمام زين العابدين عليه السلام، وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين ساقهم أُسارى.

ثانياً: إنّ الغيور هو الذي يغار على كلّ امرأة ، ويعتبر كلّ امرأة تخصّه، وبذلك فإنّ يزيد ليس بصاحب غيرة طالما سبى النساء، كيف وهؤلاء النساء هنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثاً: إنّ الله تعالى قال: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، وهذا الذي فعله يزيد، فقد خدّر نساءه، وسبى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، مستهيناً بدين الله ورسوله؛ ليثبتَ بذلك عدم غيرته وفسقه وظلمه.

١١ـ إنّ السيّدة زينب عليها السلام لما خاطبها ابن زياد بقوله: «**كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت عليها السلام: ما رأيتُ إلّا جميلاً**»، وهذا القول ـ حسب ما نعتقد ـ له ظاهرٌ وباطن، فأمّا ظاهره، فهو أنّها كانت ترى مصرع إخوتها وأهل بيتها بأنّه شيء جميل؛ لأنّه في سبيل الله تعالى، وأمّا باطنه، فإنّ ابن زياد سأل السيّدة زينب عليها السلام عن رؤيتها بالعين الطبيعية، فأجابته هي عن رؤيتها المكشوف عنها الحجاب، وكأنّها رأت الملائكة تُظلّلهم وأشياء من هذا القبيل؛ لأنّها فعلاً لم ترَ آنذاك إلّا الجمال الإلهي والرحمة الربانية بهم.

١٢ـ إنّ من العلوم التي تعلمها السيّدة زينب عليها السلام، والتي استنتجناها من خطبتها في بحثنا، هي علمها بمراتب الموتى، وذلك من خلال قولها ليزيد: «**وتهتف بأشياخك،**

زعمت أنّك تناديهم». فاتّضح من خلال قولها أنّها تعلم بأنّ أشياخ يزيد بين كافر ومنافق، لا يسمعون النداء، أو يشهدون الحدث؛ لأنّهم في المرتبة السفلى بسبب كفرهم ونفاقهم، ولأنّ الأموات درجات، وأعلى مرتبة هي درجة إلقاء السمع، وهي الشهادة على أعمال الخلق من خلالها، وهذه الصفة هي خاصّة بمحمدﷺ وأهل بيته والأئمة من ولدهعليهم السلام، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

١٣ـ إنّ السيّدة زينب الكبرىعليها السلام في بعض العبارات التي في خُطبها أشارت إلى الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف، وبشّرت بظهوره، وهذا ليس استنتاجاً خاصّاً بنا، فقد أشار السيّد محمد كاظم القزويني في كتابه (زينب الكبرى من المهد إلى اللحد) إلى ذلك في إحدى عبارات خطبها، وأضفنا على إشارته سبب ذهابنا إلى تطبيق هذه العبارات على الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف، من ذلك توضيحنا بأنّ السيّدة كانت تتوّق إلى أن ترى الإمامة حاكمة، فكان لا بدّ أن تُروى لها أخبار الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف الذي ستكون فيه الخلافة حاكمة، وهنالك كثير من العبارات تبيّن أنّ السيّدة زينبعليها السلام عالمة بأخبار الأُمم السابقة ومطّلعة عليها، ولعلّ قولها ليزيد: «**وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين**»، تقصد به يوم ظهور الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف؛ لأنّ أكبر معركة سيخوضها الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف، هي مع السفياني، أي: من نسل آل أبي سفيان جدّ يزيد، وسينتصر الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف، فلعلّ السيّدة زينبعليها السلام خاطبت يزيد بهذا القول لأنّ السفياني من نسله وحامل فكره، فيزيد سيُهزم به. كما أنّ من الصيحات التي ستُسمع قُبيل الظهور هي: «**ألا لعنة الله على الظالمين**»، فلعلّ النداء الذي ذكرتهُ السيّدة زينبعليها السلام تقصد به هذه الصيحة قُبيل الظهور؛ كما أنّنا دلّلنا على ذلك بكلمة (ثأر) التي لا تُطلق إلّا على شيءٍ في الدنيا، وقد قالت السيّدة زينبعليها السلام لأهل الكوفة متوعّدة بعذاب الله: «**ولا يخاف فوت الثأر**»، وشرحنا مدى انطباق هذه العبارة على الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد كان ذلك المطلب الأخير من بحثنا.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، ١٩٧٠م.

٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣ ـ أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى.

٤ ـ بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان.

٥ ـ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن عجيبة (ت١٢٢٤هـ)، القاهرة، ١٤١٩هـ.

٦ ـ البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، الطبعة الثانية، الكويت.

٨ ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩ ـ تاريخ الأُمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة (بريل)، في مدينة ليدن، في سنة ١٨٧٩م، موقع يعسوب.

١٠ ـ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
١١ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
١٢ ـ تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب.
١٣ ـ خلاصة الأحكام في مهمّات السنن وقواعد الإسلام، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، مؤسّسة الرسالة، الطبعة الأُولى، لبنان ـ بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
١٤ ـ الدر المنثور والتفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مركز هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الطبعة الأُولى، القاهرة.
١٥ ـ روضة الواعظين، محمد بن الحسن الفتال النيسابوري (ت٥٠٨هـ)، منشورات الرضي، طبعة المكتبة الحيدرية، قم ـ إيران.
١٦ ـ زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيّد محمد كاظم القزويني، تحقيق وتعليق: ولده مصطفى القزويني، دار المرتضى، بيروت.
١٧ ـ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٨ ـ سير أعلام النبلاء، حمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، مؤسّسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م.
١٩ ـ شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ)، الطبعة الأُولى، دار الكتاب العربي.
٢٠ ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، دار الفكر، طبعة بالأوفست على طبعة دار الطباعة العامرة باسطنبول، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٢١ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان.
٢٢ ـ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ)، دار صادر، الطبعة الأُولى، بيروت، ١٩٦٨م.
٢٣ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (ت٨٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٤ ـ الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني (ت حدود ٣٦٠هـ)، تحقيق: فارس حسّون كريم، أنوار الهدى، قم المقدّسة، الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٢٥ ـ الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، الطبعة الأُولى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢٦ ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، الطبعة الأُولى بيروت.
٢٧ ـ اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، أنوار الهدى، الطبعة الأُولى، قم ـ إيران، ١٤١٧هـ.
٢٨ ـ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٢٩ ـ مفاتيح الغيب، محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الفكر، الطبعة الأُولى، ١٠٤١هـ.
٣٠ ـ موسوعة زينب الكبرى، السيّد علي عاشور، الطبعة الأُولى، بيروت ـ لبنان.
٣١ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأُولى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
٣٢ ـ الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والإنجليزية

EDITORIAL

Editor-in-chief

Praise be to Allah, Lord of the Worlds. Peace and blessings upon the most beloved creation of God of the Worlds, the Trustworthy Messenger, the Prophet of Mercy, Muhammad al-Mustafa, and upon his auspicious and blessed family.

The Warith al-Anbiya Institute of Special Studies in the Uprising of Imam al-Husayn, has become among the most important specialized scientific projects regarding Imam al-Husayn (PBUH). The Institute, was established under direct supervision from the legal custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, his eminence, the scholar, Shaykh Abdul Mahdi al-Karbalai (may he live long), the representative of the High Religious Referential Authorities. He was, and has always been very invested in this blessed project and aware of all of its scientific activities and projects in details.

The Secretary-General of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, his eminence, Sayyid Ja'afar al-Mousawi (may he live long), also shows engagement in the Institute, and is keen to have it continue its scientific contributions.

After this specialized theological institute, with its numerous branches, made considerable progress in its specialized scientific field regarding Imam al-Husayn's blessed uprising, it began to have a presence in the wider scientific fields in different western countries. Not to mention the Islamic and Arabic countries also. Thus, the reports of its projects, activities, and scientific and theological publications reached different fields, scientific and academic, where they moved into prominent scientific circles.

After the success granted from Allah and His divine support, and the fact that this work is related to the Master of the Martyrs and Free

People of the World, Imam al-Husayn (PBUH) – not a narrow political orientation or party – perhaps, the secret behind this undeniable developing, is that the Institute has taken upon itself to work toward creating a specialized scientific establishment. Knowledgeable in every field of the Husayni Uprising and its wide theological, historical, societal, and ethical dimensions, as a part of its project and scientific or specialized departments. Factors, which aided in the expansion of the Institute to different countries on a considerable scale.

Among the largest scientific projects which our Institute worked on – based on the guidance of his eminence, the legal custodian, to emphasize on women's conditions, and create departments for women, and encourage them to write – was the establishment of a department for women, to focus on the scientific and intellectual aspects related to women, and their role in the Event of al-Taff. This was a part of the large-scale project within the institute, in addition to other works, such as cooperation, public relation, and the appealing to female writers who actively contribute to educating the Muslim women to serve the community. Therefore, the Warith al-Anbiya Institute worked relentlessly with exceptional effort, and took upon itself the responsibility of establishing a scientific family, in different fields, with the specialized staff from the Department of Women as its core.

After the constant consultations with the scientific elite, the Women's Section began its specialized scientific work, while focusing on the scientific publications and research regarding the blessed Hussayni uprising, while stressing on the female aspect of it. The section corresponded with different scientific bodies, inside and outside of Iraq, to strengthen the departments and projects of the institute.

Among the strategic plans which made this section noticeably successful, is that the staff of the Institute is not limited to the employed staff, as it is common practice in institutes. Rather, the Institute worked to create a large family with members from outside the Institute, to work with the Warith al-Anbiya Institute as one beehive with the purpose of making the female related project succeed, and improve the educational status of women.

The Activities of the Women's Section

Among the subjects, which are worth mentioning and focusing on, concerning the Women's Section, is the activities and achievements of this section at a record time since its launch:

1. The preparation and holding of conferences and seminars, either with the participation of independent female writers, or in cooperation with contributing lecturers and researchers in their respective fields. Until now, we have had a variety of scientific activities, such as seminars, forums, or conferences, as The International Scientific Conference for Women concerning the women in Karbala, which contributed to different areas, such as the scientific, intellectual, and media area. Among the conference's most important contributions, is the present magazine in the hand of the dear reader. It contains proper scientific research serving society and upholding the scientific field.

2. Appealing to the proper scientific research and contributions written by female scientists about the women's role in Karbala or about more general topics, yet concerning Imam al-Husayn's uprising. These contributions will be published in their respective specialized fields and other encyclopedias, currently being worked on in the institute.

3. Proposing subject matters to be studied as academic thesis, including a detailed plan containing the demanded chapter subjects, and the general outline of the thesis, in order to be presented to the Department of Scientific Thesis at the Institute.

4. Searching for publications and contributions, regarding Imam al-Husayn (PBUH), written by women, in any language, in order to be translated by the Department of Translations in the Institute, or to whoever is found capable, among the sisters, to do so.

5. Being receptive and open towards the scientific capabilities in religious institutes for women, and the academic universities inside and outside of Iraq, in order to widen the scientific exchange. Also, to benefit from the Academic and Islamic Seminaries' expertise, to enrich the scientific field and promote Imam al-Husayn's uprising's ideology of the Muslim women.

The Conference for Women in Karbala

This blessed conference, was the result and the outcome of the aspirations and ambitions of the brothers administrating the Warith al-Anbiya Institute, when they decided that it was time to arrange the conference. Thus, they held several extensive meetings with the Women's Section at the institute, in order to reach a strategic plan, that would make a wonder out of the conference.

After the idea had been well addressed, and every corner of it covered, the decision was made, that the project would be worked on in cooperation with some scientific departments from The Holy Shrine of al-Abbas. The institute corresponded with the Holy Shrine, and discussed the possibility of establishing a female project that would open the doors for women to enter the world of writers. In order for them to contribute with their true potential, in work that would answer the raising obscurities and critical questions about women in the past and the present. While simultaneously, presenting a sample of their role in serving science and the intellect. The addressed departments were optimistic about this initiative, and we witnessed their reply that was thoughtful and full of eager towards making such projects succeed. Henceforth, we began to decide the scientific, preparatory, and technical aspect of the conference.

The Board of Directors of the Warith al-Anbiya Institute and the brothers responsible for the conference, laid strong emphasis on the necessity of having an extraordinary scientific female presence from the universities and the Islamic seminaries and the scientific institutes. In addition to the presence of the female associations at the holy shrines, with the hope of having this conference contribute to its part, and meet the expectations of the organizers and responsible people.

Therefore, scientific preparatory workshop, which aids in making this blessed scientific project succeed, was held, in order to benefit from the valuable suggestions and constructive opinions from the esteemed sisters, within and outside the institute.

The preparatory work for this conference thrived greatly, and this resulted in an unseen and unprecedented appealing effect, which attracted the female researchers and writers, who write about the specialized scientific perspective in the Husayni uprising, and in

particular, the female perspective. We have received nearly 100 research and reports, and many of these solid and beneficial contributions were accepted. Some of these mentioned contributions have been published in this issue of Al-Islah Al-Husayni Magazine. We have chosen to print them and publish them for the general good, under the title "Women and Karbala... An Ethical Approach".

The Outcomes of The Conference

The attention to the intellectual and scientific contributions of women, and the improving of the educational status of women, regarding Imam al-Husayn (PBUH), in addition to the noticed attention by the legal custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn (may he live long), in order to make this project succeed, was and still is, among the most important interests of our dear scholars, from the past and from the present. Accordingly, when we presented this project to our dear mentors, we witnessed how they emphasized this project while they simultaneously assured that the project would be successful and beneficial to the scientific field.

After we had initiated the project, we sensed the foretold results which exceeded the expectations and assumptions we had. To keep this editorial short, we will mention some of the outcomes.

1. Learning about the scientific and intellectual female contributions, and their regarding of the Husayni Uprising and the women's role within.

2. Discovering promising female writers, unknown to us previously: We had received some promising research, written by the esteemed sisters, which the Conference's Scientific Board was content with.

3. Upholding our scientific projects inside the Institute with a new type of contributions, which differs from the previous contributions, both in subject and in writing style, as the subject of this conference were related to Karbala and because its contributions were written, solely, by women. These contributions have provided the Institute with scientific projects, such as; conferences, the project of the Al-Islah Al-Husayni Magazine, and other such projects, which made use of the same female writers which we learned about through this exceptional activity.

4. Proving that the Muslim woman is prepared and capable of establishing widespread and large scientific, intellectual, and cultural

activities and projects. While simultaneously proving, that her adherence to her religious duties and obligations is not hindering her from conducting her reformative and intellectual role in society.

In reality, these important results and outcomes have been sought, and called for, by our previous scholars. They considered them to be among the important future expectations, which those in charge must conduct and achieve. Ayatollah Shaykh Muhammad Mahdi Shams al-Deen (may he rest in peace) says in his book, Waqe'at Karbala fi al-Wejdan al-Sha'abi, "(....) regarding this understanding, we focus on the following things (...) that the women's role in Karbala must be presented in a better fashion than the current one (...) we acknowledge that the subject of women in Karbala is in need of wide historical research, which has not been done yet, and which encompasses all the reports regarding this subject, and regarding other subjects related to the Husayni commemoration ceremonies. This is a research field, which was expected to be covered centuries ago by an institute that is 1300 years old. And if this field was not covered in the past, then it must be covered now, by reaseachers engaged in the affairs of the Husayni commemoration ceremonies…."[1].

We do not seek to address the important indications which this text contains, and which the Warith al-Anbiya Institute sought to accomplish a large part of, in this conference. Rather, we only mentioned the text as a sample of the calls by our prominent scholars, which sought for such important projects. It, simultaneously, depicted their interests and great emphasis on portraying the active role of the woman in Karbala.

Appreciation

In the end, I would like to pay our gratitude to the following entities:

1. The Legal Custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, his eminence, Shaykh Abdul Mahdi al-Karbalai (may he live long). This appreciation and gratitude, are due to his fatherly caring and his continuing support of all of our projects. Especially, his support and caring related to this conference through all of its phases. Especially, his blessed initiative, with a scientific evening gathering before the

)1(Shams al-Deen, Muhammad Mahdi, "Waqe'at Karbala fi al-Wejdan al-Sha'abi", p. 433.

conference, where he appreciated the ongoing efforts. He also appraised, what the Institute and its female staff had done in the conference. He also mentioned the contributions made by female researchers from different Arabic and Islamic countries. We are still benefiting from his blessed speech, and we have published it at the beginning of this number of the magazine, hoping that others will benefit from its important and valuable notes.

2. The Secretariat-General of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, for their support and supervision of all of our projects, especially, the International Scientific Conference for Women

3. All of the departments of the Holy Shrine of Imam al-Husayn, who only treated us with the utmost respect, and who were very helpful from the very beginning. Especially, the Department of Intellectual Affairs, the PR Department, the Department of Female Relations, the Technical Departments, the Department of Protocols, Karbala Satellite TV, and the radio channel of the Holy Shrine of Imam al-Husayn and other departments which eased the hardships for us, and prepared anything we needed, in order to make this conference succeed. I would also like to send a message of gratitude to the brothers responsible of the Sayyidul Awsiya Hall, the Khatamool Anbiya Hall, and the Complex of Sayyidul Shuhada, and the Visitor's City (the Complex of Sayyidul Awsiya) for their exceptional hosting of the pre-conference evening, which was held at their blessed facility.

4. The dear sisters who participated in the conference, for their engagement from the beginning of the conference till its end.

5. Our sisters, the researchers, for their valuable efforts which contributed to portraying the scientific and intellectual aspects of women in the past and the present. This makes us proud, and makes us appreciate our educational status and our women’s raising capabilities.

6. The Holy Shrine of al-Abbas. Beginning with their legal custodian, his eminence, Sayyed Ahmad al-Safi (may he live long), and the Secretary General of the Holy Shrine of al-Abbas. Including all of the departments, and I would especially mention the Department of Intellectual and Cultural Affairs, and more precisely the Women's

Library, for their exceptional efforts and caring of this blessed conference.

7. The Holy Shrine of Imam Ali, especially its female sections for their blessed efforts, devotion, and sincerity in serving the Master of Martyrs (PBUH) and in support of all of our scientific activities, especially the Scientific Conference.

8. In the end, I would like to express my endless gratitude and appreciation to the women's section of the Warith al-Anbiya Institute, for the exceptional efforts made by the sisters to make this conference succeed. Truth be told, the secret of this blessed conference's success is due to the effort and sacrifice which were made by the sisters in the Warith al-Anbiya Institue. In addition to their needed patience and tolerance when arranging large activities like this rare international conference.

Finally, I ask Allah the Exalted, to make this work beneficial in its field, so that we become among those who contributed to something of use, in the intellectual Husayni field.

The last of our prayers is; praised be Allah the Lord of the worlds, and may He send His blessings upon Muhammad and his pure Household.

The Speech of the Legal Custodian of the Holy Shrine of Imam al-Husayn[1]

His Eminence, Shaykh Abdul Mahdi al-Karbalaie

I seek refuge in Allah from the accursed Satan. In the name of Allah the most Beneficent, the most Merciful. Peace and blessings upon our prophet, Abi al-Qasem Muhammad and his pure and immaculate Household. Peace be upon al-Husayn and upon Ali, son of al-Husayn, and upon the children of al-Husayn, and the companions of al-Husayn.

Dear Brothers. Dear holders of scientific esteem. Dear sisters, researchers, and lecturers... Peace and blessings and the mercy of Allah the Exalted, upon you all.

Gratitude and Appreciation

In the beginning, I would like to congratulate you on the occasion of the instatement of Imam al-Mahdi (may Allah hasten his reappearance) and his receiving of the Imamate's preparatory duties. I would also like to offer extended gratitude, thanks, and appreciation to the dear brothers and sisters in the Warith al-Anbiya Institute. I would also like to offer gratitude and appreciation to the sisters in the women's library at the Holy Shrine of al-Abbas. In addition to special gratitude and appreciation to the sisters, the researchers, who added to the excellence of the conference with their valuable research.

In reality, when I saw some of the research titles, I became sure of, and hopeful toward the continuance of the Zaynabi[2] path regarding preserving Islam, and preserving the values of the Uprising of Imam

)1(This speech was delivered at the pre-conference evening which were held before the International Scientific Conference for Women, at the 28th 29th of November 2017, in participation with the women's library, The Intellectual and Cultural Department, the Holy Shrine of Imam al-Husayn.

)2([Translator's note:Lady Zaynab's path. Will be used in this text as 'related to Lady Zaynab', and/or 'Zaynab-like'.]

al-Husayn (PBUH). This conference, and this international participation from many of the female researchers who looked up to Lady Zaynab, makes us proud since it supports the education of woman with their enrichment in accordance to the Zaynabi school. Especially since the sisters have written about different subjects, some concerning the present and the past, and some concerning the hardships the Zaynabi women face, and some concerning the contemporary time's need.

Women's Role in Changing the Intellectual Contributions Into a Practical Reality

The papers of the sisters at the Conference for Women contained intellectual enrichment. This enrichment expresses the intellectual depth, and the precise analysis and rich conclusions which the researchers from different fields, and with different specialties, reached. The desired goal and the benefit from these research will be achieved if the theory is transformed into practice. At the moment, we are in need of continuing the path of these knowledgeable research who are benefiting the school of thoughts of Zaynab by having women stepping forward, especially in the high seasons where millions of pilgrims attend. A participation, we have not seen the like of in the past.

Based on the experience that we have had in the last years with administrating the Holy Shrines, proselytizing, and other tasks, I suggest that the sisters – especially when considering the available chances in the fields that I will mention later – pay great attention to the proselytizing aspect in their work. Especially the academic sisters and the sisters from the Islamic Seminary Schools. We need such intellectual contributions by having women participating in the community through:

1. Benefiting from the gathering of millions in the Arbaeen pilgrimage, and the Pilgrimage of the 15th of Sha'aban, for at no other place in the world does such large gatherings exists.

2. Coordinating with the concerned personnel at the Holy Shrines and those in charge of the Husayni caravans[1], in order to improve the cultural and intellectual level, and the practical implementation, even within the families.

)1([Caravans which commemorate Imam al-Husayn)PBUH(, and provide food and shelter for the pilgrims.]

My sisters, in the last years when these numbers of pilgrims began to grow day after day, there was a presence of the dear brothers and students from the Islamic Scientific Seminary courses, in the Arbaeen season. There were a noticeable attendance and presence of proselytizing campaigns in the form of stations, from different cultural Islamic theological jurisprudential and ethical fields. This is an opportunity only made possible by such an event, and such presence is not possible in other months of the year.

We expect from the dear sisters to also invest their enriching knowledge in the practical field, especially when we have a blessed group of sisters who have made a detailed and deep analysis of the Uprising of al-Husayn and the path of Zaynab (PBUT).

The Contributing Presence at the Women's activities

If we only count those who participated in the Arbaeen pilgrimage, the numbers that have been mentioned for this year are around 13 to 14 million [pilgrims]. And you will notice that there are 5 to 6 million women – who look up to Zaynab – participating in this season, if we assume that they only pose half of the participants. We know that this number is unreachable at other months of the year. Therefore, we have an opportunity to conduct religious awakening proselytizing, whose methods are various. Such as:

1. By meeting with people in person.
2. Through culturing and approaching the female community in any field needed by women.
3. By answering the jurisprudential questions related to women.
4. By educating women on problem-solving and dealing with hardships faced by Zaynabi women.

The proselytizing to women is not limited to the Arbaeen pilgrimage only. We have other gatherings of women too, for instance, the congregational prayers which exemplify the characteristics of the followers of the Household (PBUT), by portraying their relationship with prayers and their adherence to pray at the time. At the Arbaeen pilgrimage, congregational prayers are being held at the three main entrances to Karbala (Najaf, Babylon, and Baghdad), which can be well-used to serve the jurisprudential proselytizing to women.

The role of the cultured woman and the enlightened researcher is not limited to this. Their role is so wide, that it demands that the dear sisters, the researchers, enter the community and have an aware presence through the following;

Firstly: Opening up to the society of the employed women, the university lecturers, the engineers and physicians, the teachers and pupils, the students and stay-at-home mothers. Especially, when considering that some of the sisters do not possess the intellectual and cultural know-how that would prepare them for the hardships of life, and that they lack the knowledge that the researchers possess. This requires greater efforts when proselytizing and propagating the Zaynabi message to the entire female society.

Secondly: Presenting role models that embody the Zaynabi role in the battle against unrighteousness. We must focus on this point and focus on its importance, for when we read about female role models at the Battle of al-Taff, we assume that the existence of these personalities was limited to the time around the year of 61 HE, as these Role models represented the noblest values, and they reached the peak in the embodiment of them. We also assume, that we lack such role models in the female community at other times. However, brothers and sisters, we have discovered a sufficient amount of such role models who re-embodied the roles from the Battle of al-Taff.

I, therefore, wish that the sisters read the stories of the mothers and the wives of the martyrs of the current battle, the battle which we are engaged in with the gangs of Daesh. This battle completely revived the scenarios of the Event of al-Taff. Perhaps when we witness the nature of the intellectual battle of it, and the nature of the principles that are witnessed at the two fighting camps; we will notice that it is a recalling of what happened at the Event of al-Taff. Moreover, the conduct of women witnessed at that battle, are now being witnessed in this battle. Perhaps, some people do not know about the stories that have been written about the families of the martyrs. If you were to read about them, you would find the same mother who urged and encouraged her son to fight. Also, you will find a mother, who did not care when all four of her sons were martyred, or when she urged her fifth son to fight, and we witness, that he also answers the call of the fight. Or that patient wife who urged her

husband to fight, and then takes upon her the responsibility of a mother and a father, and other responsibilities after her loss of her husband.

Those previous examples, that we read about in the Event of al-Taff, are being repeated today in our fight against Daesh. Our responsibility is to present a woman who embodied those principles in our current time. When we recall one of the women from al-Taff we might become emotional, however, when we recall the women from our current time; the mothers, the wives, and the sisters of the martyrs, we will certainly be more moved due to two factors:

Firstly: The following and imitation of the women from the Event of al-Taff have transformed from being a theoretical following and imitation, into a practical following. And that is something rare, yet the families of our martyrs have made this possible in the best way.

Secondly: Presenting a contemporary example of a woman sacrificing, fighting, and defending the inviolability of the religion, for women to follow as a sample in the future.

It is no secret, that we stand in respect and gratitude, when we witness the mother who has offered four of her sons as martyrs at the Battle of al-Taff, being present among us in our battle against the gangs of Daesh. We have seen many mothers offering four or three of their sons as martyrs. And despite the pain and the tragedy, we find them at the highest level of patience, motivation, and preparation to offer the fourth or fifth martyr as well.

We must present these role models to the world, so that they become immortalized, just as the Zaynabi women in the past were immortalized. Especially, when our battle with the gangs of Daesh has created many women, who are being counted as the best sample and the embodiment of a Zaynabi woman, as the women who encourage their husbands to Jihad, and then their patience in their absence, or when they encourage their sons to fight.

Dear sisters, notice that these women, were simple people, with a simple cultural background, and a simple social status. However, they embodied a great sample, and therefore we need to introduce them to the people today.

Thirdly: Opening up to the other sects, and that is something that we witness at the Arbaeen Pilgrimage with its millions of participants and

also at other pilgrimages. The battle that we have experienced, and the conditions that Iraq went through these past years, where the country almost went into a sectarian war, forces us to work toward propagating the culture of social coexisting, following the principles of the School of the Household (PBUT). This requires the women who follow the Sect of the Household, to open up to the women who follow other sects, especially in Iraq and the Islamic world. In addition, to opening up to the followers of the other religions in the rest of the world, especially, in the European and Eastern societies, to present the principles of the Husayni Revolution to the world.

In reality, we have not witnessed a time, in which the world has been so aware of the Husayni Revolution, such as this time. And that is due to many reasons, which I hope you will pay attention to:

1. The cultural, valuable, political, and educational status, which the followers of the Household (PBUT) hold in the world of human values and in the field of spreading these values to the entire world.

2. The resilient and strong embodiment of these values in our time, and at important places around the world, especially, in our area which had an important role in propagating these principles and making them international.

Therefore, we need liberation and openness from the intellectual narrow-mindedness, in order to present these values to the women of the Eastern and Western world. We will mention an example of this from the Arbaeen Pilgrimage:

Sisters, when we see that many men from around the world come to Iraq and witness values and principles that they are in need of, and which they did not find in the West nor East. Nor in the cultural and intellectual world. Nor practiced in real life, then that [need], will at least become a triggering factor that will attract these people towards these principles and values. This attraction, will strengthen the position and status of the followers of the Household (PBUT) in the international community, and it will empower them. Thus, there are many benefits gained and achieved from being open and practically embody the principles and values of the Husayni Uprising.

When the western women become affiliated with many of the principles and values that she was short of, and then finds them here,

embodied in the women in the Arbaeen Pilgrimage then she will be attracted to these principles.

Fourthly: Identifying the most effective tool and meeting its requirement. We must study the case, of the great and wide acceptance toward the collective Jihadi Fatwa in Iraq, and the secret behind this acceptance. In four years of battle with many martyrs and injured – mostly from the lower-income classes, and many from very poor families – we have witnessed firmness and patience being practiced through all these years. Years, which were preceded by explosions, which lead to many martyrs, injured, widows and fatherless children. Yet still, we witness resilience, firmness and patience toward tolerating the results of this battle.

Among the important reasons and factors which led to these results and this wide acceptance, is the role of the Husayni dais, due to its great effect on people. Therefore we must strengthen the pillars of the Zaynabi dais, for just as there exist men with a wide cultural knowledge about the Husayni case, who have great capabilities of addressing the society in general, we are also in need of female Zaynabi proselytizers and speakers who have the capability of addressing woman from the dais.

My sisters, there is an important point which we must pay attention to, and that is that sometimes, the proselytizer preaches about principles and values; however, he does not use the Husayni dais. And sometimes a preacher sits on the Husayni dais, and that fact alone has a great effect on people, due to the dais' relation to Imam al-Husayn (PBUH).

When we have a Fatimi[1] dais and a Zaynabi dais, then that person who preaches becomes affiliated with Fatima al-Zahraa (PBUH), and having the dais affiliated to Fatima and Zaynab (PBUT) is a factor that makes it effective among people. Therefore, we need the effect of the Zaynabi proselytizers and preachers who possess the required, culture, values, and presentation abilities that meet the needs of the female society. That is why, the development and preparation of that dais, with many Zaynabi preachers and proselytizers, has become important. With preachers and proselytizers who possess the culture, knowledge, and capability to influence the female society and address it.

Fifthly: Spreading cultural and religious awareness to the women,

)1([Related to Lady Fatima)PBUH(]

and spreading awareness to the women in the religious, educational, and proselytizing fields. The academic aspect of the academic sciences is being emphasized. Therefore, there must also exist equivalent emphasizing on the importance of the religion and the Islamic Seminaries. This should be done by having a proper amount of women, directing their attention to these sciences. For just as families wish that their daughters become physicians and pharmacists, we must also direct our [and their] attention toward the needs of the female society, and present female preachers, proselytizers, researchers, and professors in the jurisprudential, theological, and ethical fields, in order for that segment of women to lead the society.

We need to direct our attention toward these sciences, which rely upon a group of values, such as the social status and position of the female preachers, and we must hold the Zaynabi female proselytizers and preachers in high esteem, respect and admire them in the society. Exactly, as we hold the physician and engineer in high esteem. This attitude does encourage and inspire women to pay attention to this field and move toward understanding the secret of the Zaynabi media.

Dear sisters, sometimes we notice that a simple sermon, keeps influencing the societies for thousands of years, just like the sermon of Lady Fatima al-Zahraa (PBUH), and the sermon of Lady Zaynab (PBUH). Therefore, it is upon us to understand the secret behind this immortalization of Zaynabi media, which has stretched for centuries and still influence people to this day.

We suggest, that the brothers and sisters, establish an academia for proselytizing for women, named “The Academy of Zaynabi Media”, dedicated to understand how to address women, inside or outside of Iraq, from other societies, and how to utilize the Zaynabi preaches, in order for us, to have the media capabilities to address the female society. This requires some sort of specialized study in the Zaynabi media.

We expect - by the will of Allah - that such academies will be established, and we also hope that the sisters will contribute in other countries as well, such as Pakistan, Turkey, and European and Asian countries. For we have a will, to open our door to the whole world. By the grace of Allah, at our present time, we have participants from Islamic countries, such as Iran, Lebanon, and Bahrain and other countries.

However, we do hope that there will be more openness toward other Islamic countries, and western and eastern countries as well, in order to introduce the Husayni uprising, and simultaneously embody this revolution to these worlds.

May Allah reward you for this conference, and our thanks and appreciation to all the brothers and sisters, which contributed to this conference for women, which makes our religion proud. It brings us contentment, to witness such an activity, which we hope becomes wider and larger in the years to come, by the will of Allah, the Exalted. Our thanks and appreciation to everybody, and we ask Allah that He accepts this effort, and makes us succeed. Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace be upon Muhammad and his immaculate and pure Household.

الشواخص العرفانية في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام وأثرها في تحكيم ثقافة عاشوراء

د. فاطمة كريمي

ترجمة: زهراء السالم

يسعى المقال إلى إبراز الشواخص العرفانية العميقة في خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الشام، والتي تُشير إلى قدسية أهداف السيّدة عليها السلام من إلقاء تلك الخطبة؛ وذلك من أجل نشر ثقافة عاشوراء ومكافحة المظلومية.

وقد أشارت الكاتبة إلى أنّ أهمّ خطوة عرفانية في خطبة السيّدة عليها السلام، هي الطاعة المحضة لله تعالى والالتزام بالتقوى والعبودية.

ثمّ أوضحت بأنّ السيّدة زينب عليها السلام تؤكّد كثيراً التعاليم الأصلية والفرعية للدين الإسلامي، التي ترفع الفرد إلى مقام العبودية، معتبرة أنّ هذا هو أهمّ نداء لنهضة عاشوراء، وعلى هذا الأساس؛ فإنّ المعالم الأساسية كـ(العدالة، الصبر، المغفرة، الشكر لله، الاعتماد والاطمئنان بالله، و...) من لوازم الوصول إلى مقام العبودية والتقوى، وهذا ما انطلقت منه السيّدة زينب عليها السلام في رسالتها بعد واقعة كربلاء.

كما أشارت إلى أهمّ الشواخص العرفانية التي يمكن لمسها بوضوح في خطبة السيّدة عليها السلام، وذلك ضمن مقامات، منها: (مقام الصبر، مقام السكون، مقام الذكر، مقام الخشية، مقام الخشوع، مقام التقوى، مقام التوكّل، مقام الاعتصام، مقام الاطمئنان، ومقام الإحسان، و...).

The Spiritual Characteristics in the Sermon of Lady Zaynab (PBUH) at Damascus and its Influence in Strengthening the Culture of Ashura

Dr. Fatima Karimi
Translated into Arabic by Zahraa al-Salem

The article seeks to promote the deep spiritual characteristics in the sermon of Lady Zaynab (PBUH) at Damascus, which reflect the sanctity of the Lady's (PBUH) goals by delivering that sermon, in order to spread the culture of Ashura and fight the injustice.

The writer mentions that the most important spiritual part in the sermon of the Lady (PBUH), is the pure obedience to Allah, the Exalted, and the adherence to Allah-fearing and servitude.

Then she explains, that Lady Zaynab (PBUH) strongly emphasized on the original and marginal understandings of Islam, which elevates man to the status of servitude. The writer regards this to be the most important goal of the uprising of Ashura, and based on this understanding, the basic beliefs – such as; justice, patience, forgiveness, gratitude to Allah, the relying upon and trusting in Allah… – are requirements needed to reach the status of servitude and Allah-fearing. This was Lady Zaynab's (PBUH) understanding when she launched her campaign after the Event of Karbala.

She also referred to the most important spiritual characteristics witnessed clearly in the sermon of the Lady (PBUH) at different aspects of the sermon such as the aspect of patience, tranquility, remembrance of Allah, contemplation, meekness, Allah-fearing, reliance upon Allah, adherence, certainty, philanthropy, etc.

قراءة في مفهوم العزّة لدى السيّدة زينب عليها السلام وبقية أُسارى كربلاء في مواجهة العدو

د. معصومة ريعان

ترجمة: الشيخ محمد الحلفي

ابتـدأت الكاتبة مقالهـا بمفهوم العزّة، وبيّنت أنّها من الأركان الأساسـية في سـيرة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ومن المسـائل الرئيسة في الإسلام، والتي تعتمد عليها التربية بشـكل أسـاسي، وأنّها بالأصالـة صفة إلهية تُفـاض منه تعالى على الرسـول والمؤمنين، وفي الوقـت ذاتـه، فإنّهـا وليدة الحياة الاجتماعيـة وقيمها التي تتجلّى في جميع الأنشـطة والفعاليات اليومية للإنسان.

كما أشـارت إلى أنّ الجهة الإصلاحية في سـيرة النبي صلى الله عليه وآله تتّجـه بوصلتها نحو تربية الفرد والمجتمع على عزّة النفس؛ لتصنع أشـخاصاً أقوياء صارمين صامدين ثابتين، لا يُخترقون ولا يثنيهم شيء.

بعد ذلك أوضحت الكاتبة أنّ هذه العزّة ـ التي هي ثمرة الإسلام والإيمان ـ تجلّت بأكمل صورها في أهل بيت الرسـول صلى الله عليه وآله، وامتزجت بسـيرتهم العملية، وأنّ من صور عزّتهم وإبائهم ما تجلّى في واقعة عاشـوراء، وأثناء أسر النسـاء والأطفال، مسـتعرضة مواقف العزّة والكرامة في كلمات وأقوال الإمام الحسـين عليه السلام، من حين خروجه وحتّى شهادته عليه السلام، ثمّ ليأتي الدور للأُسارى من أهل بيته عليهم السلام الذين تجلّت في كلماتهم وخطبهم ـ التي ألقوها في الكوفة والشام ـ أروع معاني العزّة والكرامة والإباء.

A Perusal of the Concept of Dignity in the School of Lady Zaynab (PBUH) and the Rest of the Captives of Karbala When Facing the Enemy

Dr. Masooma Ray'an
Translated into Arabic by Shaykh Muhammad al-Helfi

The researcher begins her article with the concept of dignity and elucidates that the concept is among the basic constituents in the life of the Prophet (PBUH&HF) and his household (PBUT), and the basics of Islam also, in addition to being a core constituent in the raising of a child. She adds that the concept of dignity, in reality, is a divine characteristic bestowed from Him, Exalted is He, upon His messenger and the believers at the same time. The concept is the outcome of social life and its values, which are embodied in the daily life of humans.

She also mentions that the reformative directions' compass in the life of the Prophet (PBUH&HF) points toward educating the individual and the society about dignity, in order to create strong, stark, and steadfast members of the society, who are impenetrable and adamant.

The researcher then explains that this dignity – which is the fruit of Islam and faith – were embodied, perfectly in the Household of the Messenger (PBUH&HF), and that it blended with their conduct in life. The Event of Ashura has embodiments of their dignity and refusal of injustice, as does the captivity of the women and children. The researcher presents the dignity and honor in the speeches and words of Imam al-Husayn (PBUH), from the beginning of his uprising till his martyrdom. Followed by the role conducted by the captives from his family (PBUT) whom's speeches and words – delivered in Kufa and the Levant – contained the most beautiful sample of dignity, honor, and refusal of injustice.

فاطمة بنت الحسين عليها السلام سيّدة الجمال والمسؤولية

م. زهراء حسن السالم

تنطلق الكاتبة من مفهومَي الجمال والمسؤولية وتجلّياتهما في شخصية السيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام؛ لتوضّح ما امتازت به عليها السلام من سلوك، وعبادة، وعفاف، وشجاعة، ووقار، وعلم، وبلاغة، وغير ذلك من الفضائل السامية.

بدايةً بيّنت الكاتبة مفهومَي الجمال والمسؤولية، فذكرت أنّ الجمال على قسمين: حسّي، ومعنوي. كما قسّمت المسؤولية إلى ثلاثة أنواع: مسؤولية قبال النفس، ومسؤولية قبال الأُسرة، ومسؤولية قبال المجتمع.

ثمّ أشارت إلى ملامح تجسّد مفهومَي الجمال والمسؤولية في الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، واعتبارهم الشجرة الطيّبة التي من أغصانها فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، والتي كانت آية للجمال الإلهي، وشعاراً للمسؤولية الربّانية.

بعد ذلك استعرضت الكاتبة مواقف متعدّدة للسيّدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، يتبيّن من خلالها كيفية تجلّي مفهومَي الجمال والمسؤولية في شخصيّتها عليها السلام، ومن تلك المواقف:

١ـ حضورها مع زوجها في ركب الإمام الحسين عليه السلام، مع علمها بما سيحلّ بهنّ في كربلاء.

٢ـ محافظتها على الحجاب؛ وذلك عندما طلبت من عمّتها زينب عليها السلام خرقة تستر بها رأسها.

٣ـ شجاعتها وصلابة موقفها في تبليغ رسالة أبيها الحسين عليه السلام.

إضافة إلى ما دوّنته مصادر التاريخ في تقواها، وعلمها، وتسبيحها، وخشيتها من الله تعالى، إلى غير ذلك من مواقف الجمال والمسؤولية.

Fatima Daughter of al-Husayn (PBUT), the Lady of Beauty and Responsibility

Zahraa Hasan al-Salem

The writer begins her research with the concepts of beauty and responsibility and their embodiment in the personality of Lady Fatima, daughter of al-Husayn (PBUT), in order to elucidate the lady's excellence in conduct, worship, chastity, bravery, solemnity, knowledge, eloquence, and others such fine characteristics.

In the beginning, the researcher explains the two concepts of beauty and responsibility, where she mentions that beauty can be divided into two categories: material and immaterial beauty. She also divided responsibility into three categories; the responsibility to oneself, the responsibility to the family, and the responsibility to the society.

After that, she mentions the traits of the embodiment of the concepts of beauty and responsibility in the Holy Messenger and his household (PBUT). In addition, to the consideration of them as 'the Good Family Tree' [which is mentioned in the Holy Quran], with Fatima, daughter of al-Husayn (PBUT), as one of its branches, who herself was an embodiment of divine beauty and responsibility.

Thus, the writer presents several situations with Lady Fatima, daughter of al-Husayn (PBUT), where the embodiment of these concepts in her personality is clear and visible. Such as:

1. Her attendance, accompanied by her husband, in the caravan of Imam al-Husayn (PBUH) well aware of the calamity that will occur to them.

2. Her conservation of her Hijab, as when she asked her aunt for a garment to cover her head with.

3. Her bravery and firmness when proselytizing the message of her father, al-Husayn (PBUH).

In addition to the history books, which recorded about her Allah-fearing, knowledge, reminiscence, and contemplation of Allah, Exalted is He, and other situations with beauty and responsibility.

الضبط النفسي للسيّدة زينب عليها السلام في مواجهة عنف السلطة

م. فريال ياسر الأسدي

تسلسلت الكاتبة في هذا البحث مبتدئةً بتوضيح بعض المفاهيم الواردة في عنوانه، كمفهومَي ضبط النفس، والعنف وأشكاله، مثل: العنف الجسدي والمعنوي.

ثمّ أكّدت الكاتبة ضرورة طرح نماذج من تراثنا الإسلامي العريق لتكون لنا قدوة، موضّحة أنّ أروع نماذج هم أهل بيت النبوّة والوحي عليهم السلام، وأنّ الإرث الفكري والروحي والتربوي الذي صنعته لنا السيّدة زينب عليها السلام مهمّ جدّاً، فلقد واجهت السيّدة زينب عليها السلام في مسيرتها الكثير من الرزايا والمواقف الصعبة، فتحلّت بضبط النفس وانتصرت عليها، فهذا الإرث يستحقّ الوقوف عنده، والتمعّن بمضامينه العلمية والفكرية والتربوية.

وكذلك نوّهت بضرورة استلهام الدروس والعِبَر من شخصية عظيمة صنعت التاريخ في حمل قضيّتها، وسلّطت الأضواء على مواقع الظلامة، وقامت بتأجيج العواطف وإلهاب المشاعر، أثناء الواقعة وبعد الواقعة، بمواقف عاطفية ووجدانية، لم تكن مجرّد ردود أفعال، بل كانت مواقف سما فيها فكر بنت مدرسة الوحي، حيث برق هذا الفكر كسيوف ترفعها نحو الظلم؛ دفاعاً عن الحقّ والرسالة المحمدية.

بعد ذلك تطرّقت إلى مظاهر العنف، ومعالم المحنة التي واجهتها هذه الشخصية الفذّة في الواقعة وما بعدها، والتي استطاعت ـ بعلمها، وحكمتها، وضبط نفسها ـ مواجهة العنف الواقع عليها وعلى أهل بيتها عليهم السلام، وتحويل تلك المحن والمصائب إلى انعطافة في النصر.

The Self-restraint of Lady Zaynab (PBUH) When Confronting the Violence of the Regime

Firyal Yasir al-Asadi

In this research, the writer begins by explaining some of the mentioned terms in its title, such as the terms; self-restraints and violence, and violence's various forms, such as physical and mental violence.

Then the writer emphasizes the importance of presenting samples from our pure Islamic heritage, in order for them to become role models for us. The writer then explains that the best role models are the Household of the Prophethood and the Spirit (PBUT) and that the intellectual, spiritual, and educational heritage, which were created by Lady Zaynab (PBUH), is very important. That is because Lady Zaynab (PBUH) faced many calamities and difficult situations in her journey. Therefore, she equipped herself with self-restraint and overcame them. Accordingly, this heritage deserves to be studied, and its scientific, intellectual, and educational content scrutinized.

She also emphasizes the importance of extracting lessons and examples from such a great personality who shaped the history, in order to deliver her message, and shed light upon the unjust situations. She evoked the emotions and feelings, during the event, and after the event, with emotional and conscious situations, which were not merely a reaction to the event. Rather, it was situations in which the views of the daughter of the School of the Spirit were elevated and shined like swords raised against the tyranny, in defense of righteousness and Muhammad's message.

Thereafter, she addresses the violence and hardships which this unique personality experienced, at the event, and after it, where she was able to, with her knowledge, wisdom, and self-restraint, to face the calamities inflicted upon her and her household (PBUT), and transform those calamities and tragedies into a victory.

دور المرأة في الإعداد النفسي وتعزيز العقيدة الحسينية

م. د. إيناس جاسم الدروغي

أشارت الكاتبة في المقدمة إلى الدور الفاعل الذي أدّته المرأة عبر العصور المتقدّمة في مختلف المجالات، وقد تجلّى بالموقف البطولي الذي قامت به السيّدة زينب عليها السلام، التي كانت راعية لمسيرة الحسين عليه السلام منذ انبثاقها، والمرأة اليوم تستطيع أن تُكمل المسيرة الحسينية من خلال تجسيد مبادئها، وإعداد الأجيال القادمة.

قسّمت الباحثة المقال إلى مطلبين: يتناول الأوّل المبادئ الإنسانية في النهضة الحسينية، مشيرةً فيه إلى أنّ النهضة الحسينية قد تفرّدت في تجسيد كلّ المعالم الإنسانية، أمّا الثاني فيتناول دور المرأة بصفتها أُمّاً ومعلّمة في الإعداد والتعزيز.

والمقصود بالإعداد، هو: التأسيس لاستقبال واستيعاب مبادئ وقيم النهضة الحسينية؛ وذلك من خلال الأدوار التي تشغلها المرأة، وقد ركّزت على دورين هامّين في التوجيه والتأثير، وهما: دور المرأة الأُمّ، ودور المرأة المعلِّمة، كما سلّطت الضوء على الإمكانات التي تملكها المرأة في هذين الدورين، ولذلك عُنيت الدراسات الحديثة بالأُمّ؛ للتأثير الذي تتركه في الطباع المكتسبة عند الطفل، ومن القيم التي تستطيع الأُمّ غرسها في طفلها: التضحية، الإيثار، الصبر، الاعتراف بالذنب، وتصحيح الخطأ.

وفيما يرتبط بالمرأة المعلِّمة ذكرت أنّ للمؤسّسة التعليمية دوراً في التوجيه العقدي لمختلف شرائح المجتمع، ولا يخفى ما لدور المرأة كمعلِّمة من أهمّية بالغة في ترسيخ وتوجيه الأفكار الحسينية، وذلك من خلال حملة توعوية تستمدّ قوّتها من مبادئ الثورة الحسينية، ومن أهمّ المبادئ التي يجب التركيز عليها: السلام والإنسانية، الشعور بالمسؤولية، ربط المادّة الدراسية بمبادئ الثورة الحسينية.

Women's Role in Self-preparation and the Fostering of the Belief in Imam al-Husayn

Dr. Inas Jasem al-Doroughi

In the introduction, the writer refers to the active role conducted by women in the past ages and in different fields, where it peaked with the heroic role which Lady Zaynab (PBUH) conducted, as she was the caretaker of Imam al-Husayn's (PBUH) journey from its very beginning. Today, women can continue the path of Imam al-Husayn (PBUH) by embodying its principles and preparing future generations.

The researcher divided the article into two main subjects; the first part revolves around the human values in the uprising of Imam al-Husayn. In this part, she mentions that the uprising was unique in its embodiment of all human values.

The second part is regarding the role of women as mothers and teachers when preparing and fostering.

With preparation, she means, the preparation and establishment to receive and comprehend the principles and values of Imam al-Husayn's uprising, through the roles conducted by women. The writer focuses on two significant roles when guiding and influencing people. They are; the role of the mothers and the role of the teachers. She also focuses on the capabilities which women possess in these two roles, and we also witness new studies about the role of the mother, due to the effect she has on the child's character and traits. Among the values which mothers can imprint their children with are; sacrifice, selflessness, patience, the admitting of mistakes, and the correcting of them.

Regarding the female teachers, she mentions that educational establishment has a role in the theological guidance of different segments of the society. The significance of teachers in imprinting and teaching the ideology of Imam al-Husayn (PBUH) is no secret. This role can be

conducted through an educational campaign based upon the principles of the uprising of Imam al-Husayn (PBUH). Among the most important principles that must be focused upon are; peace and humanity, the sense of responsibility, and connecting the taught material with the principles of the uprising of Imam al-Husayn (PBUH).

سبايا الطف بين الإرهاب النفسي والاضطهاد الجسدي

دراسةٌ تحليلية

إعداد: د. فراقد داوود سلمان

مقال تحليلي وصفي، تصدّرته مقدمة ذكرت فيها الكاتبة أنّ المرأة تُمثّل نصف المجتمع، وتُعدّ عاملاً رئيساً لأيّ تغيير ثقافي أو اجتماعي، وفي مجال النهضة الحسينية لم يقلّ دور المرأة عن دور الرجل، فقد حافظت على القيم، وعملت على ترسيخها والدفاع عنها.

وقادها البحث إلى فرضية طرحتها بشكل تساؤل، مفاده: هل تمكّنت السياسات الإرهابية الأُموية حيال السبايا من ثنيهنّ عن هدفهنّ في الحفاظ على المُثل العليا، والصمود إزاء الإرهاب؟

وتكمن أهمّية البحث في توضيح عجز السياسات الإرهابية الأُموية ضدّ السبايا عن ثني عزيمتهم في دعم الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن إصلاح المجتمع، واستنهاض الأُمّة بعد أن ابتُليت بالانحراف.

وقد قسّمت البحث إلى أربعة مباحث:

خصّصت الأوّل لبيان أهداف الإمام عليه السلام من اصطحاب أهل بيته إلى العراق.

وركّزت في المبحث الثاني على سياسة الإرهاب الأُموي ضدّ أهل البيت عليهم السلام والسبايا، مشيرة إلى الجذور التاريخية للممارسات الإرهابية في المجتمع الإسلامي.

وأُفرد المبحث الثالث لسياسة الاضطهاد الجسدي ضدّ السبايا، معدّدة صور الاضطهاد التي تعرّضت لها النسوة والأطفال، ومدى المقاومة والصبر والشجاعة التي تحلّت بها السيّدة زينب عليها السلام وسائر السبايا.

أمّا المبحث الرابع فقد اختصّ بالدور الرسالي للسبايا، والمشاهد التي تجلّى فيها هذا الدور.

The Captives of al-Taff; The Mental Terror and the Physical Mistreatment

An Analytical Study

Prepared by Dr. Faraqed Dawood Salman

A descriptive, analytical article, beginning with an introduction in which the writer mentions that women represent half of the society, and are to be considered among the basic factors of any cultural or social change. Their role in the uprising of Imam al-Husayn was no less important than that of the men, as they preserved the values, and worked toward solidifying and defending them.

The study led her to a theory that she presented as a question, its essence being; were the Umayyad terror policies able to distance the captives from their goal of preserving the best example and be steadfast against terrorism?

The importance of the study lays in elucidating the incapability of the Umayyad terror policies against the captives to remove their support of Imam al-Husayn (PBUH), and the reformation of the society, and awakening the nation after it was inflicted with deviation.

She divided the study into four parts:

The first part deals with the purposes of the Imam (PBUH) when he brought his family with him to Iraq.

In the second part, she focuses on the Umayyad terror policies conducted against the Household (PBUT) and the captives, while she mentions the historical origins of the terror activities in the Islamic society.

The third part was dedicated to the physical mistreatment policy conducted against the captives, as she mentions various types of mistreatment which the women and children suffered. In addition, to the degree of resistance, patience, and bravery which the Lady (PBUH) and the rest of the captives possessed.

The fourth part was about the apostolic role conducted by the captives and the situations in which this role was conducted.

بين مدرسة علي ونهضة الحسين عليهما السلام تتألّق المرأة شجاعة وإباء

أ. م. د. كفاية طارش

تناولت الكاتبة نماذج من النساء المؤمنات في مدرستَي علي والحسين عليهما السلام، وذكرت نصوصاً عن مواقفهنّ البطولية التي سجّلتها المصادر التاريخية.

تحدّثت في البدء عن نساء مدرسة علي عليه السلام، وذكرت بعض مواقفهنّ البطولية في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام، وتحريض المقاتلين على الوقوف إلى جانبه عليه السلام في حربه ضدّ معاوية، مشيرة إلى جملة من كلماتهنّ في فضائل علي عليه السلام، وذمّ معاوية.

بعد ذلك انتقلت للحديث عن نساء مدرسة الحسين عليه السلام، موضّحة أنّ كلتا المدرستين قدّمتا نساء بنفس المنطق والجرأة والشجاعة، فابتدأت بذكر بعض مواقف السيّدة زينب عليها السلام في الدفاع عن النهضة الحسينية، وتحدّيها لطغاة بني أُميّة في الكوفة والشام، ومواجهتهم بشجاعة وصلابة، ومنطقٍ هزّ عروشهم، حتّى خشوا عليها من الزوال.

كما أشادت بأدوار نساء الأنصار في واقعة كربلاء، وتقديمهنّ أولادهنّ وأزواجهنّ في سبيل نصرة الحسين وأهل بيته عليهم السلام.

وختمت مقالها بذكر بعض مواقف النساء البطولية قبل واقعة الطفّ وبعدها، كموقف طوعة، المرأة المؤمنة التي آوت مسلم بن عقيل، وموقف ابنة الصحابي عبد الله ابن عفيف الأزدي، وموقف زينب بنت عقيل بن أبي طالب.

Between the School of Ali (PBUH) and the Uprising of al-Husayn (PBUH) Women Excelle Bravery and Rebellion

Dr. Kifaya Taresh

The writer discusses a series of faithful women from the School of Ali and al-Husayn (PBUT), and she mentions some texts, which report about their heroic stances.

In the beginning, she addresses the women from the School of Ali (PBUH) and mentions some of their heroic stances when defending the Commander of the Faithful (PBUH), and encouraging the fighters to stand by him in his war against Muawiya. She cites some of their words in which they praise Ali (PBUH) and dispraise Muawiya.

After that, she discusses the women of the School of al-Husayn (PBUH), while explaining that both schools graduated women with the same logic, courage, and bravery. Then she mentions some of Lady Zaynab's (PBUH) stances in defending Imam al-Husayn's uprising, and her challenge of the Umayyad tyrants in Kufa and the Levant, and her confrontation with them, with all bravery and boldness, and a logic which shook their thrones, so much, that they feared for their existence.

She also praises the role of the women of the Ansar at the Event of Karbala, and their sacrifice of their children and husbands for the sake of supporting Imam al-Husayn and his household (PBUT).

She ends her article with heroic stances of the women before and after the event of al-Taff, such as the stance of Taua, the faithful woman who provided shelter to Muslim Bin Aqeel. In addition to the stance of the daughter of the Companion, Abdullah Ibn Afeef al-Azdi and the stance of Zaynab, daughter of Aqeel Bin Abi Taleb.

ورقة عمل بعنوان

مقام الإخلاص والوفاء عند السيّدة زينب بنت علي عليهما السلام

د. زهراء رؤوف الموسوي

تطرّقت الباحثة في بداية بحثها إلى ضرورة تحلّي مَن يتشرّف بمقام الخدمة الحسينية بالنيّة الخالصة لله تعالى في مقام العمل ووفائه للمعمول له، ثمّ بيّنت بعد ذلك بأنّ السيّدة زينب عليها السلام قد تحلّت بهاتين الخصلتين في تعاملها مع أئمّة زمانها عليهم السلام.

هذا، وقد توزّع الحديث في هذا المقال على ثلاث نقاط، هي:

النقطة الأُولى: النشأة الفريدة، وهي التي يتمّ الحديث فيها عن منشأ الإخلاص والوفاء عند السيّدة زينب عليها السلام، وذلك من خلال بيان أنّها تربّت في أجواء رسالية وعاشت ضمن عائلة نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله تعالى.

النقطة الثانية: مقام الإخلاص، حيث تناولت ـ بعد بيان المراد من الإخلاص في العمل ومكانته في الدين ـ الدور الكبير الذي أدّته بطلة كربلاء عليها السلام في نشر واقعة الطفّ وتعريف الناس بهذه المظلومية.

النقطة الثالثة: مقام الوفاء، حيث ذكرت الباحثة في بداية هذه النقطة أنّ المراد من (الوفاء) هو التمسّك بالعهد، والثبات على الميثاق، والعمل بالواجب الإنساني والإسلامي، ثمّ استعرضت الروايات الدالّة على ضرورة ترسيخ هذا المبدأ الأخلاقي من قِبل الوالدين في نفوس أطفالهم، ثمّ قامت الباحثة بعرض جملة من الشواهد الدالّة على وجود هذا المقام الأخلاقي السامي في سلوكيّات السيّدة زينب عليها السلام يوم عاشوراء، مضافاً إلى حفظها مقام الإمامة ـ المتمثّل بالإمام السجّاد عليه السلام ـ من أيدي الطغاة كعبيد الله بن زياد وزبانيّته.

وأخيراً، خلُص المقال إلى جملة من المقترحات والتوصيات التي من شأنها تثقيف النساء اللاتي يسعين إلى السير على نهج السيّدة زينب عليها السلام والاقتداء بها.

A Working Paper Titled; The Sincerity and Loyalty of Lady Zaynab, daughter of Ali (PBUT)

Dr. Zahraa Raouf al-Mousawi

At the beginning of the research the writer addresses the importance of being sincere and devoted to Allah, Exalted is He, when being privileged with the honor of serving Imam al-Husayn (PBUH). Then she elucidates that Lady Zaynab (PBUH) possessed these qualities when she dealt with the Imams of her time (PBUT).

The article is divided into three parts;

Part one: The Unique Origin; In this part, the writer discusses the origin of the sincerity and loyalty of Lady Zaynab (PBUH), by explaining that she was raised in an environment filled with the presence of the Prophet and that she lived with a family that devoted themselves to Allah, Exalted is He.

Part two: The Sincerity; After an explanation of the meaning of sincerity at work, and its status in Islam, the writer discusses the great role which the heroine of Karbala conducted (PBUH) in propagating the Event of al-Taff, and informing people of this great injustice.

Part Three: The Loyalty; At the beginning of this part, the researcher elucidates that the meaning of loyalty is; the adherence to the oath, and to conduct the humanitarian and Islamic duty. Then she presents the narrations which emphasize the importance of parents imprinting this ethical principle on their children. Hereafter, the researcher mentions a series of instances, which proves the existence of this high and noble quality in the conduct of Lady Zaynab (PBUH) at the day of Ashura, and proves the lady's effort to protect the Imamate, represented by Imam al-Sajjad (PBUH), from the tyrants Ubaidullah Bin Ziyad and his allies.

In the end, the article is concluded with some suggestion and advice, aiming at improving the cultural situation of the women who seek to walk on the same path as Lady Zaynab (PBUH) and regard her as their role model.

الأميرة الأسيرة وانطلاقة العلم من الحجاب

م. رنا الخويلدي

يتناول المقال جانبين من حياة السيّدة زينب عليها السلام، وهما: حجابها وعلمها.

جعلت الكاتبة مقالها في ثلاثة مباحث، ذكرت في المبحث الأوّل اسمها عليها السلام، والسبب في تأخّر تسميتها عليها السلام.

ثمّ ذكرت ألقابها عليها السلام، ومنها: أُمّ الحسن وأُمّ كلثوم، وذكرت الاختلاف في لقب أُمّ كلثوم، وهل هو كنية لها، أم اسم ثانٍ لها أو لأُختها؟ ثمّ رجّحت الاحتمال الأوّل وأنّه كنية لها.

بعد ذلك تحدّثت عن أُختها (أُمّ كلثوم)، وهل هي موجودة فعلاً؟ وعن قصّة زواجها واختفائها عن الأنظار، مرجّحة أنّ زواجها من عمر بن الخطاب لم يحصل.

كما تحدّثت عن حياة السيّدة زينب عليها السلام، وما رافقها من مصائب وآلام، وأنّها شهدت ما جرى على أمّها الزهراء وأبيها أمير المؤمنين وأخويها الحسن والحسين عليهم السلام.

وتناولت ـ في المبحث الثاني ـ الحجاب في فكر السيّدة زينب عليها السلام وكلماتها، وذكرت أنّه على قسمين: حجاب ظاهري، وحجاب باطني، وأوردت نصوصاً في التزام السيّدة زينب عليها السلام بكلا الحجابين.

بعد ذلك تطرّقت إلى بيان سبب اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالحجاب؛ وذلك لأنّ الحجاب يسمو بالمرأة نفسياً وفكرياً، وأنّه سرّ نجاحها.

كما سلّطت الضوء ـ في المبحث الثالث ـ على نماذج من خُطب السيّدة زينب عليها السلام، بيّنت من خلالها مقامها الرفيع، ومكانتها العلمية السامية، وانكشاف الغطاء عن عينيها، وعلمها بمراتب الموت والحياة، وعلمها بأخبار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإشاراتها لزمن الظهور في بعض خطبها عليها السلام.

ثمّ أنهت المقال بخاتمة، تناولت فيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها في بحثها.

The Captive Princess, and the Emanation of Knowledge from Hijab

Rana al-Khuwaylidi

The article discusses two parts of the life of Lady Zaynab (PBUH), namely, her Hijab, and her work.

The writer divided the research into three parts, where she discusses Lady Zaynab's name and the delay of her naming in the first part. Then she mentions her nicknames, such as; Um al-Hasan and Um Kulthoom, and she addresses the disagreement about the name Um Kulthoom; regarding if it is her epithet, or her second name, or the name of her sister, where the researcher prefers the first option.

Then the writer engages in the topic of her sister 'Um Kulthoom', and the truth about her existence, and the story of her marriage and her sudden disappearance from any historical records. Hereafter, the writer champions the theory that Um Kulthoom never married Umar Bin al-Khattab.

She also discusses the life of Lady Zaynab (PBUH) and what she experienced of tragedies and sorrows, and that she witnessed the tragedy of her mother, al-Zahraa, her father, the Commander of the Faithful, and her two brothers, al-Hasan and al-Husayn (PBUT).

In the second part, she discusses Lady Zaynab's understanding of Hijab, and that Hijab is of two types; an external Hijab and an internal Hijab, where she presents reports proving that Lady Zaynab (PBUH) was adherent to both of them.

After that, she addresses the reason for the Household's (PBUT) emphasizing on Hijab; namely because Hijab elevates women, both mentally and intellectually, and is the secret behind their success.

In the third part, she focuses on a sample from the speeches of Lady Zaynab (PBUH), in which she articulates her place, her noble scientific

status, her unclouded viewpoints, and her knowledge in the stages of life and death. In addition to her knowledge regarding Imam al-Mahdi (MAHHR), and her indications of the time of his reappearance in some of her speeches.

The writer ends the article with the most important results reached in her research.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وآفاقها الفكرية